المنهل

AL MANHAL

مجلة العرب الأدبية

العدد (٥٤٤) المجلد (٥٩) العام [٦٣] جمادى الأخره ورجب ١٤١٨ هـ / أكتوبر - نوفمبر ١٩٩٧ م

الرائد .. في ذكراه



الانترنيت .. صديق أم عدو

التنوير .. الضجة المفتعلة

فى الانتماء الثقافي

(الظاهري .. والسالمي) .. فضلاً !

اليوم الوطني .. فكرة وعبرة

المنهل

مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة

تصدر في المملكة العربية السعودية - جدة عن دارة المنهل للصحافة والنشر المحدودة

أولى أمهات الصحافة السعودية

أسسها المغفور له

عبدالقدوس القاسم الأنصاري

عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م

المركز الرئيسي:

جدة الشرفية ص.ب ٢٩٢٥ رمز بريدي ٢١٤٦١ برقيا: المنهل فاكس: ٦٤٢٨٨٥٣ ت: ٦٤٢٧٨٣١ - ٦٤٣٩٧٦٥ - ٦٤٣٢١٢٤ - ٦٤٢٥٦٨٧ - الرياض: ص.ب ٢٩٠ ت: ٤٥٤٢٤٣٢

سعر النسخة:

السعودية ١٠ ريالات - قطر ٨ ريال - المغرب ٩ دراهم - مصر ١٥٠ قرشا - تونس ٨٠٠ مليم - الكويت ٦٠٠ فلس - عمان ٦٠٠ بيسه - الامارات ٨ دراهم - البحرين ٧٠٠ فلس - موريتانيا ١٠٠ أوقيه - الأردن ٥٠٠ فلس.

الاشتراكات:

جدة ت: ٦٤٣٢١٢٤

- قيمة الاشتراك السنوي للمؤسسات الحكومية ٢٥٠ ريال.
- قيمة الاشتراك للأفراد ١٥٠ ريال



مما قيل

جرِّب الطريق الآخر!

في هذه الحياة جملة شبكات من خطوط مختلفة الاتجاه والاهداف، وثلاثة منها هي الخطوط الرئيسية.

فهذا خط سهل واضح لا يتكلف راكبه شططاً ولا يتحمل رهقا..

وهذا خط آخر وعر مملوء بالاشواك يعترض سالكيه ضروب من الاعاصير الهوجاء.

وذاك خط ثالث هو بين بين .. فليس بالشائك الوعر جداً، وليس بالسهل الهين جداً، هو وسط بين حالتي السهولة والامتناع.

يعتاد سلوك الطريق الاول، أولئك الواهنون الضعفاء الذين هانت نفوسهم، فهانت مطالبها من الحياة، فهم يحتسسون فضلاتها من أقرب الوجوه التماسا للسلامة من أحط الوجوه.. وهؤلاء القوم هم (حثالة) الامم.

ويمتطي ثاني الطرق، أولئك الابطال المغامرون الذين لا يبالون بنصب جسومهم في سبيل الترفيه عن ضمائرهم وشعوبهم.

هؤلاء القوم هم (الرواد) وهم (القادة) في الأمم.

ويسلك ثالث الخطوط فريق ثالث يزمعون أن يمثلوا دورهم على مسرح الحياة ولكن ليس بين مقاعد النظارة، وهؤلاء هم (العاملون) في الأمم.

يحسن بك - يا صديقي القارئ - ان كنت ممن يهفو الى معالي الأمور أن تحدد مركزك حيال «خطوط الحياة» الثلاثة.. فإذا قدر لك النجاح فحذار من أن تركب سفينة الغرور والاطمئنان.. فإن من ركب هذه السفينة اغرقته الحياة وإذا لم تصل الى هدفك المنشود في طريق من طرق الحياة، فحذار من أن تركبك هواجس الهم واليأس.

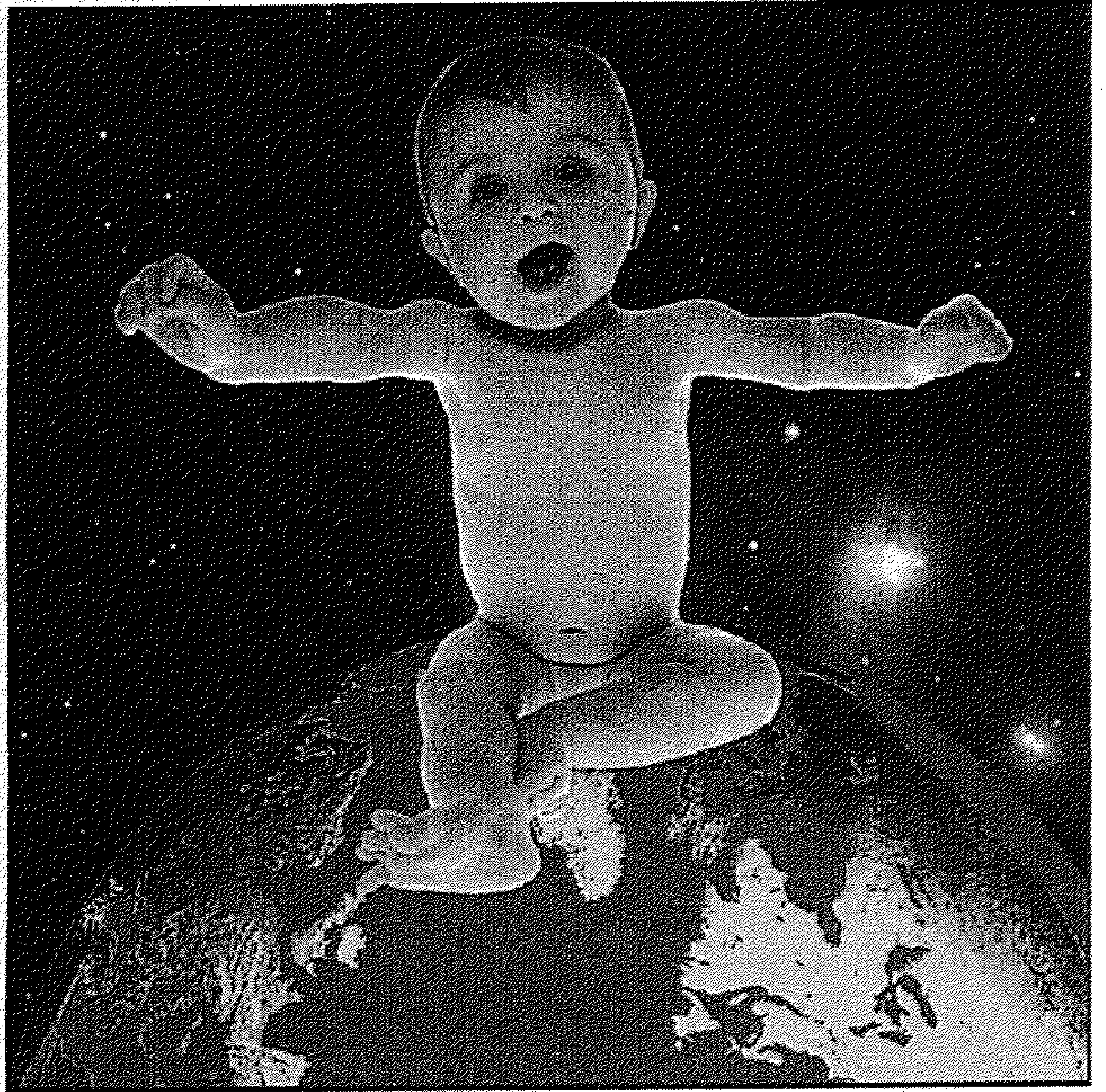
.. جرِّب الطريق الآخر!

«عبدالقدوس الأنصاري»

ربيع الثاني ١٣٦٦هـ/ مارس ١٩٤٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

لقطة الشهر



الأرض تحترق ..
تحترق .. تحترق ..
إنها صرخة البريء ..
ترى .. هل يسمع الكبار؟! ..
هل يرعوي الكبار؟!..
هل يستحي الكبار؟!

إشــــارة

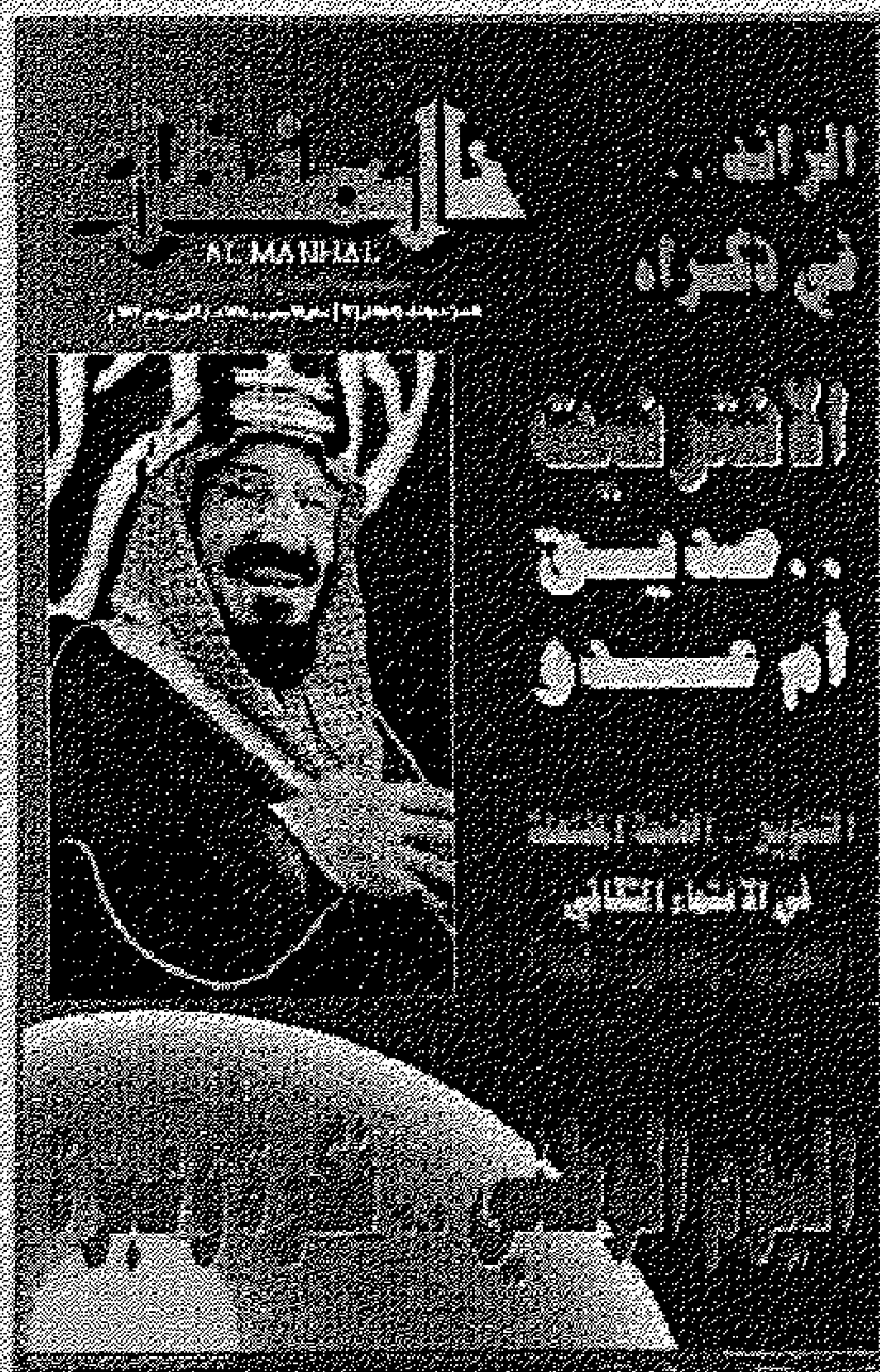
● تحتفظ هيئة التحرير بالحق في تحديد أولويات النشر ويخضع ترتيب مواد المجلة لاعتبارات فنية لا علاقة لها بالموضوع أو مكانة الكاتب ويشترط في الاسهامات عناصر الجدة، العمق والرصانة العلمية، للمجلة الحق في عدم نشر المواضيع التي تراها غير مناسبة للنشر دون الالتزام بإعادة الموضوع لمصدره، كما يرجى الاشارة لمصادر المادة بصورة واضحة.

طبع بمطابع شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر - جدة
تليفون: ٦٦٧٠٦٠٦ - فاكس: ٦٦٠٤٦٧٦



عزيزي القارىء
عزيزتي القارئة

هذه المجلة تحمل في العديد من صفحاتها آيات قرآنية كريمة وأسماء الله الحسنى فضلا عن أحاديث نبوية شريفة الرجاء المحافظة عليها.



غلاف العدد

المنهل
Almanhal
مجلة شهرية للأدب والعلوم والثقافة

العدد: (٤٤ ٥)
المجلد: (٥٩)
العام: (٦٣)





منهليات

اليوم الوطني ذكرة .. وعبرة

...رن من الزمان في
ذاكرة الأجيال، لا يمرّ
... تمر عاديات الحياة، لا
سيما أن هذا القرن ظلت
...امه حبلى بأحداث
...سام..
جهاد وكفاح بالنفس
...ليس من أجل صنع
أمة.
...، تبني للمجد صرحاً
...امخا
...أمة تحرس ما ابتنته
...ما
...حافظة، وعناية وتطورا
قرن من الزمان في عمر
هذا البلد الحبيب.
إنه يقول الكثير والكثير..
جاء الملك عبد العزيز ليواصل
جهاد وكفاح أجداده
جاء فوجد الناس فوضى،
قبائل متفرقة .. متناحرة
قتل وسلب ونهب ..

الكل خائف وجلٌ .. على نفسه
وماله وعرضه
تعاليم الدين غائبة عن ذاكرة
تلك القبائل المتناحرة.
فكان منه العزم والجد
والصبر..
وكان التوفيق حليفه..
فما طلعت شمس ذلك اليوم
الأغر إلا والجزيرة مملكة..
مملكة مُوَحَّدة.
مملكة مُوَحَّدة الأنحاء ..
مؤتلفة الأرجاء
وجاء من بعده بَنُوه الأبرار.
شهدوا المشاهد كلها من قبل
وشاركوا فيها.
فجاء كل انجازهم بدراية وكفاية
والآن ..
فلتهنأ المملكة ..
بمليكها .. وبنيها ..
ومجدها.

رئيس التحرير

وكلاء التوزيع

الشركة السعودية للتوزيع/ جدة ٨٠٠٢٤٤٠٠٧٦ - وكالة الأهرام للتوزيع/ القاهرة ٥٧٤٧٠٤٤ - الشركة التونسية للصحافة/ تونس ٣٣٢٤٩٩ - الشريفية للتوزيع/ الدار البيضاء ٤٠٠٢٢٣ - شركة الامارات للطباعة والنشر والتوزيع/ أبوظبي ٤٥٦٥٠٠ - دار الثقافة للطباعة/ الدوحة ٤١٤١٨٢ - وكالة التوزيع الأردنية/ عمان ٦٣٠١٩١ - دار اقرأ للنشر/ الخرطوم ٤١٨٠٩ - الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات د.م.م/ الكويت/ ٢٤٢١٤٦٨ - مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف/ البحرين/ المنامة ٥٣٤٥٥٩.

الاعلانات: يراجع بشأنها الادارة ت: ٦٤٣٢١٢٤

فهرس العدد ٥٤٢ - المجلد: ٥٩ - العام: ٦٣

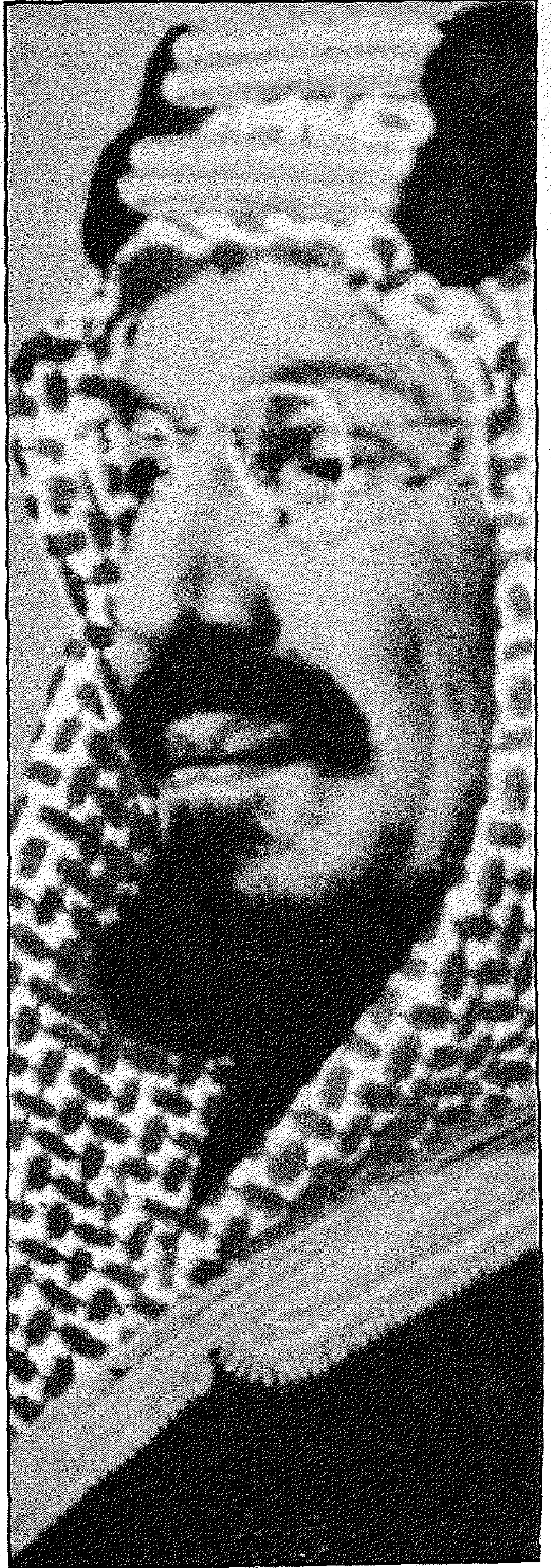
في هذا العدد

الفهرس

ويبقى المجد بالخير نضاحا

أقلام:

د. أمين ساعاتي
د. محمد رجب البيومي.
الأستاذ عبد الله بن خميس.
د. عبد الرحمن الانصاري.
الاستاذ محمد صلاح الدين.
د. رضا عبد الحكيم.
د. عبد الحميد التمسماني.
د. شذى الدركزلي.



يوم مشرق

تحتفل بلادنا اليوم بذكرى تأسيسها، ففي مثل هذا اليوم من برج الميزان ١٧ جمادى الاولى ١٣٥١هـ المصادف ٢٣ سبتمبر ١٩٣٢م أعلن عن تأسيس المملكة العربية السعودية وهو التاريخ الذي حمل هذه التسمية للمملكة بموجب الأمر الملكي الكريم رقم ٢٧١٦ في ١٣٥١/٥/١٧هـ.

فاليوم الوطني لبلادنا يوم مشرق الصفحات وضاء المعالم، وهكذا تتجدد هذه الذكرى التاريخية الغالية ونحن نسير على نهج المؤسس الاول الملك عبد العزيز، الذى جمع الأمة ووحدها فهي ذكرى تتجدد كل عام وذكرى لانجاز كبير وتاريخ عظيم ومسيرة حافلة بملاحم البطولة.. فاليوم الوطني تربية وطنية وخلقية ودينية وترابط وتعاون واخلاص ووفاء وايمان وعطاء، فهو رمز لمسيرة كفاح طويل، وسجل مشرق الصفحات لتاريخ حافل بالمواقف والبطولات، لقائد هذه الامة، ومؤسس كيانها جلالة الملك عبد

عبدالله بن حمد الحقيل
ـ الرياض ـ

لله الصفحات وضاء المعالم



سمو ولي العهد
الأمير عبدالله بن عبدالعزيز



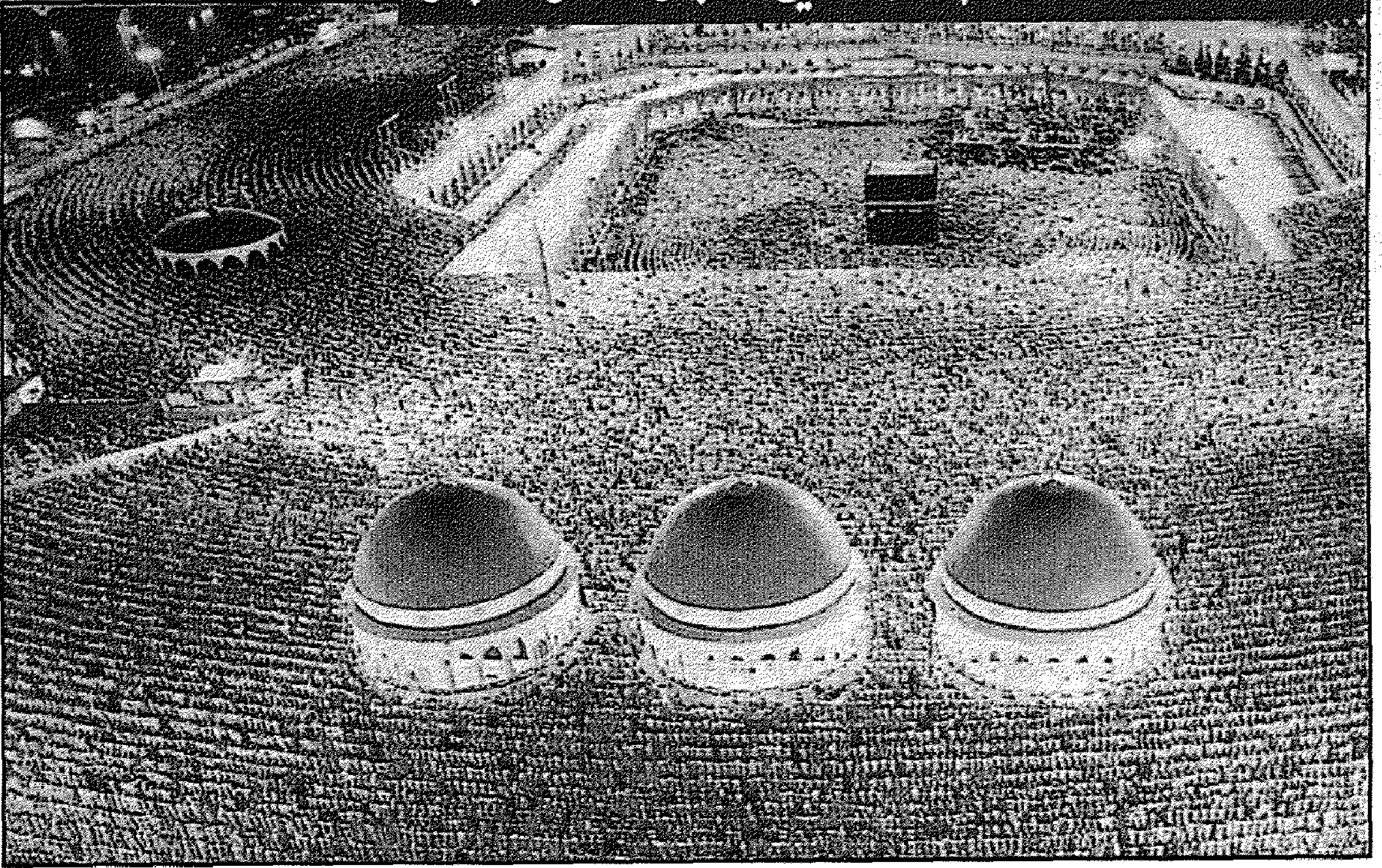
خادم الحرمين الشريفين
الملك فهد بن عبدالعزيز



سمو النائب الثاني
الأمير سلطان بن عبدالعزيز

العزيز يرحمه الله، حيث قادها من نصر الى نصر متغلبا على كل المتاعب، ومتخطيا كل المصاعب، في كفاح متواصل ومصارعة للظروف القاسية، امتد حوالي أربعين عاما، منذ استرد الرياض عام ١٣١٩هـ، وبتوفيق من الله عز وجل، ثم بعزيمة كأنها الفولاذ، استطاع ان يوحد الصفوف بعد أن توحدت القلوب على نصرة عقيدة التوحيد، واستطاع أن يجمع الكلمة بعد أن كان الخلاف والشتات وهو السمة البارزة، ووفر الامن والطمأنينة في ربوع البلاد بعد أن كان بعيد المنال، واندثرت على يديه اسباب النزاعات، وحل محلها الائتلاف والوئام والوفاق، وتلاقت الغايات جميعها لخدمة هذا البلد الأمين.. لقد كان رحمه الله قائدا بارعا حقق انتصارات مجيدة غيرت كثيرا من مجريات التاريخ فقد كان علما شامخا من اعلام زعماء الاصلاح في العالم العربي والاسلامي في هذا القرن..

ولقد وطن البادية، وهي التي عاشت



الحرم المكي الشريف

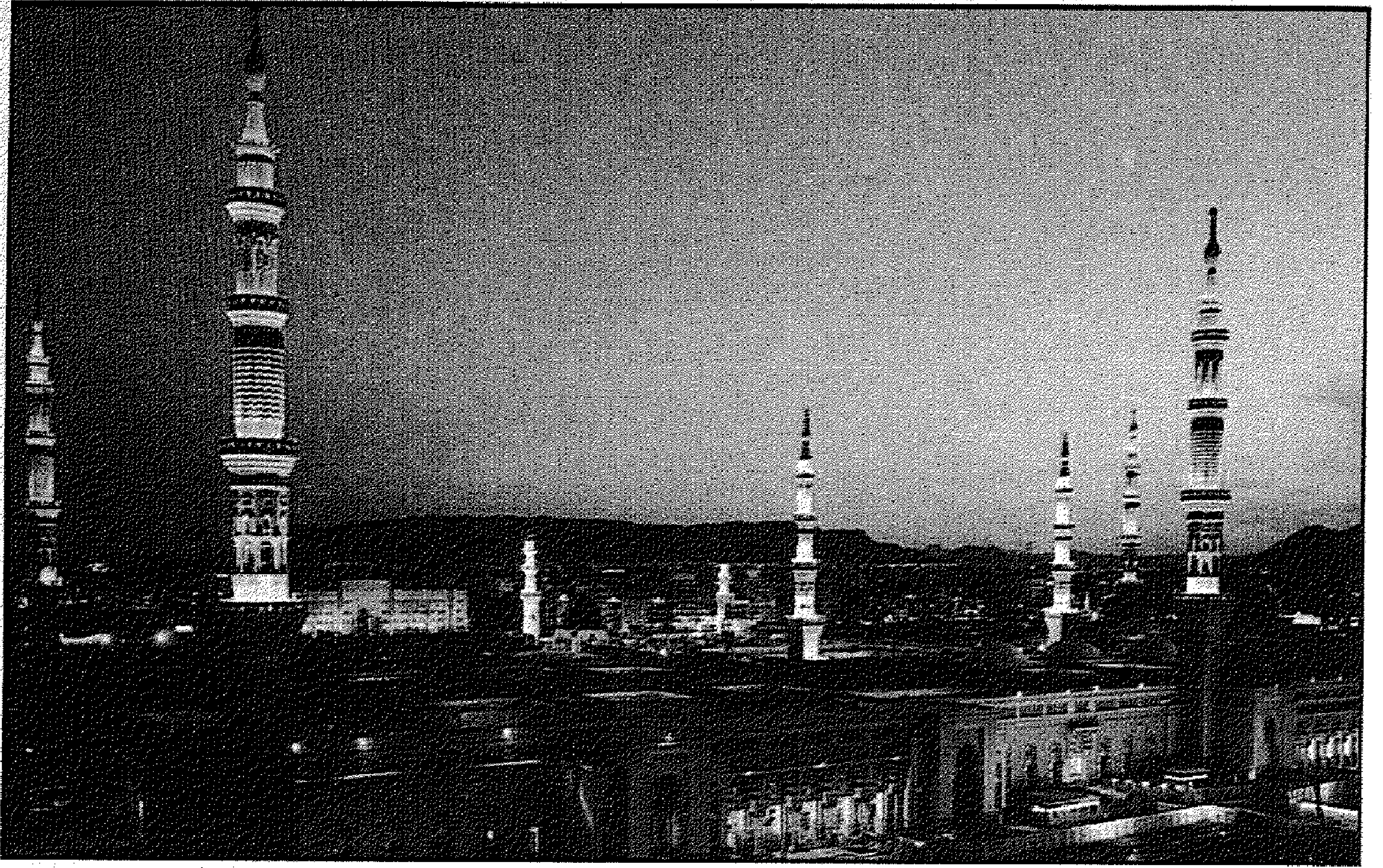
التاريخ كله تضرب الفيافي وتجوب الصحارى والقفار، لا تعرف الراحة والاستقرار حتى تجد الماء والمرعى، فتستقر الى حين، ثم تعود الى الترحال، فإذا بها على يديه تقر وتستقر، من عناء الدهر الطويل الذى عاشته في رحيل وترحال، وفزع دون استقرار، وإذا التاريخ يسجل صفحات مشرقة لهذا العمل المجيد.

لقد كان للملك عبد العزيز مآثر خالدة وذكر حافل مجيد واعمال تاريخية ناصعة، ولقد قال الشاعر احمد بن ابراهيم الغزاوي فى ١٣٥١/٤/٢٣هـ يصف نواحي عظمة الملك عبد العزيز:

عبد العزيز وطئت هامات العلا
ويك استطالت يعرب ونزار
ومضيت من شرق الجزيرة هازئا
بالأقوياء ولم يهلك خمار
فاذا الشمال مع الجنوب وغربها
دعم لعرشك والحدود بحار

ولقد عدد خير الدين الزركلي المزايا الشخصية التي يتحلى بها الملك عبد العزيز فيقول:

تتطاحن الفرسان وهو كأنه
ما بينها علم يموج وحيد
لا تبلغ الاسياف من جثمانه
الا كما خدش الحديد حديد
عرش بناه على النضال عماده
ودعامه الايمان والتسديد
ضم القلوب موحداً أشتاتها
لله ثم لشعبه التوحيد



الحرم النبوي الشريف

فقد أخذت البلاد في النمو بعد أن عرفت الأمن والرخاء، وعرفت كل بلدة وقرية طريقها الى ذلك النمو، فكانت بداية ذلك الاهتمام بالتعليم الذي ينمي العقل ويثري الفكر، ثم الرعاية بصحة الفرد لان العقل السليم في الجسم السليم، فانشئت المدارس، والمستشفيات، وكافة الخدمات الاخرى وسجلت في هذا المجال صفحات مشرقة لهذا العمل المجيد لتغلبه رحمه الله على ما واجه فيه من مصاعب.

كما نهضت التجارة والصناعة بسبب استقرار الأمن في ربوع البلاد، واخذ التجار يزاولون نشاطهم في أمن وأمان وأخذوا يجوبون طول البلاد وعرضها، ويجلبون الى البلاد ما تحتاجه من سلع، ويصدرون بعض المنتجات الى الخارج، وهم آمنون على أموالهم وارواحهم، وصارت قوافل الحجيج تفد من كل فج وصوب، وهى آمنة في بيت الله الآمن، وفى ارض الامان، وسجل التاريخ في هذا المجال صفحات مشرقة حتى استقر الأمن في ربوع البلاد.

إن تاريخ الملك عبد العزيز ثري ومتنوع يعطي قارئه روافد مستمرة وتفاصيل كثيرة، هذا قليل من كثير نذكره في يومنا الوطني، الذى نعتز به لأنه ثمار جهد كبير، وكفاح متواصل، وعمل فاق كل تصور، وأعظم تلك الثمار هو ما نعيشه اليوم، ونجنيه في عصرنا الميمون، تحت رعاية خادم الحرمين الشريفين، الملك فهد بن عبد العزيز حفظه الله وسمو ولي عهده الأمين .. ووفقنا الله جميعا لما يحبه ويرضاه.

في ذكرى اليوم الوطني

بقلم:
د. أمين ساعاتي
خبير العلاقات الدولية بجامعة الدول العربية

لم يعد اليوم الوطني مجرد مناسبة دبلوماسية تحتفي بها سفارات خادم الحرمين الشريفين فحسب، بل أصبح الاحتفال باليوم الوطني جزءاً هاما من تقاليد الإنسان السعودي التي يستعد لها ويحتفي بها ويجدد على الطريق ولاءه لمليكه ووطنه وأمته.

اليوم الوطني بهذا المعنى هو علامة مضيئة في تاريخ الأمة السعودية، وهو محطة تتجدد في كل عام لمراجعة منجزات البناء والتنمية.

ومن الأشياء التى نلاحظها في كل عام ونحن نعيش ذكرى اليوم الوطني، هو أننا كلما كتبنا عن الملك عبد العزيز طيب الله ثراه، نشعر بأننا في أمس الحاجة إلى مزيد من الكتابة عنه، بل أكثر من هذا، فكلما اخضعنا منجزات الملك عبد العزيز للدراسة العلمية المحايدة، كلما احتجنا الى فيض زاخر لا ينتهى من الدراسة والتحليل.. إنها باختصار معجزة القيادة التى منحها الله سبحانه وتعالى للملك عبد العزيز القائد المؤسس.

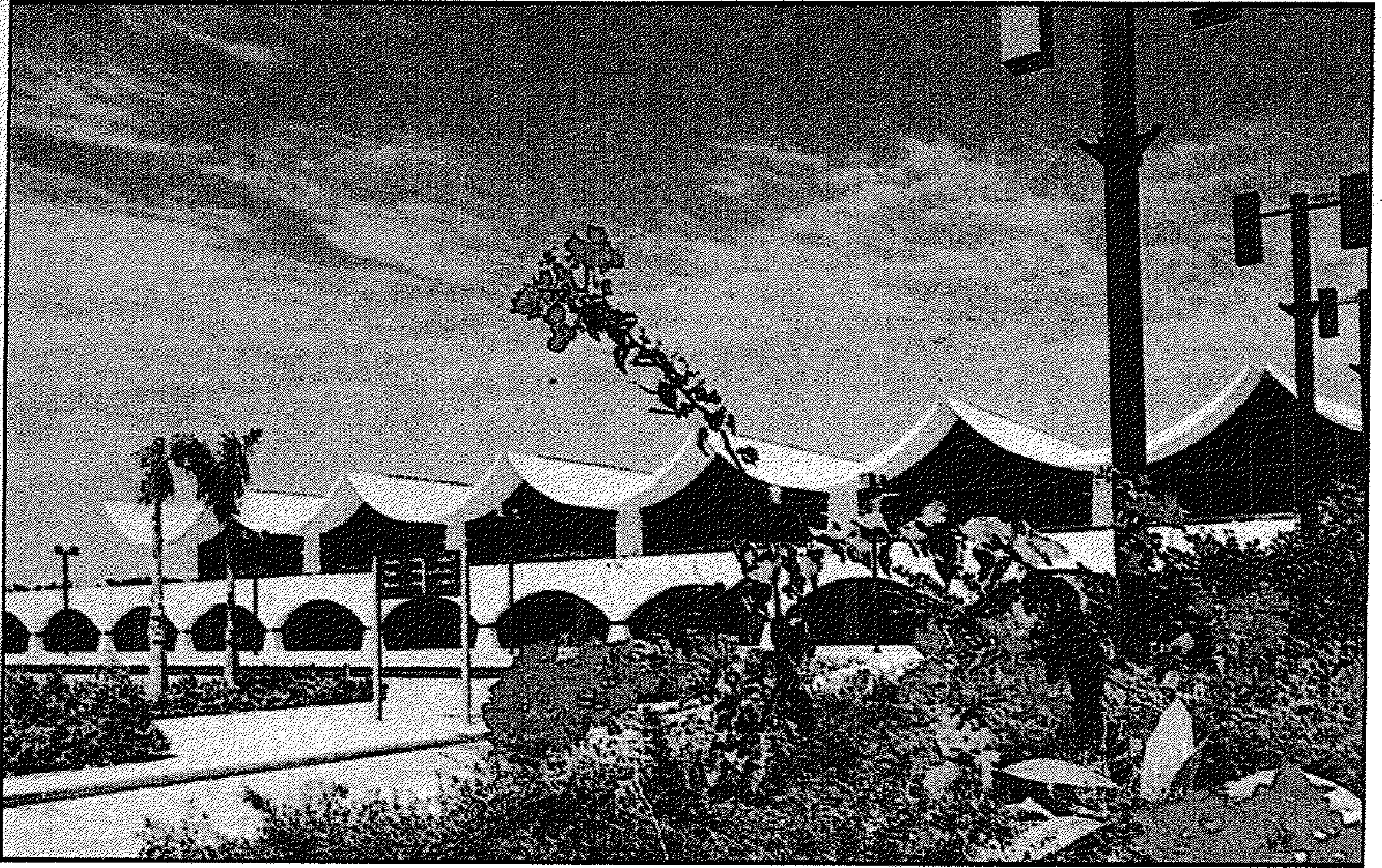
لقد أقام الملك عبد العزيز نموذج المملكة العربية السعودية على مباديء التوحيد وعلى كتاب الله وسنة رسوله {صلى الله عليه وسلم}، ثم شرع في بناء مؤسسات الدولة الوليدة في زمن قصير وبنجاح منقطع النظير.

لقد كانت شبه الجزيرة العربية قبل عهد الملك عبد العزيز تعج بالخلافات بين شيوخ القبائل وتتسع الانقسامات والحروب بين الدويلات المتطاحنة، ولعب الاستعمار الأوروبي دوراً كبيراً في تأجيج الخلافات بين هذه الدويلات المتنازعة.

ولكن الملك عبد العزيز الذي توافرت له صفات المؤمن القوى والشجاعة النادرة والوعي السياسي الغالب، استطاع أن يتجاوز كل المعوقات وينشيء دولته العربية الإسلامية الخالصة.

وكانت الخطوة الأولى نشر دعائم التعاليم الإسلامية وإقامة القضاء الإسلامي والمؤسسات الدينية في المدن والقرى كي تؤدي دورها في بناء الأمة وتربية النشء، ثم كانت خطواته التالية الممثلة في تثبيت وتوطيد دعائم الأمن والأمان والاستقرار في كل مكان من أنحاء المملكة الشاسعة وقطع دابر المفسدين وقطاع الطرق والمرجفين.

ثم شمل برنامج حكم الملك عبد العزيز كل الأوجه التى تمس حياة المواطن والمواطنة، فأمر بمجانية التعليم ونشر المدارس والمعاهد في كل مكان وأرسل البعثات في مختلف ميادين المعرفة والعلوم، وفتح المستشفيات وبنى القوة العسكرية حتى جعل هذه القوة هي أقوى قوة عسكرية في بلاد العرب يومذاك. أما



مطار الملك خالد في الرياض

الحرمان الشريفان فلقد وضعهما في قمة اهتماماته وكان يقول أنه شرف لي أن أنادى باسم خادم الحرمين الشريفين على أن أنادى بلقب ملك، ولقد أمر جلالته يرحمه الله بإنشاء هيئة من كبار العلماء لخدمة ورعاية البيت الحرام ومسجد المصطفى {صلى الله عليه وسلم}، كما أمر جلالته بالبدء في توسعة المسجدين الشريفين.

أما بالنسبة لسياسته الخارجية فلقد كانت سياسية عربية إسلامية خالصة وكان يشدد القول: أنا عربي ولست متطفلا على الرئاسة والملك وإن آبائي وأجدادي معروفون بالرئاسة والملك.. أنا عربي وأحب قومي والتآلف بينهم وتوحيد كلمتهم وأبذل في ذلك مجهوداتي ولا أتأخر عن القيام بكل ما فيه مصلحة العرب وما يوحد أشتاتهم ويجمع كلمتهم. ثم قال ما كنا عرباً إلا بعد ما كنا مسلمين كنا عبيداً للعجم ولكن الإسلام جعلنا سادة ليس لنا فضيلة إلا بالله وطاعته واتباع سيدنا محمد {صلى الله عليه وسلم} ويجب أن نعرف حقيقة ديننا وعربيتنا ولا ننساهما. كل حرية باطلة إلا حرية الإسلام والإنسان لا ينفع إلا بدين الإسلام. وفي عهد الملك عبد العزيز كانت المملكة إحدى الدول الست التي وقعت في عام ١٩٤٥م على ميثاق إنشاء جامعة الدول العربية دعما للعرب وتحقيقاً لتضامنهم ووحدتهم.

أما خطوة تكريس اسم المملكة العربية السعودية بدلا من اسم مملكة الحجاز وسلطنة نجد، فقد اتخذها الملك عبد العزيز في عام ١٣٥٢هـ - ١٩٣٢م حينما أصدر أمراً ملكياً أشار فيه إلى أنه بناء على طلب الأهالي فإنه يأمر بتغيير اسم المملكة من مملكة الحجاز وسلطنة نجد وتوابعها إلى اسم المملكة العربيه السعودية وذلك تعبيراً عن الوحدة الوطنية بين

كافة مدن وقرى وهجر مملكته الحديثة اليانعة. كما نص الأمر الملكى بأن يكون اليوم الأول من فصل الميزان هو اليوم الوطني للمملكة.

إن النواة التي تشكلت منها المملكة العربية السعودية وجعلت ولادتها ولادة طبيعية وقوية.. هو أن المملكة ولدت في قلب الجزيرة العربية، طرفها الشرقي يمثل الجزء الأكبر من الخليج العربي وطرفها الغربي يحتضن أطهر بقعة على الأرض مكة المكرمة والمدينة المنورة التي جعلها الله مثاباً وأمناً للناس أجمعين. لذلك فإن الهوية الوطنية للمملكة تمثل التوازن الأمثل بين المركز وطرفي الرحى. فالدولة التى تولد في قلب بلاد العرب لابد أن تكون ذات هوية عربية، والدولة التى يقع أحد طرفيها في الخليج لابد أن تكون ذات هوية خليجية. وهي قبل ذلك وبعده تحتوى العروبة والخليجية في بوتقة الدين الإسلامي الأقوم.

أي أن مركز الدائرة للهوية السياسية في المملكة.. يتجسد في الدين الإسلامي، وحول خاصرة هذه الدائرة تقع العروبة، وحول خاصرة العروبة تلتف الوحدة الخليجية لتمثل حلقة من حلقات الوحدة العربية.

إن اليوم الوطني هو فرصة مهمة للتعامل مع الحقائق.

حقائق التأسيس الذي وضع لبناته الأولى الملك عبد العزيز.

وحقائق التنمية التى اضطلع بها أبناؤه البررة من بعده.

والتعامل مع الحقائق هو السبيل الأنسب للاستجابة الناجحة للتحديات والارتفاع إلى اعلى من مستواها، ومن ثم تجاوز ذلك المستوى إلى إرساء الكيان، ثم تسخير التنمية للبناء والشموخ.

إن التحديات التى واجهها الملك عبد العزيز والتى واجهها من بعده أبناؤه البررة وآخرها حربا الخليج الأولى والثانية.. هي التي أظهرت مواهب القيادة الصالحة فيهم جميعاً، وهى التى مكنت الأمة من صنع تاريخها الماجد الرشيد.

وها نحن اليوم نجنى ثمار الغرسة التي غرسها الملك البانى عبد العزيز يرحمه الله، ونسعد بأريج حدائقها التى حرص على إنمائها وتنميتها أبناؤه الملوك سعود وفيصل وخالد - رحمهم الله - وخادم الحرمين الشريفين - حفظه الله - .

إن الملك عبد العزيز كان نتاج مرحلة من أخطر المراحل، ومع ذلك كانت مواهبه الفطرية زاخرة تواجه المخاطرة برباطة جأش، وتحولها إلى انتصارات تجسدت في سلسلة من التوحيد وسلسلة من البناء والعمار.. واليوم الوطني الذي نعيشه في أول الميزان من كل عام.. هو رمز هذه الانتصارات وتلك الإنجازات التى لا يفخر بها سكان المملكة فحسب، بل يفخر بها كل دعاة الوحدة العربية والإسلامية، كما يفخر بها كل الذين يفرحون بإخلاص للتقدم والإنجاز في كل مكان.

وإذا كان لكل قائد من قواد التاريخ مفتاح شخصية مميز فإن مفتاح شخصية الملك عبد العزيز الذى استخدمه ليفتح به سبل إنشاء مملكته الفتية.. هو الإخلاص، ثم العمل على



التطوير الزراعي في المملكة

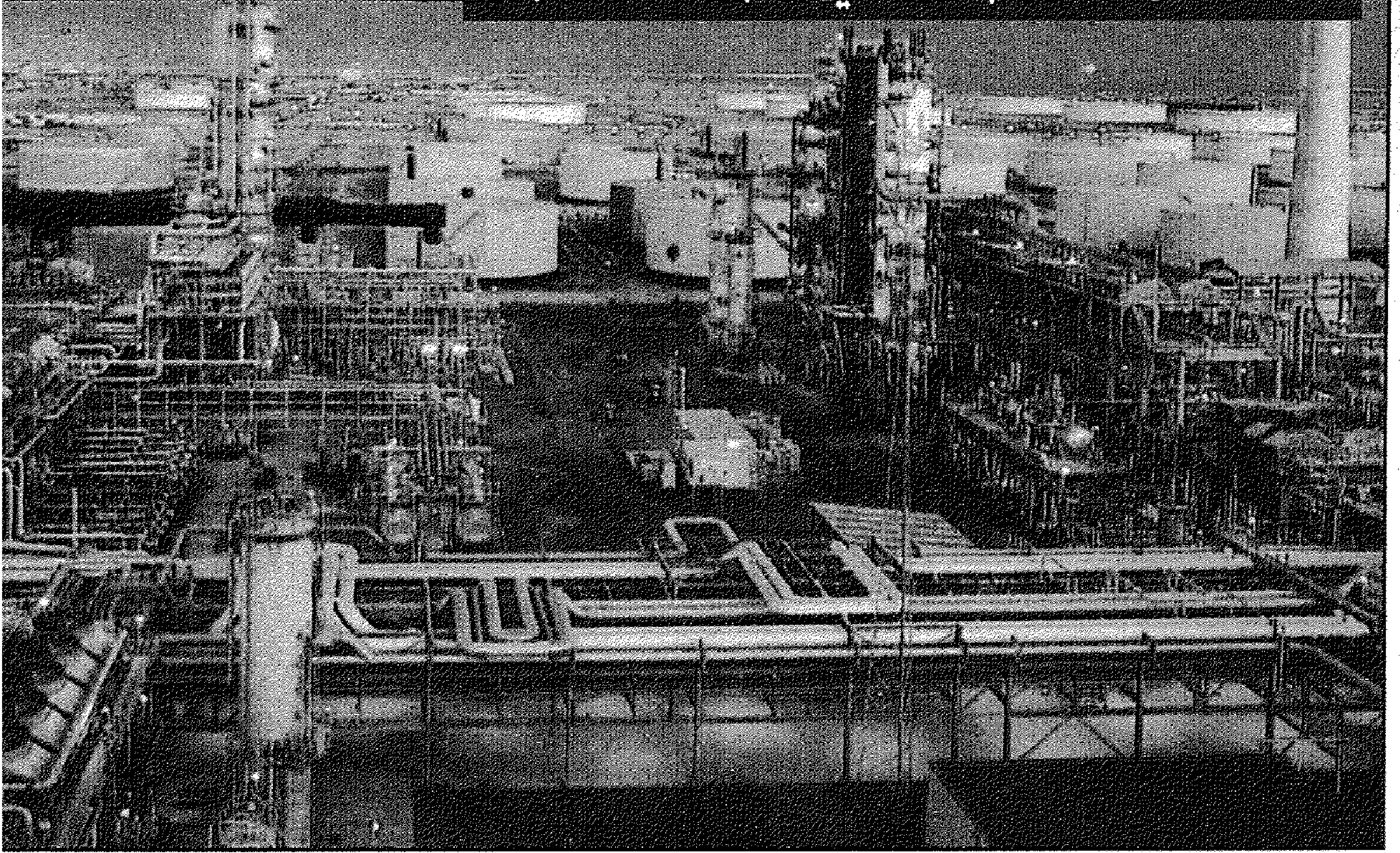
إنقاذ شعوب الجزيرة العربية وتحقيق الوحدة أو التوحيد بين دويلاتها وقبائلها . أى أن الملك عبد العزيز يرحمه الله وضع منهاج بناء المملكة على هذا المصطلح «الوحدة»، وسعى إليها هدفاً ومقصداً حتى تمكن بالفعل من تحقيق الوحدة بين أطراف شبه الجزيرة العربية، وهكذا أصبحت الوحدة بين الدويلات المتفرقة في شبه الجزيرة مثلا راقيا ومستهدفا لكل الذين يطالبون بالوحدة العربية.

ولكن الذى يميز الملك عبد العزيز عن غيره في سعيه إلى تحقيق وحدة كياننا الكبير، هو انه سعى إلى تحقيق وحدة شبه الجزيرة عبر هويتها الإسلامية الخالدة، فنادى بالإسلام دينا وهوية ومبدأ، وأكد بأن لا يسن قانون في هذه البلاد إلا بما يتمشى مع مباديء ديننا الإسلامى الأقوم.

ثم نادى بالوحدة بين العرب على أساس مبادىء الدين الإسلامي الحنيف، وقال يرحمه الله مقولته المشهورة: كل ما ندعو إليه هو جمع كلمة المسلمين واتفاقهم ليقوموا بواجبهم أمام ربهم وأمام بلادهم، والذى نشهد الله عليه ونحن أوسطكم في الإسلام وأوسطكم في العربية.. أننا لا ننام ليلة إلا وأمور جميع المسلمين همنا.

ورغم أننى أقرأ بعض ما تفرزه بعض الصحف المغرضة ومراكز البحوث الإقليمية المتشيعة من موضوعات تغمز المملكة إزاء بعض مواقفها العربية والدولية، فإننى أقرأ باهتمام اكبر الكثير مما تصدره بعض المراكز التى تحترم نفسها وتحرص على إنتاج الدراسات الموضوعية الملتزمة البعيدة عن النزق السياسي والهوى الشخصي.

ولقد تأكدت بعد قراءاتى هنا وهناك، أن الحقائق هى سيدة الموقف دائماً، وإن



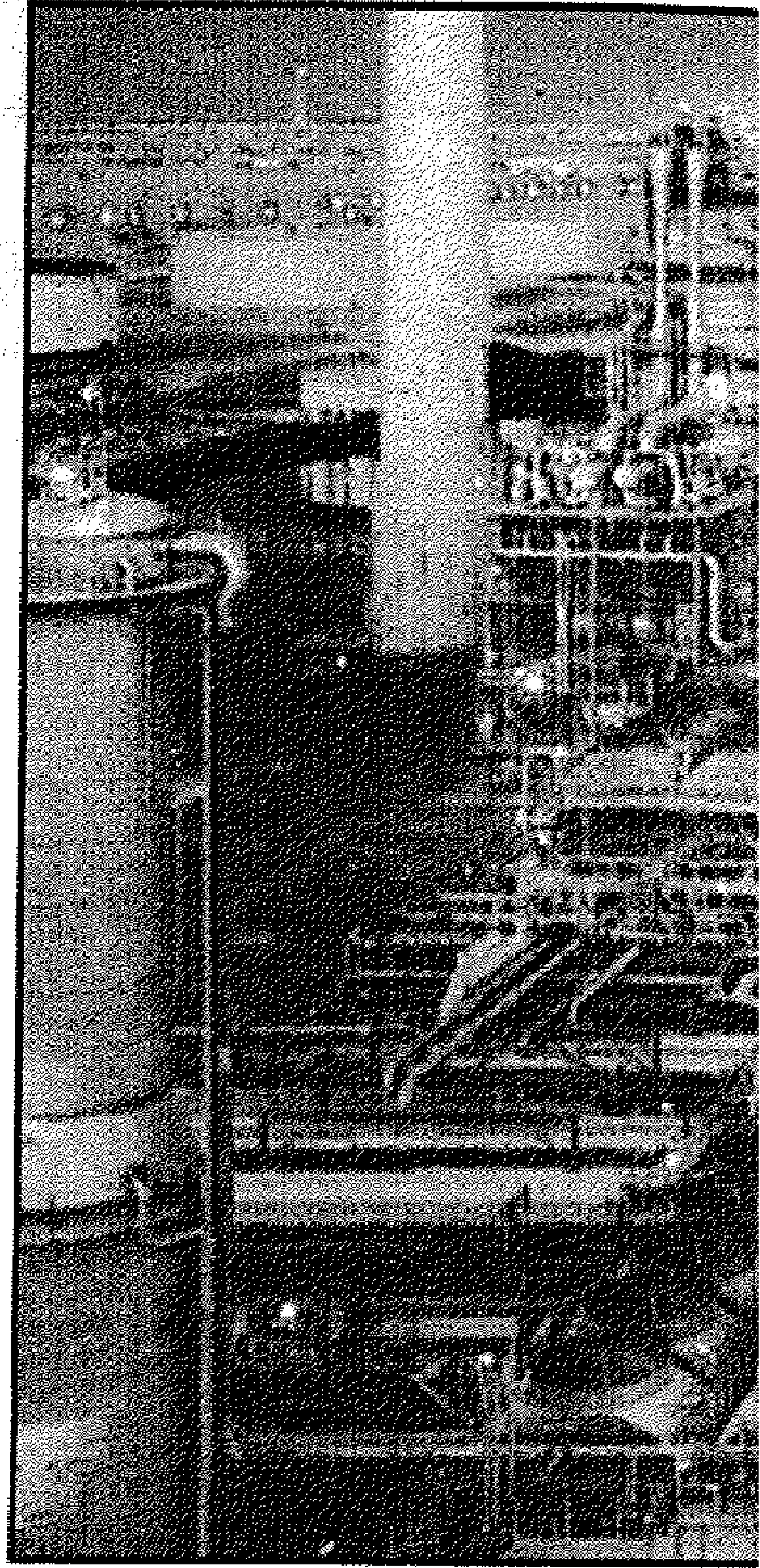
الانشاءات الصناعية الكبري بالمملكة

الضلالات تتلاشى حينما تقارعها الحجة والمنطق والحيدة، والذين يدرسون - بموضوعية وصدقية - السياسة الخارجية للمملكة العربية السعودية لا يجدون صعوبة في الوقوف على الدور العربى والإسلامى كثابتة من ثوابت المنهج السعودي في السياسة الخارجية.

وبداءة، لقد اكتسب اسم المملكة العربية السعودية.. صفة «العربية» في صدر اسمها الداوي البراق، وفي لغتنا العربية نحن نعرف - والجميع يعرف - أن الصفة تتبع الموصوف، وتعتبر المملكة العربية السعودية - من وجهة نظر علم السياسة - نموذجا سياسياً يتضمن كل عناصر النضج والنجاح، فهي دولة أقامها مؤسسها جلالة الملك عبد العزيز يرحمه الله على رصيد ضخم من الحضارة الإسلامية العريقة، ومتعها بقيادة حكيمة متواصلة تستوعب المستجدات والمتغيرات الدولية المتواكبة دون أن تحيد عن خطها الإسلامي الخالد.

ولذلك فإن المملكة العربية السعودية أكثر الدول التي استطاعت أن تعب من مظاهر التنمية والتحديث ولكن مع عدم التفريط في تقاليدها وعاداتها وتراثها الخالد، وفي هذا المنحى استطاعت المملكة أن تحتل مكانة سامقة في سلم الدول التى تجاوزت مراحل الدول النامية، وأصبحت - في أكثر مظاهر حياتها - دولة متقدمة بكل ما تحمله هذه العبارة من تحضّر وتمدّن.

ومنذ أن أرسى الملك عبد العزيز يرحمه الله دعائم المملكة، والسلطة فيها تستند إلى مبدأ العدل والشورى والمساواة، كما أن الخصوصية في السعودية جعلت «العائلة» نواة للمجتمع



السعودي حيث تتم تربية أفرادها تربية إسلامية خالصة كما تتم تربية الأفراد على أساس حب الوطن والافتخار بالانتماء إليه ولتاريخه المجيد.

وتعمل الدولة على تدعيم أركان المجتمع والحفاظ على قيمه العربية والإسلامية وضمان رفاهية المواطن والحفاظ على حياته الكريمة وتوفير الأسباب الكفيلة بتنمية مداركه وقدراته وطاقاته.. ولقد نص النظام الأساسي للحكم على أن بيت الملك وسمو ولي عهده مفتوحان أمام أي مواطن، أي أن الأواصر بين الحكام والشعب تمتد إلى البيت الكبير.. بيت الملك الأب أولا والراعي ثانيا.

إن خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز متعه الله بالصحة وأمد في عمره الذي واكب مسيرة البناء والتنمية في المملكة، كان وما زال أشد المتحمسين إلى استكمال المشاريع التي بدأها والده الملك عبد العزيز فلقد استبدل لقبه رسمياً بخادم الحرمين الشريفين، ووضع كل إمكانات المملكة من أجل عمار وبناء وتوسعة المقدسات الإسلامية في مكة المكرمة والمدينة المنورة.

وفي عهد الملك فهد شهدت المملكة العربية السعودية الكثير من وسائل التحديث والتطوير سواء على مستوى النظام السياسي حيث أصدر خادم الحرمين الشريفين النظام الأساسي للحكم ونظام مجلس الشورى الجديد ونظام المناطق، أو على مستوى التنمية حيث تزدهر المدن وينمو الاقتصاد صناعياً وزراعيا إلى أعلى مستوى.

والشورى في المملكة العربية السعودية كما قال خادم الحرمين الشريفين لم تنقطع منذ أن تأسست المملكة في عهد الملك عبد العزيز، بل ظلت قنواتها المستمرة تخضع للتطوير حتى صدرت في عام ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م الأنظمة الجديدة.

والواقع أن حرص خادم الحرمين الشريفين على المشاركة السياسية من القاعدة إلى القمة.. هي رؤية سياسية ليست جديدة عليه، وكثيراً ما تحدث عنها ومارسها في العديد من المناسبات.

وهكذا جمع هذا المنهاج ثوابت الحكم في مملكتنا الفتية؛ وظلت هي الثوابت التي كتبت استمرارية الحكم واستمرارية الكيان والدولة عبر أبناء الملك عبد العزيز الذين لم يحيدوا ولا قيد أنملة عن هذه الثوابت حتى كتب الله على أيديهم تنمية هذا الوطن وسعادة هذا الشعب.

ولذلك يشعر المواطن السعودي بالفخر والاعزاز وهو يحتفل - في كل عام - بالعيد الوطني، إذ أن العيد الوطني أصبح إضاءة نرى من خلالها في كل عام منجزات تدفع بنا إلى مزيد من الأمل والثقة في قادتنا وبلادنا .

فاللهم أدم علينا نعمة هذا الحكم وظله بمزيد من الاستقرار والأمن والأمان.. والله دائما في عوننا .. ما دمنا نفتدي ديننا الإسلامي بالنفس والنفيس.

الوحـدة .. والتوحيد

قـال الله تعـالى: {الذين إن مَكَّناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور} (سورة الحج/ ٤٢).

هذا اليوم الوطني الذي تحتفل به أمتنا السعودية كل عام يعد يوما بارزا في تاريخ أمتنا وشاهدا على بناء قاعدتها العريضة وانطلاقا لاصلاح واستصلاح أمة طالما تلمست الطريق السوي لهدايتها.

فـمنذ أن توحـدت هذه المملكة في ٢١ جمادى الثانية ١٣٥١هـ، الموافق ١٩٣٢م، بعد زمن طويل من الجهاد النفسي والميداني بالمال والنفس وترقبت الأمم خارجا وداخلا الى توحيد عقيدتها وفكرها وصفها ونظمها. أقام جلالة المغفور له الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود مجتمعا من قبائل متنافرة كانت تحارب بعضها البعض وتأتمر بمبادىء الجاهلية، فأقام رحمه الله - بهذا المجتمع أمة متعطشة الى الامن والاستقرار فبنى دولتها على أسلم القواعد وأمتن الأسس، فصدقت نية المجاهد الكبير جلالة الملك عبد العزيز آل سعود - طيب الله ثراه - وتضافرت جهود المستنين بسنته من بنيه وحفدته وبنى شعبه فكان العطاء.. المبارك وفيرا وأضحت مملكتنا مركز عطاء وامن واستقرار وعلم وتعلم وتعليم وصناعة وزراعة وتكنولوجيا وتقنية يرنو اليها العالم على اختلاف جنسياته وينظر الى شعبها وحكامها بعين الأكبار والتقدير

حقا - إن لهذه الذكريات قائدا موهوبا ولهذه الانجازات مهندسا عظيما وأن استحضار الرجل ومنجزاته في يوم من كل عام انما هو لتجديد العطاء والاصلاح في الساحة السعودية على ايدى هذه الاسرة المباركة بأرقى اساليب العلم في شتى المجالات ومناحي الحضارة ذات الطابع الاسلامي والمشاركة الواعية في اصلاح حال الامة العربية والاسلامية اذ أن امتنا الاسلامية مطالبة بهذا الاصلاح والاستصلاح. «ما منكم من أحد الا وهو على ثغر من ثغور الاسلام فالله الله أن يُؤْتَى الاسلامُ من قبله»، كما جاء في الأثر.

واننا اذ نحتفل بهذه الذكرى فإننا نحتفل بعطاء وإصلاح وقيم وشيم وشمم، يتوارثها الخلف بعد السلف من أبناء واحفاد هذا الرجل العظيم الذى طالما يتحدث عن واجبه تجاه خدمة أمته فيقول وأقواله كثيرة - لخدمة شعبه السعودي والشعب العربي والمسلم: (ان خدمة

سعد بن عبدالله المليص
أمين عام / جمعية البر الخيرية بالباحة

الشعب واجبه علينا لهذا فنحن نخدمه بعيوننا وقلوبنا، ونرى أن من لا يخدم شعبه ويخلص له فهو ناقص، شعبنا العرب فنحن من العرب واليهم وخدمة الاسلام والعرب واجبة علينا بصفة عامة).

ويقول: (متى اتفق العلماء والامراء على أن يستر كل منهم الآخر فيمنح الأمير الرواتب والعلماء يدلسون ويتملقون ضاعت امورنا وفقدنا - والعياذ بالله - الآخرة والاولى).



تنوع مجالات التعليم في المملكة

وهكذا يقول الملك الراحل في حياته وأقواله بعد مماته دستور يحتذى به كهول وشباب أمتنا السعودية، ومما لامراء فيه أن صلاح هذا الملك السلفى أصلح الله به بنيه وشعبه وأمته ووطنه الى يومنا هذا (.. رحمه الله وجمعنا الله به في دار كرامته..)، فقد رسم جلالته رحمه الله واصحاب الجلالة من ابنائه لهذه الامة منهج القيم الفطرى الذى درأ عن أمتنا الفساد والشرور وحل به مشاكلها العقائدية حتى عادت الى سنة المصطفى عليه الصلاة والسلام وعبدت الله وحده وحملت راية التقدم التى نصبت على قاعدة فريدة في تكوين هذه الدولة أرضا وتهذيب انسانها فردا وجماعة على أسس متينة تتلخص بنيتها كما جاء في نهج دولتنا من:

* تجديد الايمان بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد {صلى الله عليه وسلم} نبيا ورسولا.

* تصور الفرد للكون والانسان والحياة تصورا كاملا لترسخ عقيدة أهل السنة والجماعة في خلد الفرد والجماعة.

* وجوب طلب العلم للفرد ووجوب توفيره على الجماعة (أي الدولة) جماعة المسلمين.

* اعطاء المرأة فرصتها مع شقيقها الرجل للتعلم بما يتفق مع فطرتها التي فطرها الله عليها.

* اعطاء التعليم الاولوية في الخطة العامة للدولة (.. يرفع الله الذين آمنوا منكم

والذين أوتوا العلم درجات..)

* توعية الأمة لتسير مع التطورات الحضارية العالمية والاخذ بكل جديد لا يتعارض مع ديننا الحنيف.

* العودة بالناشئة الى اللغة العربية الفصحى لغة القرآن الكريم لتكون لغة التعليم في كل مراحله.

فتزاحمنا تحت لواء العزة والكرامة الذى استلمه بامانة الخلف الصالح من أبناء الوطن السعودي الملك السلفي جلالة الملك سعود بن عبد العزيز والملك المناضل المجاهد الغيور فيصل بن عبد العزيز والملك الصالح خالد بن عبد العزيز - رحمهم الله - وخادم الحرمين الشريفين الملك البانى فهد بن عبد العزيز الذى حمل هذه الراية بقوة وعزم وأمانة على حملها هذا الشعب الوفي الأبي ويؤازره ولى عهده الامين واصحاب السمو الامراء، فاتسع مهرجان الرضى بين طبقات شعبنا الوفي حتى برز هرم النمو والتطور لهذه المملكة علما وتعلما واقتصادا.. وزراعة وصناعة وتكنولوجيا وتقنية وحضارة وخلقا واخلاقا وفقا لغايات واهداف تتحد في:

* تنمية الولاء فى الفرد والجماعة من بنى قومنا لشريعة المصطفى عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام.

* الانسجام الوطني التام بين العلم الحديث والدين على ضوء شريعة السماء.

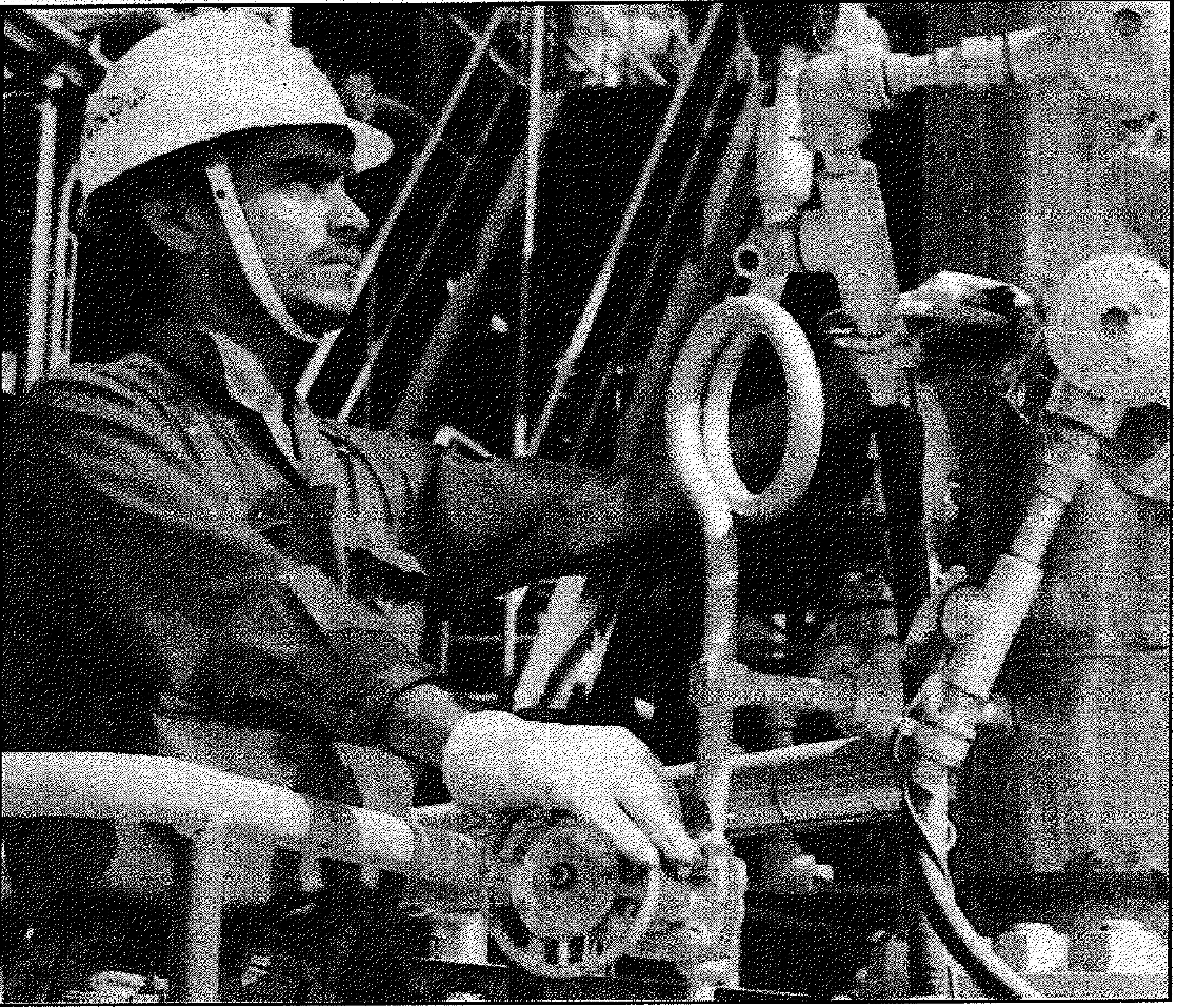
** تشجيع الدولة وتنمية روح البحث والتفكير العلميين مما ينتج عنه عند شباب أمتنا تقوية القدرة على المشاهدة والتأمل فغدى تبصير شبابنا بآيات الله الكونية تمكينا من الاضطلاع بدوره الفعال في بناء الحياة الاجتماعية وتوجيهها توجيها سليما.

* تطوير مرافق بيئتنا السعودية وتوسيع آفاق الشباب حتى اصبح تعرُّفُه على مختلف اقطار العالم مشكاة يطل منها بعلمه وتعلمه على مختلف الحضارات المعاصرة.

ولا شك أن جلالة الملك عبد العزيز - رحمه الله - وابناءه ذوى القدوة الحسنة والفكر الصافي الذي ينهل من الشريعة الاسلامية دستورا كانوا وابناء هذا الشعب مهيَّئين لكتابة تاريخ جديد على ارض هذا الوطن، وكان ابرز ما في عدة وعتاد هذه النخبة المباركة من العائلة السعودية المجيدة وشعبها الوفي من مقدمات النصر - تقوى الله والتمسك بسنة نبيه {صلى الله عليه وسلم} فكان لصقر الجزيرة وأبنائه واحفاده والخلص من شعبه ذلك النصر المؤزر والتقدم المضطرد في معترك الحياة حتى يومنا هذا.

إن ترسيخ مسار الزعامة السعودية على طريق الايمان وعقيدة التوحيد والسير في اطار ذلك المنهج القويم، كان لباس العزة والكرامة والتفسير المفضى لدواعى الاستقرار الذى تنعم به هذه المملكة ويفتقر اليه كثير من أمم الأرض.

فهذا يومنا الوطني لحبه المتواصل بيننا نشترك جميعا - حكومة وشعبا - في ذكراه



الأيدي السعودية في مجال الصناعة

ونعيش معطيات انجازات ذلك الراحل العظيم عبد العزيز آل سعود وابنائه ذوى العزم والاباء والعطاء ويقود مسيرتنا اليوم رجل المواقف الوطنية والدولية والاهداف الطموحة والقيادة الفذة ـ خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز وولي عهده الامين وأبناء الاسرة السعودية الكبيرة الذين وضعوا همهم في خدمة هذا الوطن والرقي به فجمعوا بين الكيف والكم وانكروا ذاتهم في جانب الله وأعطوا حق الدين والوطن ـ فكان العطاء الوفير بتسهيل من الله وعون منه.

أسأل الله أن يديم على هذه الامة أمنها واستقرارها ونعيمها ويقيمها على دين الحق ويحفظ لها قائدها ورائد مسيرتها واخوانه الاشاوس وأبناء أمتنا السعودية وأن يعم بالرخاء هذا الوطن ومواطنيه وان يحفظ علينا ديننا الذى هو عصمة أمرنا وأن يرزقنا جميعا الاخلاص والمتابعة في الاقوال والاعمال {ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين} (سورة القصص/ ٥).

اليوم الوطني مزيد من التقدم والرقي

في الأول من الميزان العام ١٣٧٦ الموافق للثاني والعشرين من جمادى الأولى ١٤١٨هـ وللثالث والعشرين من سبتمبر ١٩٩٧م مناسبة عزيزة على قلوبنا جميعا وهي الذكرى السابعة والستون لليوم الوطني للمملكة العربية السعودية.

ففي مثل هذا اليوم منذ سبعة وستين عاما صدر مرسوم ملكي باسم المملكة العربية السعودية حيث توحدت بلادنا تحت هذا الاسم، وأصبح المغفور له الملك عبد العزيز بن سعود ملكا للبلاد.

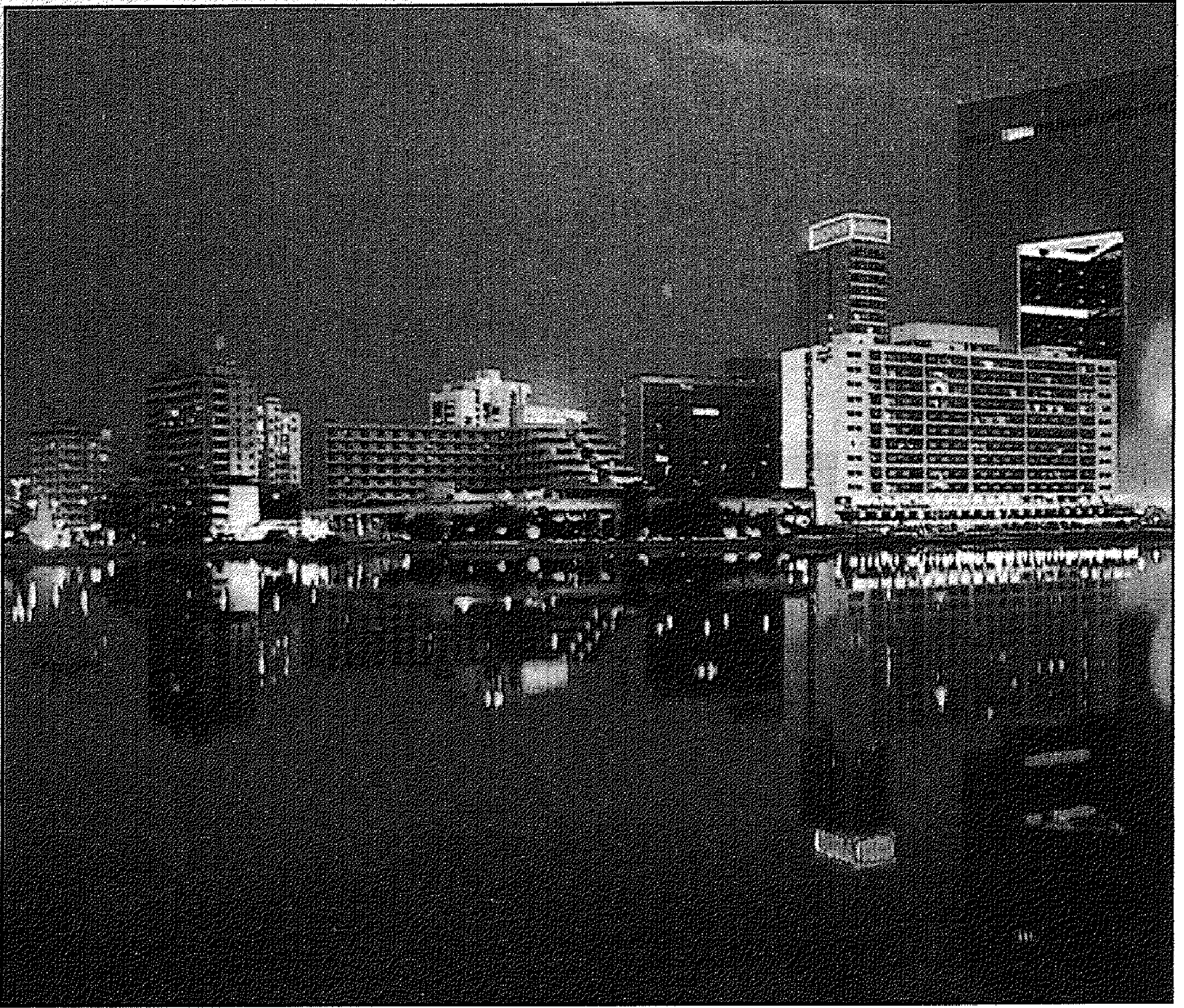
واحد وثلاثون عاما أمضاها الملك عبد العزيز - يرحمه الله - في تحرير وتوحيد الجزيرة العربية منذ دخل الرياض في عام ١٩٠١م حتى تم التوحيد في عام ١٩٣٢م ولعل من العوامل الأساسية التي ضاعفت من نجاحات وحدة المملكة العربية السعودية تلك المرتكزات التي انطلقت منها وهي كتاب الله سبحانه وسنة نبيه المصطفى {صلى الله عليه وسلم} وعدم التدخل في الشئون الداخلية للغير ورفض أى تدخل في شئوننا الداخلية وقيام علاقات أخوة وصداقة مع الدول المجاورة وجميع الدول العربية والاسلامية والدول الصديقة.

وكان ولا يزال هذا الخطاب السياسي للمملكة كمنهج للحكم من أهم الثوابت التي أوصلت بلادنا الى مرحلة متقدمة من التطور والنمو في فترة زمنية وجيزة حيث توارث أبناء الملك عبد العزيزر هذه الثوابت وعملوا على تطويرها بما يخدم الأمة على الصعيدين الداخلي والخارجي.

ولعل أهم ما يمكن أن نتوقف عنده اليوم بكثير في التأمل والاعتزاز هو صانع المعجزة التاريخية الملك عبد العزيز الذي كرس هذا الشموخ وصنع المجد في زمن تتلاطم فيه الأحداث وتعصف فيه متناقضات كثيرة بشعوب هى أحوج الى الحياة الكريمة. ومع ذلك فقد شق طريقه نحو هذه النتائج الرائعة في عالم اليوم.

أي بطولة وأي صلابة وأي اصرار وأي ايمان هذا الذي كان يملأ قلب هذا الرجل العظيم، الذي ظل يعمل ويبنى ويتابع بنفسه كل صغيرة وكبيرة حتى انتقل الى جوار ربه عام ١٩٥٣م وترك بلاده قائمة على أسس ثابتة من الايمان والتوحيد والوحدة. وهذه ثوابت وقواعد أساسية وتوجهات ظلت مرعية منذ كان الملك عبد العزيز - طيب الله ثراه - حتى اليوم.

وتلك هي الميزة التي تقوم عليها هذه البلاد والتى ساعدتها على أن تنمو وتتقدم وترتفع على أرضها قلاع النهضة في كل مدينة وفي كل قرية وعلى امتداد صحاريها ومزارعها.



مدينة جدة .. عروس البحر

واستمر أبناء الملك عبد العزيز رحمه الله (سعود ـ فيصل ـ خالد) رحمهم الله جميعا حاملين راية الاصلاح، مواكبين مسيرة الخير والعطاء لتصبح الصورة هي ما نراه اليوم.

ويجيء خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز ـ يحفظه الله ـ واخوانه الاكارم الابرار ليستمروا على النهج الذي اختطه المغفور له الملك عبد العزيز ويقوم على أسس التمسك بالعقيدة الاسلامية الصحيحة وتثبيت العدل بين الناس وتوفير الأمن وتحقيق التطور للبلاد.

فالمملكة العربية السعودية في عيدها السابع والستين تنعم بالازدهار الذي نتج عن برامج تنموية هدفت الى رفع كفاءة الانسان السعودي، ورفع مستواه المعيشي وبناء شبكة من الخدمات المختلفة تعززها بنية تحتية كبيرة.

وهنا يجب أن نتذكر أن قدرة القيادة السعودية بقيادة خادم الحرمين الشريفين تنفرد في تحقيق هدفين أساسيين بقدر كبير من الحكمة:

الأول: الاستمرار في حركة التطور والتنمية

على المستوى الداخلي في المجالات العامة، من صحة وتعليم وزراعة ومشاريع اسكان وطرق وشبكة اتصالات..

واذا كانت هذه الأرض الطاهرة تضم في أحضانها الحرمين الشريفين فإن الملك فهد بن عبد العزيز الذى تشرف بحمل لقب خدمتهما قد عقد العزم على بناء أكبر توسعة في تاريخ الحرمين الشريفين إذ بدأت التوسعة بخطة طموحة وفق مواصفات عالية ومتميزة . ويعتبر هذا الانجاز مفخرة كبيرة لهذه القيادة ولهذا الشعب بل ولأمة الاسلام قاطبة.

يقول خادم الحرمين الشرفين «إن المشروعات والخدمات المقامة والمقدمة في أعظم مدينتين في العالم، وهما مكة المكرمة والمدينة المنورة، تأخذ حيزاً واهتماما من تفكيري، واننا سوف نؤدي - ان شاء الله - جميع الخدمات لهاتين المدينتين العظيمتين ، لأن هذا شرف لنا وواجب علينا خصنا الله بهما، وخدمة الحرمين فيها الخير والبركة، ونحمد الله أننا نؤديها بنية صادقة فالمقصود بهذه الخدمة هو التقرب الى الله بالأعمال الصالحة».

فتوسعة الحرمين الشريفين وخدمة ضيوف الرحمن فخر السعودية الأكبر.

والهدف الثاني: على المستوى الخارجي حيث نجح الملك فهد في خلق دور رائد للمملكة العربية السعودية في العالمين العربي والاسلامي.

فلقد تزعمت المملكة العربية السعودية منذ جلالة الملك عبد العزيز - طيب الله ثراه - وحتى عهد خادم الحرمين الشريفين - حفظه الله - حركات التقريب بين البلاد العربية، ونشّطت وساطتها لنزع فتيل الخلاف بين عدد من الدول العربية. ولا تزال المملكة تعد أكبر بلد يقدم دعما للنضال الفلسطيني ضد الاحتلال الاسرائيلي الصهيوني.

كما كانت ولا تزال تمد المملكة يد العون والمساعدة للشعوب المستضعفة وبخاصة في محنتها فلقد قدمت الكثير والكثير لشعب البوسنة والهرسك وغيره من الشعوب الاسلامية قاطبة في العالم الاسلامي.

فاليوم الوطنى للمملكة العربية السعودية ليس مجرد ذكرى نحتفل به كلما حان وقته بل هو شريان الحياة الذي ينبض في قلب كل سعودي يعيش على تراب هذا البلد يستمد منه القوة والحياة ليواصل ما أرساه المؤسس الاول المغفور له الملك عبد العزيز - طيب الله ثراه - ووصولا إلى الانجازات العظام التي تحققت على يد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز - حفظه الله - حيث الرفاهية والازدهار والرقي والوصول بالمملكة الى أعلى مكان؛ وهذا يتطلب السير قدما بجد واخلاص وتفان خلف هذه القيادة الرشيدة ليعيش المجتمع السعودي كما هو الآن في ظل الأمن والأمان والرخاء والاستقرار.

■ المنهل ■

معجزات

شعر
احمد عبد السلام البقالي
- الرباط -

يارسول الله مازلنا نرى
لك رغم البعد شتى المعجزات
فصمود الدين في وجه العدا
بعد ما كالوا له من طعنات
وانتصاراتُ هُدى آياته
ومباديه الشُّموس النيِّراتْ
ودخولُ الناس فيه أمماً
باقتناع ورسوخ وثبات
من ذوي الإيمان والحكمة لا
من غثاء السيل في المنحدرات
هي آيات شهيدات على
أن نصراً رائعاً لابدَّ آت!
مُعجزاتٌ لك يا خير الورى
من وراء الغيب تتلُو معجزاتْ

كتابة الحديث وتدوين السنة

(١ ـ ٣)

لقد كان لي بموضوع كتابة الحديث وتدوين السنة صلة أبعد من أن تولد في ظرف قصير. لقد عادت بي الذاكرة إلى أكثر من سنوات كنت خلالها بدأت أتلمس الطريق الحق وسط ركام من الأباطيل، وقبل عشرات السنين قرأت مؤلفا لموريس بوكاي بنصه الفرنسي ـ وكان ساعتها نادرا ـ وخرجت منه بنتيجتين:

أولاهما: أن الرجل أثبت أن القرآن حق..

وثانيهما أنه أشار إلى أن السنة لا يستطيع أن يتكلم عنها لأنها لم تدون، بل لم تكتب إلا في القرن الثاني الهجري.. وقد كتبت كما قال وسط ظروف المحنة، محنة الانقسامات ونشوء الفرق والمذاهب والطوائف وهو أمر لا شك سيدفع الأيدي إلى الافتراء والتزوير والكذب على رسول الله ـ ولن أناقش هذا القول لأن ما ذكره ليس سببا وحده في الوضع والدس ولكن ستتبين في هذا العرض ـ على ضعف الأسباب العلمية ـ رأيا قد يبدي بعض الحقائق وقد يعفو عن كثير مما تعارف عليه الناس في هذا الباب.

وثانية النتائج هو قيام البعض بالادعاء أو بالدعوة إلى عدم الأخذ بالسنة للأسباب التى ذكرت في الكتب ودعا إلى الاقتصار على القرآن.. ومتى كان القرآن وحده يغني عن السنة؟ ومتى كانت السنة تغني عن القرآن؟ وقد ألف المؤلفون قدماؤهم ومحدثوهم تآليف فى هذا الباب وبينوا أن أصل الشريعة هما القرآن والحديث وإجماع المسلمين.

ذلك ما أثار انتباهي إلى إحياء مقروءاتي من السنة والحديث حتى نفهم الموضوع، وحتى لا نكون ببغاء تردد ما يردده الناس، أو تقول ما قالته الببغاوات الأخرى.. فقد أرشدنا القرآن الكريم إلى استعمال الفكر وتنمية المدارك من أجل الاكتشاف، اكتشاف الحق، وتمييزه عن الباطل وما أكثر الباطل في دنيا الناس والأهواء.

كان موضوع كتابة الحديث وتدوين السنة يبدو أكبر من تلميذ قاصر لم يتيسر له الإتصال بالحديث.

إن علماءنا قد عملوا فأخذوا وأعطوا، وكان أخذهم لأحوال الحقبة التي عاشوا فيها، وكان عطاؤهم أيضا من جنس الأخذ، ولذلك نجد ابن عاشر رحمه الله يقول في وَجَل وتخوف: وَجَل مَنْ لا يدَّعي لنفسه العلم، وقد كان بحرا من العلوم، وتَخَوُّف من الانتقاد والانتقاص ووعيد {ولا تَقْفُ ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا} .

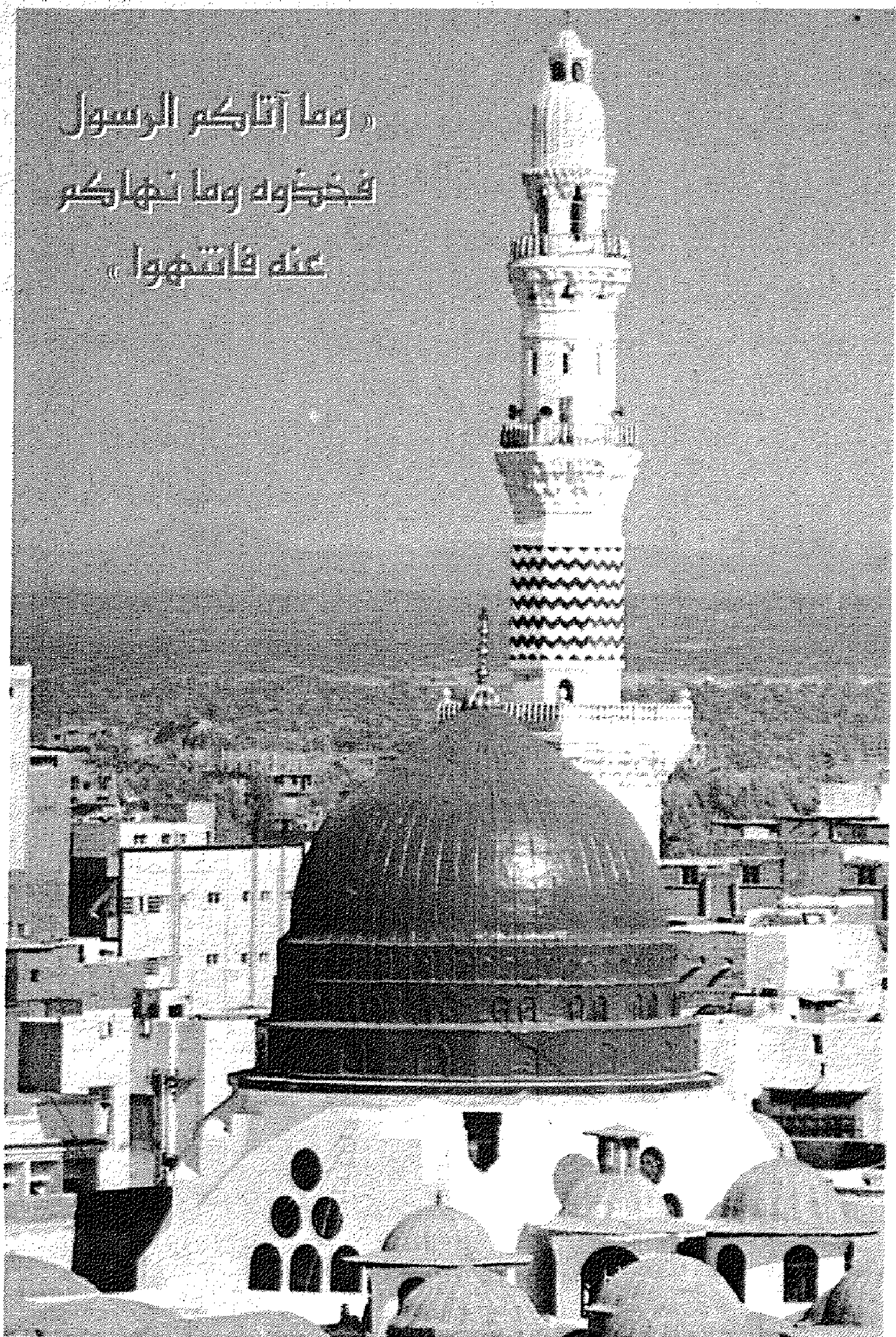
على خلاف أحوال الناس، وادعاء الناس، نجده رحمه الله يقول:

بقلم:
د. عبد الحميد التمسماني شبكودة
ـ المغرب ـ

الكاتب في سطور:

- دكتوراة في علم الاجتماع الديني، جامعة ليل، فرنسا ١٩٨١.
- أستاذ بكلية الأديان المقارنة بأنفرس بلجيكا ١٩٨١.
- محاضر بكلية المنطق والآداب بجانط بلجيكا ١٩٨٢.
- أستاذ بالمعهد الإسلامي بالمركز الاسلامي، بيروكسيل ببلجيكا.
- ممثل رابطة العالم الاسلامي بإسبانيا.
- رئيس تحرير مجلة «الإيمان» باللغة الفرنسية.
- مدير جريدة الفريضة.

* من مؤلفاته: «الإسلام كعامل تغيير» - «الثقافة والتبعية» - «المرأة في الاسلام» - «الزواج المختلط» - «البعث الاسلامي باسبانيا».



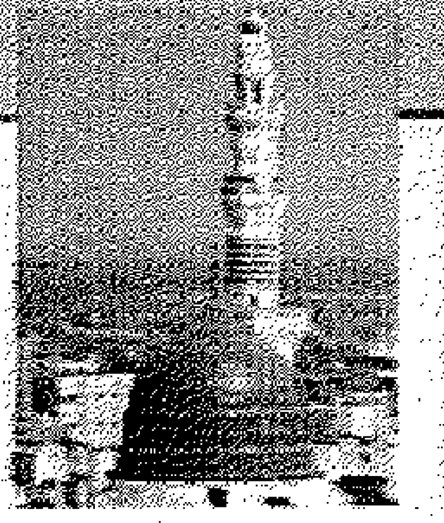
وبعدُ فالعون من الله المجيد

في نظم أبيات للأمي تفيد

في عقد الأشعري وفقه مالك

وفي طريقة الجُنيد السالك

نعم، يقدم زبدة العلم والعقيدة والمذهب في زمن كان ذلك هو الراجح وهو المرجوح وهو كل شيء في حياة الخاصة والعامة، ولعمري أنه لأفضل من هذه الفتن التي قامت في المساجد، تكفر الناس، وتلعن المؤمنين، ويدعي أصحابها الإجتهاد، وهو باب لم يغلق ما دام القرآن والحديث بيننا، وما دام العقل في تطوره داخل رحلته إلى الله، غير أن صفات المجتهد التي أجمع عليها العلماء أو كان عليها الأئمة، قد لا تتجمع في رجل واحد كما تجمعت في أولئك



الأئمة الأفذاذ، رحم الله الجميع.

أقـــول: إني لم أكن أملك هذه القـــدرة التي تمكن الدارس من العرض والاستنباط والحكم والتقصي، وحسبي من الأمر أن أكتب، وحسبي من الأمر الايمان بسعة صدور أساتذتنا الأجلاء فإني داخل جديد، ولكل داخل جديد دهشة.. ولطول الدراسة فقد قسمتها الى قسمين:

القسم الاول: (مفهوم الكتابة - الامة العربية بين الامية والكتابة - مفهوم الأمية عند المحققين - مفهوم الحديث - مفهوم السنة - كتابة الحديث وتدوين السنة - معنى الكتابة ومعنى التدوين - آثار تدل على اهتمام الصحابة بالسنة).

والقسم الثاني: (توافر الكتابة والصحف دليل على كتابة الحديث قبل موعده المعلوم - اسباب النهي عن الكتابة في نظر العلماء - النصوص التى اعتمدوها في النهي عن كتابة الحديث - آراء المفكرين في كتابة الحديث في عهده {صلى الله عليه وسلم} - احاديث الاباحة اكثر وأقوى - ابو هريرة شخصية حقيقية - محمد بَشَرٌ لا كل البشر - اسماء الصحف واسماء اصحابها.

مفهوم الكتابة

قال شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويرى (٦٧٧ - ٧٣٣هـ) «اصل الكتابة مشتق من الكتب وهو الجمع، ومنه سمي الكتاب كتابا، لأنه يجمع الحروف، وسميت الكتيبة كتيبة لانها تجمع الجيش».

الأمة العربية بين الأمية والكتابة

قال ابن قتيبة في حديثه عن قلة الكتابة قبل ظهور الاسلام وقلة العالمين بها، وهو يشير الى عبد الله بن عمرو احد المشهورين بالكتابة بينهم قال: لانه - أي عبد الله بن عمرو - كان قارئا للكتب المتقدمة، ويكتب بالسريانية والعربية وكان غيره من الصحابة أميين لا يكتب منهم الا الواحد والاثنان، واذا كتب لم يتقن ولم يصب التهجي) وعلَّق الدكتور ناصر الدين الاسد على هذا القول بقوله: (ولا ريب أن هذا القول من ابن قتيبة افتئات على الحقيقة التاريخية وتعميم لا اساس له من الحق).

لن اطيل في هذا الباب فان النقاد والمؤرخين والدارسين اختلفوا في الامر اختلاف مشاربهم وواقعهم ومعتقداتهم: فطائفة القوميين العرب او الذين تدفعهم الغيرة على عروبتهم حين يتعرض لها الناس بسوء عن قصد وغير قصد، وهي غيرة قد تنسيهم - في نظري حقائق، وتغفلهم عن وجوه، وهو الامر نفسه بالنسبة لمن يحاكم الامة العربية بمقياس الاسلام، ويحاكم الرجل الجاهلي بمقياس ما أمر به الاسلام وما جاء به نبي الله {صلى الله عليه وسلم} فكلاهما مُغال، والأمر وسط في نظرى.. ذلك ان الامة العربية كانت أمية، والأمية لا تعني في ذلك العصر عدم معرفة القراءة والكتابة وحدها، ولكنها تتجاوز هذا المفهوم الى معنى أوسع وأشمل مما نريد أن نجده به أو نجعله حجة للغمز وذريعة للَّمز، سواء كنا من الطائفة الاولى أو من الطائفة الثانية.. وقد وردت الامية بمعنى عدم معرفة القراءة والكتابة.

مفهوم الأمية عند المحققين

هي بمعنى عدم معرفة الله الواحد أو ما اسموه الأمية الدينية فمن المفهوم الأول: ما ورد عن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} كما جاء في الصحاح عن ابن عمر رضي الله عنهما «إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب: الشهر هكذا أو هكذا».

وان كان بعضهم يرى أن هذا الحديث يعني التدوين المنظم والتوقيت المقوم ولا يعني الامية في القراءة والكتابة وبذلك يجعل الحديث الشريف

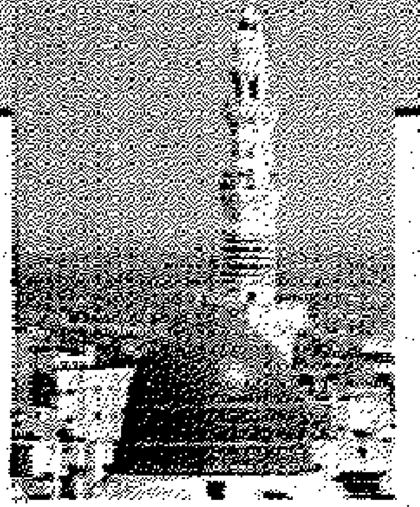
دليلا يضاف الى طائفة الحجج الدالة على أن مفهوم الامية إنما كان هو الامية الدينية، ومما استدلوا به على معرفة العرب القراءة والكتابة، أسواق الشعر التي أقاموها، ووجود طبقة من الشعراء كانت تهذب قصائدها وتشذب أراجيزها، والتهذيب والتشذيب يحتاج إلى قيد من الكتاب، والكتاب يحتاج الى علم بالكتابة، وقد ساقوا حججاً من القرآن الكريم تدل على أن الأمة العربية كانت أمة كاتبة وان مفهوم الامية الملصقة بهم كانت تعني نسيانهم الدين، وجثوم العرف الذي تعارفوا عليه وكانوا أميين أي غير عالمين بقواعد الدين الذي نسوه في غمرة تلك الفترة. فلقد استدل انصار هذا بما جاء في القرآن الكريم {ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني وإن هم إلا يظنون، فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا، فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون}.

قال ابن جرير الطبري يسنده الى ابن عباس عنه قال: «ومنهم أميون، قال الاميون قوم لم يصدقوا رسولا أرسله الله، ولا كتابا أنزله الله، فكتبوا كتابا بأيديهم ثم قالوا لقوم سفلة جهال: هذا من عند الله وقال قد أخبر انهم يكتبون بأيديهم ثم سماهم أميين لجحودهم كتب الله ورسله».

غير ان لي رأيا آخر في هذا الباب قد يكون هو الصواب وقد يبعد عن الصواب وحسبي من الامر اني قارىء جديد، وحسبي من الامر أن من اجتهد وأصاب فله اجران وان من اجتهد واخطأ فله أجر واحد.

اقول إن الأمر لا يحتاج الى هذه الاطنان من الورق والمداد والخلافات والنزاعات ولكنه يحتاج الى امعان النظر لنجد أن الأمة العربية كانت ككل الأمم فيها من الكتاب وفيها من غير الكاتبين، وعلى قدر الفكر واللحظة التاريخية كانت هذه الأمة، فلا يمكننا أن نقدمها عن عصرها ولا يمكننا أن نؤخرها عنه.

لقد كانت الكتابة معلومة معروفة، وكانت متداولة مما يبدو في أحلافهم ومعاهداتهم ولا أدل على ذلك من حلف الفضول والفجار وصلح الحديبية وغيرها، وقد تكون الكتابة قليلة بعض الشيء وهو أمر ما نزال نعيشه حتى يومنا هذا فلم ننكره عن الأمة العربية في عصرها الجاهلي، ونحن اذ نصدر هذا الحكم في موضوع أمية العرب قبل الاسلام نشير الى أن الأمة العربية قد تكون أميتها تلك دعوى لفَّقها أعداؤها من خارج الجزيرة فانها تقع بين قوتين عظيمتين في عصرها الذي نتحدث عنه: قوة ملحدة مجوسية شرقية هي قوة الفُرس وقوة ضالة تائهة غربية هي قوة الروم، وبين اتباعهما المتبوعين كالحبشة وغيرها.. ووجود هذه الأمة المتماسكة في عاداتها على غير اتصال، المتآلفة في طباعها على غير لقاء، القوية في هجمتها انتقاما واقتصاصا، المحافظة على حريتها في جفاوة، خوفا من ليونة الاستعباد.. وجود هذه الأمة بهذه الطباع يجعل القوتين اللتين اشرفتا على الانهيار في قمة تفاهة الحضارة المادية، ومادية التفاهة الحاضرة.. اقول كان ذلك عاملا من العوامل التي تدفع بهاتين القوتين الى محاولة استعباد هذه الأمة وتسخير امكانياتها المادية والبشرية من اجل بعث جديد وتدفق دم جديد يحمل في طياته الشباب والفتوة لهما، فلما لم يدركا ما ارادا اتهما أمة العرب بالامية، كما اتهم الرومان وهم قوة الغرب الضالة ـ المغاربة بالهمجية والبربرية، فكانوا يدعون من عداهم من الشعوب «بربار» وكما فعلت اليهود حينما ظنوا أنهم شعب الله المختار وأن من عداهم همج، وكما ادعت المانيا الهتليرية أن الجنس الآري



أقدس الاجناس وأعقلها وأذكاها.

والنتيجة أن الكتابة كانت معلومة

ونستنتج مما تقدم أن الكتابة كانت متداولة وأنها كانت في متناول من يريدها، وهذه الارادة قد لا توجد عند الكثيرين من الجاهليين وإن كانت خامدة ففجرها الاسلام الذى كان اول وحي الله فيه على رسوله {صلى الله عليه وسلم}: {اقرأ باسم ربك الذى خلق، خلق الانسان من علق، اقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم، علّم الانسان ما لم يعلم}. وكان ان جعل رسول الله فدية أسرى بدر الذين ليس لهم مال ان يُعلِّم الواحد منهم العشرة من الصحابة المتخلفين في الكتابة والقراءة.

مفهوم الحديث

إن الناظر الى كتب الحديث يرى علماءه يُعرفُونه بأنه هو ما قاله رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أو فعله أو أقره وكل صفة خلقية أو خُلُقية لرسول الله {صلى الله عليه وسلم} ولعل بعض العلماء يحرصون على التمييز بين الحديث وبين السنة وهو أمر ملحوظ عندهم. قال محمد عجاج الخطيب:

وإن كان بعضهم يفرق بينهما، فيرى الحديث ما ينقل عن النبي عليه الصلاة والسلام والسنة ما كان عليه العمل المأثور في الصدر الاول ولذلك قد ترد أحاديث تخالف السنة المعمول بها، فيلجأ العلماء حينئذ الى التوفيق والترجيح، وكلام عجاج يناسبه تماما ما قاله عبد الرحمن بن مهدي: «لم أرِ قط اعلم بالسنة ولا بالحديث الذي يدخل في السُّنة من حماد بن زيد». ويبدو الفرق واضحا بين الحديث والسنة في جواب عبد الرحمن بن مهدي حين سُئل عن الثورى والاوزاعي ومالك قال: (سفيان الثورى إمام في الحديث وليس بامام في السنة والاوزاعي إمام في السنة وليس بامام في الحديث ومالك امام فيهما». ولعلني لا اكون مجانبا الصواب اذا استنتجت هذه النتيجة وهي أن الحديث هو قول النبي {صلى الله عليه وسلم} قيل ذلك حتى ليمكن القول كما قال الفقهاء: السنة ما كان عليه النبي وصحابته والبدعة ما احدث بعد ذلك..

مفهوم السنّة

والسنة في اللغة معناها السيرة، حسنة كانت أم قبيحة قال خالد بن عتبة: فلا تجزعن من سيرة انت سرتها فأول راض سنة من يسيرها (وسنته) وسننتها سنا واستننتها.. سرتها وسنت لكم سنة فاتبعوها وفي حديث في صحيح مسلم بسنده عن المنذر بن جرير عن ابيه «من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة «حديث».

قال محمد عجاج الخطيب (والسنة اذا اطلقت في الشرع فانما يراد بها ما امر به الله النبيً {صلى الله عليه وسلم} ونهي عنه وندب اليه قولا وفعلا) (وهي عند المتحدثين ما اثر عن النبي {صلى الله عليه وسلم} من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خُلُقية أو سيرة سواء اكان قبل البعثة ـ كتحنثه أو بعدها).

وهي في اصطلاح علماء اصول الفقه: كل ما صدر عن النبي {صلى الله عليه وسلم} غير القرآن الكريم من قول أو فعل أو تقرير بما يصلح أن يكون دليلا شرعيا لحكم شرعي. وهي عند الفقهاء ما ثبت عن النبي {صلى الله عليه وسلم} ولم يكن من باب الفرض ولا الواجب فهي الطريقة المتبعة في الدين من غير افتراض ولا وجوب وقد تطلق عند الفقهاء في مقابلة البدعة كما أسلفت.. ومهما يكن من امر فان الحديث

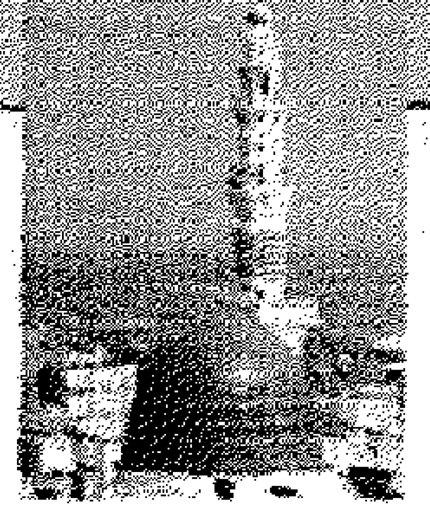
في معناه الاهم يلتقي بالسنة، وأن السنة في خصوصيتها تلتقي بالحديث واذا فرق بينهما فمن اجل التدريس والافهام والا فان الحديث هو السنة والسنة هي الحديث وما هذا التفريق بينهما الا لوجود خطوط الطول وخطوط العرض في الارض وهو تقسيم وهمي اصطلاحي نجم عن التقنيين.

كتابة الحديث وتدوين السنة:

(لما كان الاسلام قد امر الصحابة للتفقه في الدين وتعلم الكتابة يبدو ذلك في تمجيد العلماء في قول الله تعالى) {قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الالباب}.

فان العلم لا يؤخذ ولا يحفظ الا بالكتابة والتقييد ولا يتأتى هذا الا بمعرفة هذه الكتابة وهي ممارسة حيوية لاختزان العلوم وحفظها اذ قلما تسلم الذاكرة من آفة النسيان.. ولقد كان رعيل الصحابة - رضوان الله عليهم - يحفظون القرآن عن ظهر قلب كما حفظوا السنة في الصدور ولم يقتصروا على ذلك فنظرا لحصرهم على هذا الدين الذي انقذهم الله به، وحفظهم على رسول الله، ومحبتهم اياه فقد اندفعوا في ممارسة هذا الحديث ومعايشة هذه السنة فتخلقوا باخلاق القرآن وحفظوا كلا من القرآن والحديث في القلوب والعقول والصحف والجلود وتنافسوا في ذلك حتى عاش الواحد منهم يتلقف الحديث ويحرص على مصاحبة النبي والسماع منه، وكلهم كان كذلك الا أن تدعوه ضرورة أو يدفعه دافع، فهذا ابو هريرة لما سئل عن سبب كثرة الاحاديث التي رواها وقد احس بانهم ينكرون عليه ذلك قال معتذرا.. ان الناس يقولون اكثر ابو هريرة ولولا آية في كتاب الله ما حدثت حديثا ثم يتلو {إن الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون} ان اخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق في الاسواق، واخواننا من الانصار كان يشغلهم العمل في اموالهم وان أبا هريرة كان يلزم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ويشبع بطنه ويحضر مالا تحضرون ويحفظ مالا تحفظون.

نعم لم يكونوا مقتصرين على الحفظ بل كانوا يكتبون وهو ما سنبينه إن شاء الله.. وكانت كتابة الحديث قائمة حتى في عهد رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وخاصة احاديث الاحكام فقد كان الصحابة يبحثون وينقبون ويستفتون ويتلقون الفتوى فينقلونها الى اهليهم والى قومهم بل ينقلونها الى الناس، وما كانت امانة التبليغ والامر بالمعروف والنهي عن المنكر مبنية على الحفظ الذي قد يعفو عنه الزمان، ولكنها كانت كتابة وتعبيرا وحفظا بل واستعملوا وسيلة تخلد هذا الحديث حتى يصل الى الآخرين لانهم ادركوا قبل غيرهم قيمة الهداية، فالتمسوها وطلبوا اسبابها، وهذا الحديث يبين لنا لهفتهم على الفقه والتفقه اذ أن النبي فيما صح عنه قال «خياركم في الجاهلية خياركم في الاسلام اذا فقهوا» وما كان السمو في مجتمع لا إله إلا الله محمد رسول الله بغير التقوى وما كان العلو والمجد في هذا المجتمع بغير التقوى وما كانت التقوى بغير علم وبغير فقه والقرآن يخبرنا بلهفتهم وتساؤلهم بقول الله تعالى: {يسألونك ماذا ينفقون قل العفو}، {يسألونك ماذا أحلّ لهم قل أحلّ لكم الطيبات}، {يسألونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج} فكيف بهؤلاء المتلهفين السائلين أن يعتمدوا على ذاكرة قد تخونهم ويعتمدوا على قلم وكتابة قد تبعدهم عن نور العلم فالعلم عندهم وسيلة للعمل وهم مطالبون بتبليغه،



وشعورهم هذا جعلهم يتفرقون في الامصار ينشرون الهداية ويبلغون الرسالة وتلك قبورهم في انحاء العالم شاهدة عليهم فهذا خالد بحمص وهذا أبو أيوب الانصاري يلبي داعي الجهاد والدعوة وهو في فراش الموت فيتجاهل على نفسه امتثالا لقوله تعالى: {خفافا وثقالا} كما في بعض التفاسير ويقضى نحبه في اسطنبول أو القسطنطينية ولذلك سيبين لنا ان كتابة الحديث كانت في عهده {صلى الله عليه وسلم} بل ويوم وفاته وقد تزلزلت قلوب وعقول ووجد من بينهم من يجدها فرصة لكتابة احاديث جديدة والتفقه فيها، فهذا ابن عباس رضي الله عنهما يحدثنا عن شغفه بالعلم وما كان العلم الحق غير العلم بالحال التي تكون طاعة الله اما علوم المعاش خارج حدود الله فهي علوم الدنيا وظاهر من الحياة الدنيا وكل شيء في الدنيا يجوز قال الله تعالى: {يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون}.

اخرج الامام الحافظ ابو سعيد عثمان بن سعيد بن خالد السجستاني الدارمي (ت ٢٨٠هـ) والحارث بن محمد بن ابي اسامة التميمي البغدادي الحافظ (ت ٢٨٢هـ) في مسنديهما عن عكرمة عن ابن عباس قال: لما قبض رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قلت لرجل من الانصار: هلم فلنسأل اصحاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فانهم اليوم كثر قال: واعجبا لك اترى الناس يفتقرون اليك قال فترك ذلك واقبلت اسأل، فان كان ليبلغني الحديث عن رجل فآتي بابه، وهو قائل، فاتوسد ردائي على بابه يسفي الريح عليَّ من التراب، فيخرج فيراني فيقول: يا ابن عم رسول الله، ما جاء بك، هلا ارسلت إليَّ فأتيتك، فاقول: لا أنا احق ان آتيك، فسأله عن الحديث، فعاش الرجل الانصاري حتى رآني وقد اجتمع الناس حولي يسألونني فقال: هذا الفتى كان اعقل مني، ولقد كان الصحابة اعقل الناس في الحفاظ على الحديث.. غير انه تلبس على الناس - من القدماء وسار معهم من المحدثين - امر الكتابة كما يبدو في الوهلة الاولى للناظر في بعض الاحاديث وكانها متعارضة وليست كذلك وانما هي متكاملة لانها انما هي تتميم لبعضها البعض أو توقيف لبعضها بعد رفع السبب، أو توسعة للمسلمين في الاحكام.. فبدت عند الذين لا يدركون ذلك وغيره تتعارض وتتناقض فحاولوا التوفيق فلم يوفقوا ففتحوا ثغرات لم تغلق، وابوابا لم تسد، وسار من جاء بعدهم سيرتهم فاذا بنا نرث هذه المقولات محنطة كالمومياء نقبلها دون نقاش، وما كان الاسلام في يوم تحجيرا على الافكار أو تجهيدا لحركة البحث والتدبر بل هو الذى فجر قوة البحث، وفتق ينبوع النظر، وقيد ذلك بحدود الاسلام والشعور بمسؤولية الكلمة لانها حكم، والحكم امانة و(إن الله يأمركم أن تؤدوا الامانات إلى أهلها} وقبل أن نشرع في القاء الاضواء على كتابة الحديث في عهد رسول الله وعن اوائل تدوين السنة لابد من الاشارة الى امر هام اذا اتفقنا عليه من الآن سرنا بسلام والا فان هذا سيضاف الى باقي الكلام الكثير الذى قيل وما قيل قليل اذا قيس بما يقال وسيقال في دنيا الناس والمشارب والمذاهب، والتنظيرات.

معنى الكتابة ومعنى التدوين

إن الكتابة المقصودة في نظري - كتابة الحديث - هي كتابة شخصية قام بها الأفراد من تلقاء أنفسهم ولأنفسهم ولم يلزموا بها أحدا وإن التدوين هو قيام الدولة أو المجامع العلمية أو من له صلة بهذا أو ذاك لكتابة الحديث أو حفظه بحيث يكون ذلك بينا واضحا وملزما احيانا.

ولا غرو ان كلمة التدوين نفسها جاءت من اصطلاح فارسي معناه اخضاع المقولات والاعمال للادارة ومنه قولهم.. اول من دون الدواوين عمر بن الخطاب.. وكلمة ديوان معناها في الفارسية ادارة .اضيف اليها صفة اخرى وهي «الرسمية».

وسنرى ان عمل الكتابة الفردية وعمل التدوين الرسمي كانا منذ كان رسول الله [صلى الله عليه وسلم] وامتداداً ما يزالان الى قيام الساعة مادام في الارض اسلام وايمان.

فالفرد يدفعه الى الكتابة الايمان بالله وحب الجزاء الاوفى وطلب الدار الآخرة والدولة يدفعها الى التدوين تقصي الفتاوى واستشفاف الاحكام اذا كانت تُحكم شريعة الله والا فمن باب المحافظة على التراث باعتباره يحمل معالم الشخصية التي قد تمسخها اقنعة وقد تشوه وجهها مخالب للكفر نحاسية تبدو للناظر الغير انها قفاز ناعم، والتراث الاسلامي غير القرآن والحديث لان معناه تفاعل المسلم مع هذا القرآن ومع هذا الحديث.

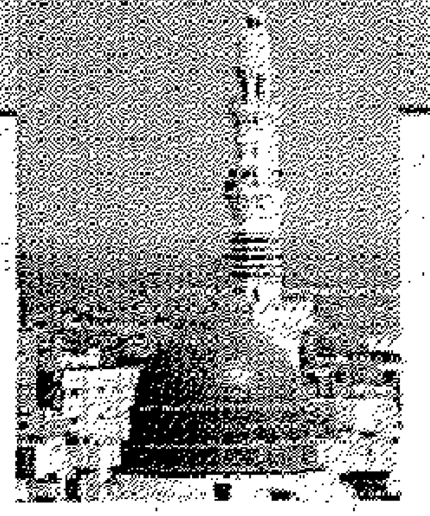
آثار تدل على اهتمام الصحابة بالسنة

ان الحديث في اهتمام الصحابة بالحديث أو السنة لهو حديث عن هذا القلب الذي اناره الايمان بعد أن شمله الظلام، ظلام دامس ترتع فيه خفافيش الشرك وتنعب فيه غربان الجاهلية.. حديث عن عقل سرحه الاسلام من أصفاد الوثنية وقيود العبودية.. حديث عن قوة ربانية توجه القلب والعقل الى الحي الذى لا يموت الله رب العالمين. قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «كنت انا وجار لي من الانصار في بني امية بن زيد وهي من عوالي المدينة، وكنا نتناوب النزول على رسول الله [صلى الله عليه وسلم] ينزل يوما وانزل يوما فاذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره واذا نزل فعل مثل ذلك.

لقد كانت اجسامهم في اماكن العمل ولكن ارواحهم كانت الى جانب رسول الله [صلى الله عليه وسلم]، وكيف لمثل هذا العمل ان يضيع؟ وعمر ليس وحده بل هم الصحب اجمعون فلنستمع الى البراء بن عازب الاوسي وهو يقول.. «ما كل الحديث سمعناه من رسول الله [صلى الله عليه وسلم] كان يحدثنا اصحابنا، وكنا مشتغلين في رعاية الابل واصحاب الرسول [صلى الله عليه وسلم] كانوا يطلبون ما يفوتهم سماعه من رسول الله [صلى الله عليه وسلم]، فيسمعونه من اقرانهم، وممن هو احفظ منهم وكانوا يشددون على من يسمعون منه.

وقد كانوا يتلقون منه أقواله وأفعاله وتقريراته ويتذاكرون ذلك فيما بينهم حتى يحفظوه .. قال أنس بن مالك: «كنا نكون عند النبي [صلى الله عليه وسلم] فنسمع منه الحديث، فاذا قمنا تذاكرناه فيما بيننا حتى نحفظه وكانت اقوال رسول الله [صلى الله عليه وسلم] حكم ما يقع له من حوادث ويفتيهم فيما يقع لهم ويقتدون بوقائعه في العبادات.

ولا شك أن من كانت هذه سيرته لا يستطيع أن يكتفي بحفظ الصدر أو بحفظ الكتابة وان قالوا ما قالوا فهما متلازمان يتمم احدهما الآخر.. من اغرب الامور عندى أن يقال أن النبي نهى عن كتابة الحديث خيفة ان يختلط بالقرآن مع انه اذا كان ولابد من الاختلاط فلم لا يختلط في الصدور.. ما كان الصحابة ليرووا الحديث فلا تخوف من وعيد الرواية.. وكما ثبت عندنا اهتمامهم بالحديث وبالقرآن ثبت ايضا خوفهم من الوقوع في الكذب والانتحال على رسول الله [صلى الله عليه وسلم] وخوفهم هذا دليل صادق على ايمانهم بالله ورسوله فهم يسدون الذرائع حتى لا يقعوا غفلة منهم



ونسيانا، فكيف بالعمل الذى حدث ان تفشي فيمن جاءوا بعدهم باجيال جاءوا يحملون هول الفضيحة ويعيشون محنة الابتلاء واستحواذ الشيطان على الاحفاد انتقاما لعجزه امام الاجداد الصامدين العارفين.

من ذلك ما رواه عمرو بن ميمون قال: ما اخطأني ابن مسعود عشية خميس الا أتيته فيه، قال فما سمعته يقول بشيء قط «قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فلما كان ذات عشية قال: (قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال فنكس، قال فنظرت اليه فهو قائم محلة ازرار قميصه، قد اغرورقت عيناه، وانتفخت اوداجه، قال أو دون ذلك أو فوق ذلك، أو قريبا من ذلك، او شبيها بذلك، وهذا انس بن مالك يقول: لولا أني اخشى أن أخطيء لحدثتكم باشياء سمعتها من رسول الله {صلى الله عليه وسلم}.

وهذا ليس غريبا عمن تأخذه الرعدة، ويقشعر بدنه ويتغير لونه ورعا واحتراما لحديث رسول الله {صلى الله عليه وسلم}.

وأخرج الامام مسلم في صحيحه الجزء الرابع - بسنده الى مجاهد قال: صحبت ابن عمر من مكة الى المدينة فما سمعته يحدث عن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} الا هذا الحديث: مثل المؤمن مثل النخلة».

وآثار الصحابة في هذا الباب كثيرة وما تخوفهم ذلك الا نتيجة ورعهم وتقواهم اذ ان حديثه صلى الله عليه وسلم حجة كبرى لا يتجاوزه والقرآن احد امتثالا لقوله سبحانه وتعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يُحَكِمُوك فيما شَجَرَ بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما}.

ومن الغريب أن يحدثوا بهذه الالاف من الاحاديث دون أن يكونوا قد كتبوها في عهده {صلى الله عليه وسلم} بانه لم يكن للاحكام في عهده {صلى الله عليه وسلم} مصدر سوى الكتاب والسنة، ففي كتاب الله تعالى الاصول العامة للاحكام دون التعرض الى تفصيلها جميعا والتفريع عليها الا ما كان منها متفق مع الاصول ثابتا بثبوتها، لا يتغير بمرور الزمن ولا يتطور باختلاف الناس في بيئاتهم وأعرافهم.

وما كان الصحابة ليقبلوا الحديث من راو دون أن يتثبتوا

«من سمع حديثا فرواه كما سمع فقد سلم» لم يكن قائل هذا غير عمر الفاروق رضي الله عنه فقد شرع للناس امر التثبت في قبول الحديث لان قبوله حينئذ ملزم والالزام معناه العمل به ومطالبة الناس ان يعملوا به كذلك، بل امرهم بالعمل به ومن قبل عمر تثبت ابو بكر رضي الله عنه بطريقته اللينة في غير ضعف فقد رُوي عن النبي {صلى الله عليه وسلم} اثر جاء فيه، ارحم امتي ابو بكر وروى ابن شهاب الزهرى عن قبيصه بن ذؤيب ان الجدة جاءت الى ابي بكر تلتمس ان تورث فقال: ما اجد لك في كتاب الله شيئا، وما علمت أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ذكر لك شيئا ثم سأل الناس فقام المغيرة فقال سمعت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يعطيها السدس، فقال له هل معك احد؟ فشهد محمد بن مسلمة بمثل ذلك فانفذه لها ابو بكر رضي الله عنه. ومن قبل ذلك كان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يوصي اصحابه بالتثبت في رواية الحديث وقبوله، وسر المسألة يكمن في السماع أو الاخذ الحق والحفاظ عليه طريا وتبليغه طريا كما اخذه عن رسول الله ولذلك رغب رسول الله في الاداء الجيد والتحمل الحسن، أخرج الامام مسلم في صحيحه بسنده الى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال قال

رسول الله {صلى الله عليه وسلم} «نضر الله امرءاً سمع منا شيئا فبلّغه كما سمعه فرب مبلّغ أوعى من سامع».

كما تشدد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - في قبول الرواية حتى يتثبت من صحتها فقد ثبت عنه انه كان يجلد من تبين له ان في روايته شيئا فقد قال ابو هريرة «لقد حدثتكم احاديث لو حدثت بها زمن عمر لضربني عمر بالدره».

ولماذا يضربه عمر؟ ألأنه قد يخطيء في الاداء وهو الصحابي الجليل الذى انقطع للرواية؟ ام لانه ذلك الذى وقف حياته على القرآن والسنة ينهل من معينهما وكان حريصا كغيره على صحبة الصادق المصدوق {صلى الله عليه وسلم}؟ والجواب ان عمر كان يأمر بالاقلال في الرواية مخافة الفتنة.. فتنة الاداء وفتنة التحمل قبلها وفتنة التلقى وفتنة التطبيق، فهو لا يضرب ابا هريرة في شخصه بل يضرب فيه عدم الاكثار حتى يبقى العمل بالاقلال قائما فاذا دعت الضرورة كان البحث عن الرواية وكان الاشهاد على صحتها، وهو لا يأمر بالاقلال وهو الذى روى ازيد من خمسمائة حديث في مدة وجيزة - ولكنه كان يخوف الناس في الله تعالى» ولقد «فعل ذلك عمر احتياطا للدين وحسن نظر للمسلمين لانه خاف ان يتكلوا على ظاهر الاخبار، وليس حكم جميع الاحاديث على ظاهرها ولا كل من سمعها عرف فقهها، فقد يرد الحديث مجملا ويستنبط معناه وتفسيره من غيره، فخشى عمر ان يحمل حديث على غير وجهه أو يؤخذ بظاهر لفظه والحكم بخلاف مأخذه ، ونحو من هذا» وانها حق لفتنة ان تلقى الاحاديث دون قيد يبين معناها ويستنبط احكامها كما هي حال العوام في مساجدنا اليوم اذ فتنهم الفتانون وادخلوهم دروبا ملتوية لا يدرون لها منفذا.

أسباب تثبت الصحابة وقبول الحديث في نظري

لعل الناظر الى تشدد الصحابة في رواية الحديث وفي قبوله يدرك أن لذلك اسباباً اهمها:

١ - خوف الصحابة من الوقوع في الخطأ عن غير عمد كالنسيان أو الوهم.

٢ - اتقاء فتنة الاختلاف الناجم عن عدم الفهم الثاقب لنصوص الاحاديث التي قد تبدو عند قاصري النظر متضاربة متناقضة وهم لا يعلمون ناسخها من منسوخها ولا يميزون بين مطلقها ومقيدها.

٣ - قد تسول النفس لمن يأخذ عنهم أن يزيد أو ينقص ما يظهر له انه يؤيد موقفه أو يدعم مركزه أو يقوى مذهبه فيجد في اختلاف الروايات وتنوعها وكثرة الرواة سندا يتوكأ عليه ليلصق بالحديث الشريف رغباته واطماعه وقد ثبت أن النبي {صلى الله عليه وسلم} امر بالتثبت.

٤ - ايمان الصحابة بأن العلم يقتضي العمل وأن من بلغه الحديث صحيحا صريحا وجب عليه العمل به امتثالا لقول الله تعالى {وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا}، لكل هذه الاسباب وغيرها دعا الامر الصحابة الى أن يحافظوا على الحديث النبوي حفاظهم على القرآن لأن الحديث ثاني اصول التشريع الاسلامي، ولقد ثارت في زماننا هذا دعوى الأخذ بالقرآن وحده ونبذ السنة المطهرة وهي دعوى ليست جديدة فقد كانت قديمة وقد حذرنا منها رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حين قال: «ليوشك رجل منكم متكئا على اريكته يحدث بحديث عني فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه من حلال استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمناه» الا وانما حرم رسول الله مثل الذي حرم الله - زاد ابو داوود الا اني اوتيت القرآن ومثله معه».

- للبحث صله -

الجنة

في القصص النبوي

٤١

يتحدث القصص النبوي عن أشجار الجنة وظلالها الممدودة وفننها وعظم ثمارها، وكيف يرتع أهل الجنة تحتها ويستعيدون لهو الدنيا، وإن من الشجر ما يشبه شجر الدنيا، وفي الجنة أشجار عنب عظم العنقود مسيرة شهر، والحبة منه مثل ذنوب الماء تشبع عامة العشيرة، وفي الجنة نخل أصوله من الذهب وأعلاه تمر، ولكن قطوفها دانية يأكل منه أهل الجنة قياما وقعودا ومضطجعين، وفي الجنة أشجار جذوعها من ذهب وفروعها من زبرجد ولؤلؤ تهب عليها ريح فتحدث أصواتا ما سمع بها السامعون ولا طرق آذانهم ألذ منها وغير ذلك كثير وكثير مما سنعرض له فيما يأتي:

ففي قصة عن عتبة بن عبد[١] - رضي الله عنه - قال: (جاء أعرابي إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقال: ما حوضك الذى تحدث عنه - فذكر الحديث - إلى أن قال: فقال الأعرابى: يارسول الله، فيها فاكهة ؟ قال نعم، وفيها شجرة تدعى طوبى، هى تطابق الفردوس[٢]، فقال: أي شجر أرضنا تشبه؟ قال: ليس تشبه شيئا من شجر أرضك ولكن أتيت الشام؟ قال: لا يارسول الله، قال: فإنها تشبه شجرة بالشام تدعى الجوزة، تنبت على ساق واحد، ثم ينتشر أعلاها، قال: فما عظم أصلها؟ قال: لو ارتحلت جذعة من إبل أهلك لما قطعتها حتى تنكسر ترقوتها هرما، قال: فيها عنب؟ قال: نعم، قال: فما عظم العنقود منها؟ قال: مسيرة شهر للغراب الأبقع لا يقع ولا ينثني ولا يفتر، قال: فما عظم الحبة منه؟ قال: هل ذبح أبوك تيسا من غنمه عظيما فسلخ إهابه، فأعطاه أمك فقال ادبغى هذا، ثم افرى لنا منه ذنوبا يروي ماشيتنا؟ قال: نعم، قال: فإن تلك الحبة تشبعنى وأهل بيتى، فقال النبي {صلى الله عليه وسلم} وعامة عشيرتك).

وتضيف قصة عن عبد الله بن أبى الهديل قال: كنا مع عبد الله - يعنى ابن مسعود - بالشام أو بعمّان، فتذاكروا الجنة، فقال: إن العنقود من عناقيدها من ههنا إلى صنعاء.

وروي عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (عرضت علي الجنة، فذهبت أتناول قطفا أريكُموه، فحيل بيني وبينه، فقال رجل:

ـة ونعيمها (٥)

يارسول الله، ما ماء الحبة من العنب؟ قال: كأعظم دلو فرت أمك قط).

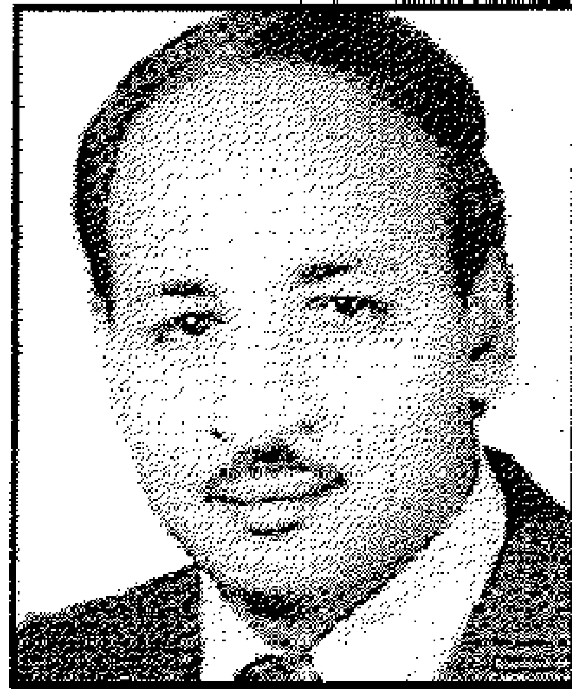
ويتحدث القصص النبوى عن عظم شجر الجنة الذى يحمل هذه الثمار العظيمة والتى لا مجال لعرضها على عقولنا القاصرة، بل كل ما استعظمنا ذلك وهالنا وصفها، كان ذلك مصداق ما روي عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله [صلى الله عليه وسلم] (يقول الله: أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولاخطر على قلب بشر، اقروا إن شئتم: (وظل ممدود) وموضع سوط من الجنة خير من الدنيا وما فيها، واقروا إن شئتم: (فمن زُحْزِحَ عن النار وأدخل الجنة فقد فاز).

فها هو القصص يصف لنا ضخامة وعظمة أشجار الجنة، فعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله [صلى الله عليه وسلم]: (إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، إن شئتم فاقروا: (وظل ممدود، وماء مسكوب).

وعن أبى سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله [صلى الله عليه وسلم] (إن في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمَّر[٣] السريع مائة عام لا يقطعها).

وجاء في قصة عن أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنهما - قالت: سمعت رسول الله [صلى الله عليه وسلم] وذكر سدرة المنتهى فقال: (يسير الراكب في ظل الفنن منها مائة سنة أو يستظل بها مائة راكب - شك يحيى - فيها فراش الذهب، كأن ثمارها القلال).

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: الظل الممدود، شجرة في الجنة على ساق، قدر ما يسير الراكب المجد في ظلها مائة عام في كل نواحيها، فيخرج أهل الجنة: أهل الغرف وغيرهم، فيتحدثون في ظلها مائة عام في كل نواحيها، قال: فيشتهي بعضهم، ويذكر لهو الدنيا، فيرسل الله ريحا من الجنة، فتحرك تلك الشجرة بكل لهو كان في الدنيا.



بقلم:
أ.د. عبد الباسط احمد على حمودة
- مصر -

وروى أبو هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله [صلى الله عليه وسلم]: (إن فى الجنة شجرة جذوعها من ذهب، وفروعها من زبرجد ولؤلؤ، فتهب لها ريح فتصطفق[٤]، فما سمع السامعون بصوت شيء قط ألذ منه).

وعنه أيضا عن النبي [صلى الله عليه وسلم]: (ما في الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب).

وعن جرير بن عبد الله - رضى الله عنه - قال: نزلنا الصفاح[٥]، فإذا رجل نائم تحت شجرة قد كادت الشمس تبلغه، قال: فقلت

للغلام: انطلق بهذا النطع فأظله، قال: فانطلق فأظله، فلما استيقظ، فإذا هو سلمان - رضي الله عنه - فأتيته أسلم عليه، فقال: يا جرير تواضع لله، فإنه من تواضع لله في الدنيا رفعه الله يوم القيامة، يا جرير هل تدرى ما الظلمات يوم القيامة؟ قلت: لا أدرى، قال: ظلم الناس بينهم، ثم أخذ عُويدا لا أكاد أراه بين أصبعيه فقال: يا جرير لو طلبت في الجنة مثل هذا لم تجده قلت: يا أبا عبد الله فأين النخل والشجر؟ قال: أصولها اللؤلؤ والذهب، وأعلاه التمر.

وفي قصة عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: نخل الجنة، جذوعها من زمرد خضر، وكربُها ذهب أحمر، وسعفها كسوة لأهل الجنة، منها مقطعاتهم وحللهم وثمرها أمثال القلال والدلاء، أشد بياضا من اللبن، وأحلى من العسل، وألين من الزبد، ليس فيها عجم[٦].

وعن البراء بن عازب - رضى الله عنه - فى قوله تعالى: {وذُلِّلَت قُطوفها تذليلا} قال: إن أهل الجنة يأكلون من ثمار الجنة قياما وقعودا ومضطجعين}.

ومن عجائب ما فى الجنة - وليس ذلك على الله بعزيز - ما حكاه ابن المبارك قال: أخبر معمر عن الأشعث بن عبد الله، عن شهر بن حوشب، عن أبي هريرة قال[٧] (في الجنة شجرة يقال لها طوبى، يقول الله - تعالى: {تفتقى لعبدى ما شاء، فتنفتق له عن فرس بسرجه ولجامه وهيأته كما يشاء، وتنفتق له عن الراحلة برحلها وزمامها وهيأتها كما يشاء، وعن النجائب والثياب}.

وعن ابن وهب قال: وحدثنا ابن زيد قال: قال رجل: يارسول الله، هل في الجنة من نخل فإنى أحب النخل؟ قال: (أى والذى نفسي بيده لها جذوع من ذهب، وكرانيف من ذهب، وجريد من ذهب، وسعف كأحسن حلل يراها امرؤ من العالمين، وعراجين من ذهب، وشماريخ وكرانيف من ذهب، وأقماع من ذهب، وثمارها كالقلال، وألين من الزبد، وأحلى حلاوة من العسل).

وفى الجنة يزرع أهلها، نقل القرطبي عن البخاري عن أبى هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} كان يوما يحدث، وعنده رجل من أهل البادية، أن رجلا من أهل الجنة استأذن ربه في الزرع، فقال له: أولست فيما شئت، قال: بلى، ولكنى أحب أن أزرع فأسرع وبذر، فبادر الطرف نباته واستواؤه واستحصاده وتكويره أمثال الجبال، فيقول الله: دونك يا ابن آدم فإنه لا يشبعك شيء فقال الأعرابي: يارسول الله: لا تجد هذا إلا قرشيا أو أنصاريا، فإنهم أصحاب زرع، فأما نحن فلسنا بأصحاب زرع، فضحك رسول الله {صلى الله عليه وسلم}.

وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (لقيت إبراهيم - عليه السلام - ليلة أسرى بى فقال: يا محمد اقرأ أمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء، وأنها قيعان وأن غراسها سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر).

وعن أبى هريرة أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} مر به وهو يغرس غرسا

فقال: (يا أبا هريرة ما الذى تغرس؟ قال: غرسا، قال: ألا أدلك على غراس خير من هذا؟ سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، يغرس لك بكل واحدة شجرة في الجنة).

وعن جابر بن عبد الله، عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: (من قال سبحان الله العظيم وبحمده غرست له نخلة في الجنة).

ويكثر في الجنة زرع الريحان كما جاء في القصص النبوي[٨] عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: (الحناء سيد ريحان الجنة، وإن فيها من عتاق الخيل وكرام النجائب يركبها أهلها)

وعنه أيضا قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (لما خلق الله الجنة حففها بالريحان وحفف الريحان بالحناء، وما خلق الله شجرة أحب إليه من الحناء، وأن المختضب بالحناء لتصلي عليه ملائكة السماء إذا غدا وتقدس الأرض) قال السكرى: (وتقدس عليه ملائكة الأرض اذا راح).

وعن أبى عثمان النهدي قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (إذا أُعْطي أحدكم الريحان فلا يرده، فإنه خرج من الجنة).

قال ابن قيم الجوزية[٩] قال ابن أبى الدنيا حدثنى أزهر بن مروان، حدثنا عبد الله بن عبد الله الشيبانى عن عبد الرحمن بن بديل عن أبيه ، عن صفى اليمانى، قال: سأله عبد العزيز بن مروان عن وفد أهل الجنة قال: (إنهم يفدون إلى الله - سبحانه وتعالى - كل يوم خميس، فتوضع لهم أسرة، كل إنسان منهم أعرف بسريره منك بسريرك هذا الذى أنت عليه، فإذا قعدوا عليه وأخذ القوم مجالسهم قال الله تعالى: {اطعموا عبادي وخلقى وجيراني ووفدى، فيطعموا، ثم يقول: اسقوهم فيأتون بآنية من ألوان شتى مختمة، فيشربون منها، ثم يقول: عبادى وخلقى وجيرانى ووفدى قد طعموا وشربوا فكهوهم، فتجيء ثمرات شجر تدلى فيأكلون منها ما شاءوا ثم يقول: عبادى وخلقى وجيرانى ووفدي قد طعموا وشربوا وفكهوا اكسوهم، فتجيء ثمرات شجر أصفر وأخضر وأحمر، وكل لون لم ينبت إلا الحلل فتنشر عليهم حللا وقمصا ثم يقول: عبادى وخلقى وجيرانى ووفدى قد طعموا وشربوا وفكهوا وكسوا طيبوهم فيتناثر عليهم المسك مثل رذاذ المطر، ثم يقول: عبادى وجيراني وخلقى ووفدي قد طعموا وشربوا وفكهوا وكسوا وطيبوا لأتجلين لهم حتى ينظروا إلي، فإذا تجلى لهم فنظروا إليه نضرت وجوههم، ثم يقال لهم: ارجعوا إلى منازلكم، فتقول لهم أزواجهم: خرجتم من عندنا على صورة ورجعتم على غيرها، فيقولون: ذلك أن الله - جل ثناؤه - تجلى لنا، فنظرنا إليه فنضرت وجوهنا).

وقد عرض ابن قيم الجوزية[١٠] أقوال العلماء في قوله تعالى: (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار، كلما رُزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا: هذا الذي رزقنا من قبل، وأتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة) ونلخص هذه الأقوال في أن أهل الجنة عندما أتوا بالثمرة نظروا إليها وقالوا: هذا الذى رزقنا من قبل في الدنيا. وأتوا به متشابها

يعرفونه، وإن ثمار الدنيا فيها مشابهة في اللون والطعم مع ثمار الجنة؛ لما روي عن أبى موسى قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (أهبط الله آدم من الجنة ـ عليه السلام ـ وعلمه صنعة كل شيء، وزوده من ثمار الجنة، فثماركم هذه من ثمار الجنة، غير أنها تغير وتلك لا تغير).

وقالت طائفة منهم ابن مسعود وابن عباس وناس من أصحاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} متشابها في اللون والمرأى، وليس يشبه الطعم. وقال يحيى بن أبى كثير (عشب الجنة الزعفران، وكثبانها المسك، ويطوف عليهم الولدان بالفاكهة فيأكلونها ثم يأتونهم بمثلها، فيقولون: هذا الذى جئتمونا به آنفا، فيقول لهم الخدم: كلوا فإن اللون واحد والطعم مختلف، فهو قوله ـ عز وجل: {وأتوا به متشابها}.

وتتميز ثمرة الجنة عن ثمرة الدنيا: (كلما نزعت ثمرة عادت مكانها أخرى) وأن ثمر الجنة خيار كله لا رذل فيه، أى منتقى وطيب لا رديء فيه. وإنها لا تكون في وقت دون وقت، ولا تمنع ممن أرادها (وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة) وكذا ثمر الجنة دان قريب ممن يتناوله (قياما وقعودا ومضطجعين على أي حال شاءوا). وثمر الجنة يختلف في الحجم وغير ذلك لحديث ابن عباس[١١] ، (وثمرها أمثال القلال والدلاء، أشد بياضا من اللبن، وأحلى من العسل، وألين من الزبد، ليس فيها عجم).

مطايا وخدم وغلمان أهل الجنة:

يقص النبي {صلى الله عليه وسلم} على أمته ما في الجنة من ألوان النعيم الذى لا ينقطع وما أعده الله لهم منذ خروجهم من قبورهم إلى الحشر، فيستقبلون بأنيق عليها رحال الذهب، شرك نعالهم نور يتلألأ، فيسيرون عليها حتى ينتهوا إلى باب الجنة، حيث يتحفهم بما سيأتى ذكره، وحينما يستقرون في الجنة ويريدون التزاور فيؤتون بخيل مسرجة ملجمة لا تروث ولا تبول، فيركبونها حتى ينتهوا حيث شاء الله ـ عز وجل ـ وعندما يشتاق أهل الجنة إلى إخوانهم يسير سرير هذا إلى سرير هذا، وسرير هذا إلى سرير هذا، حتى يجتمعا جميعا، وأحيانا يتزاورون على الجمال الملونة.

ويتحدث القصص النبوي عن الولدان والغلمان في الجنة، وعن كثرة عددهم، وجَمال خَلقهم وخُلُقهم، كما قال الله تعالى: (ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لُؤلؤ مكنون) وهم يحملون الأكواب والأباريق ويسقونهم من الرحيق المختوم.

جاء في (منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال)[١٢] عن أبى فروة يزيد بن محمد بن يزيد بن سنان الرهاوي حدثنا أبي حدثنا إسماعيل بن زياد عن جرير بن سعيد عن الضحاك بن مزاحم عن النزال بن سبرة عن علي قال: قلت يارسول الله (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا) قلت كلهم ركبانا، قال: يا على، والذى نفسى بيده، إنهم إذا خرجوا من قبورهم، استقبلوا بأنيق[١٣] عليها رحال الذهب، شرك نعالهم نور يتلألأ، فيسيرون عليها حتى ينتهوا إلى باب الجنة، فإذا حلقة من ياقوت على صفائح الذهب،

وإذا عند باب الجنة شجرة ينبع من أصلها عينان، فيشربون من أحد العينين، فإذا بلغ الشراب الصدر أخرج الله ما في صدورهم من غل أو حسد أو بغي، وذلك قول الله تعلى: (ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين) فلما انتهى الشراب إلى البطن طهرهم من دنس الدنيا وقذرها، وذلك قوله تعالى: (وسقاهم ربهم شرابا طهورا) ثم اغتسلوا من الأخرى، فجرت عليهم نضرة النعيم، فلا تشعث أبدانهم، ولا تغير ألوانهم أبدا، فيضربون بالحلقة على الصفائح، فيسمع لذلك طنين، فيبلغ كل حوراء أن زوجها قدم، فتبعث بقيمها، فلولا أنه عرفه نفسه لخر له ساجدا من النور والبهاء والحسن، فيقول: يا ولي الله إنما أنا قيمك الذى وكلت بمنزلك، فينطلق وهو بالأثر حتى ينتهى به إلى قصر من فضة، شرفه الذهب، يرى ظاهره من باطنه، وباطنه من ظاهره، فيقول: لمن هذا؟ فيقول الملك: هو لك ، قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لو مات أحد من الفرح لمات، فيريد أن يدخله فيقول له أمامك، فلا يزال يمر به على قصوره، وعلى خيامه، وعلى أنهاره، حتى يمر به على غرفة من ياقوته من أسفلها إلى أعلاها مائة ألف ذراع، قد بنيت على جبال الدر والياقوت، بين أبيض وأحمر وأخضر وأصفر، ليس منها طريقة تشاكل صاحبتها، في الغرفة سرير عرضه فرسخ فى طول ميل، عليه من الفرش على قدر سبعين غرفة، بعضها فوق بعض، فرشه لون، وسريره لون، وعلى رأس ولي الله تاج، لذلك التاج سبعون ركنا فى كل ركن منها ياقوتة تضيء مسيرة ثلاث للمتعب، ووجهه مثل القمر ليلة البدر، وعليه طوق ووشاحان، له نور يتلألأ، وفى يده ثلاثة أسورة، سوار من ذهب، وسوار من فضة، وسوار من لؤلؤ، وذلك قوله: (يُحَلَّوْنَ فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا) وعليه سبعون حلة من حرير مختلفة الألوان على رقة شقائق النعمان، وذلك قوله تعالى: {ولباسهم فيها حرير} يهز السرير فرحا وشوقا إلى ولي الله فاتضح له حتى استوى، وينظر إلى أساس بنيانه، يسترقه مخافة أن يلتمع ذلك النور بصره، فبينما هو كذلك إذ أقبلت حوراء عيناء، معها سبعون جارية وسبعون غلاما، وعليها سبعون حلة، يرى مخ ساقها من وراء الحلل والجلد والعظم، كما يرى الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء، وكما يرى السلك فى الدرة الصافية فلما عاينها نسي كل شيء عاينه قبلها، فتستوي على السرير معه، فيضرب بيده إلى نحرها، فيقرأ ما فى كبدها، فإذا هو مكتوب: أنا حبك وأنت حبى، إليك انتهت نفسي، وذلك قوله: {كأنهن الياقوت والمرجان} يشبه في بياض اللؤلؤ، فيتنعم معها سبعين سنة، لا تنقطع شهوتها ولا شهوته، فبينما هم كذلك، إذ أقبل الملائكة وللغرفتين سبعون بابا أو سبعون ألف باب، على كل باب حاجب، فتقول الملائكة: استأذنوا على ولى الله، فتقول الحجبة: إنه ليتعاظمنا أن نستأذن لكم إنه مع أزواجه، فيقولون: الملائكة بالباب يستأذنون عليك، فيقول: إئذنوا لهم، ثم تلا النبي {صلى الله عليه وسلم}: (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار) وتلا

النبي {صلى الله عليه وسلم} (وإذا رأيتَ ثَمَّ رَأيْتَ نعيما ومُلكا كبيرا) فلا تدخل الملائكة عليهم إلا بإذن والأنهار تطرد من تحت مساكنه، والثمار متدلية عليه، إن شاء تناولها بفيه، وإن شاء تناولها متكئا، وإن شاء تناولها قاعدا، وإن شاء تناولها قائما، وأنهار من ماء غير آس ليس فيه كدر، والآس الذى يتغير ماء الدنيا، وأنهار من لبن، لم يخرج من بين الفَرْث والدم، ولا من ضروع الماشية، وأنهار من خمر لم يطأها الرجال بأرجلها لذة للشاربين، لا تصدع رءوسهم، ولا تغلبهم على عقولهم، وأنهار من عسل مصفى من موم العسل، لم يخرج من بطون النحل، فبينما هو كذلك مرة يتنعم مع أزواجه، ومرة يؤتى بغذائه، ومرة بشرابه، ومرة تستأذن عليه الملائكة، ومرة يزور ربه فيكلمه - عز وجل - ومرة يزور الاخوان في الله فبينما هو كذلك إذ نور قد غشيه، فقال بعضهم ما هذا النور؟ والذى غشى أهل الجنة؟ فيقول الملائكة: هذه حوراء أشرفت من خيمتها فرحا وشوقا إليك، فما غشيك من نور فهو من نور ثغرها).

وعن أبي أيوب[١٤] (إن أهل الجنة ليتزاورون على النجائب بيض كأنهن الياقوت وليس في الجنة شيء من البهائم إلا الابل والطير).

وعن أنس رضي الله عنه[١٥] قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (إذا دخل أهل الجنة الجنة، فيشتاق الإخوان بعضهم إلى بعض، فيسير سرير هذا إلى سرير هذا وسرير هذا إلى سرير هذا، حتى يجتمعا جميعا فيتكىء هذا ويتكىء هذا، فيقول أحدهما لصاحبه: أتعلم متى غفر الله لنا؟ فيقول صاحبه: نعم، يوم كنا في موضع كذا وكذا، فدعونا الله فغفر لنا).

وعن شفى بن مانع أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال: (إن من نعيم أهل الجنة أنهم يتزاورون على المطايا والنجب[١٦]، وانهم يؤتون فى الجنة بخيل مسرجة ملجمة، لا تروث ولا تبول، فيركبونها حتى ينتهوا حيث شاء الله - عز وجل - فيأتيهم مثل السحابة، فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فيقولون: امطرى علينا، فما يزال المطر عليهم حتى ينتهى ذلك فوق أمانيهم، ثم يبعث الله ريحا غير مؤذية، فتنسف كثبانا من مسك عن أيمانهم، وعن شمائلهم، فيأخذون ذلك المسك في نواصى خيولهم وفى معارفها وفى رءوسهم، ولكل رجل منهم جُمّة على ما اشتهت نفسه، فيتعلق ذلك المسك في تلك الجمام، وفي الخيل وفيما سوى ذلك من الثياب، ثم يقبلون حتى ينتهوا إلى ما شاء الله، فإذا المرأة تنادى بعض أولئك: يا عبد الله أما لك فينا حاجة؟ فيقول: ما أنت ومن أنت؟ فتقول: أنا زوجك وحبُّك، فيقول: ما كنت علمت بمكانك، فتقول المرأة: أو ما تعلم أن الله - تعالى - قال: {فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون} فيقول: بلى وربى، فلعله يشغل عنها بعد ذلك الموقف أربعين خريفا، لا يلتفت ولا يعود، وما يشغله عنها إلا ما هو فيه من النعيم والكرامة).

وجاء في قصة عن أبى هريرة - رضى

الله عنه - قال: (إن أهل الجنة ليتزاورون على العيس والجون، عليها رحال الميس، ويثير مناسمها غبار المسك، خطام أو زمام أحدها خير من الدنيا وما فيها).

وفي قصة أخرى عن علي - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يقول: (إن في الجنة لشجرة يخرج من أعلاها حلل، ومن أسفلها خيل من ذهب مسرجة ملجمة من در وياقوت، لا تروث ولا تبول، لها أجنحة خطوها مد البصر فيركبها أهل الجنة، فتطير بهم حيث شاءوا، فيقول الذين أسفل منهم درجة: يارب بما بلغ عبادك هذه الكرامة كلها؟ قال: فيقال لهم: كانوا يصلون بالليل، وكنتم تنامون، وكانوا يصومون، وكنتم تأكلون، وكانوا ينفقون، وكنتم تبخلون، وكانوا يقاتلون وكنتم تجبنون).

وعن عبد الرحمن بن ساعدة - رضي الله عنه - قال: (كنت أحب الخيل فقلت: يارسول الله هل في الجنة خيل؟ فقال: إن أدخلك الله الجنة يا عبد الرحمن كان لك فيها فرس من ياقوت له جناحان، تطير بك حيث شئت).

وعن سليمان بن بريدة عن أبيه أن رجلا سأل النبي {صلى الله عليه وسلم} فقال: يارسول الله هل في الجنة من خيل؟ فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (إن الله أدخلك الجنة فلا تشاء أن تحمل فيها على فرس من ياقوتة حمراء تطير بك في الجنة حيث شئت إلا كان) قال: وسأله رجل فقال: يارسول الله هل في الجنة من إبل؟ فلم يقل له ما قال لصاحبه، قال: (إن يدخلك الله الجنة يكن لك فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك).

وروى أبو أيوب - رضي الله عنه - قال: أتى النبي {صلى الله عليه وسلم} أعرابي، فقال: يارسول الله إني أحب الخيل، أفي الجنة خيل؟ قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (إن دخلت الجنة أوتيت بفرس من ياقوته، له جناحان فحملت عليه، ثم طار بك حيث شئت).

ونقل ابن قيم الجوزية[١٧] عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وذكر الجنة فقال: (والفردوس أعلاها سموا، وأوسعها منه محلا، ومنها تفجر أنهار الجنة، وعليها يوضع العرش يوم القيامة، فقام إليه رجل فقال: يارسول الله، إني رجل حبب إلى الخيل فهل في الجنة خيل؟ قال: أي والذى نفسي بيده، إن في الجنة لخيلا وإبلا هفافة تزف بين خلال ورق الجنة، يتزاورون عليها حيث شاءوا، فقام إليه رجل فقال: يارسول الله إني حبب إلى الإبل) وذكر الحديث.

وعن الحسن البصري عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: (إذا دخل أهل الجنة الجنة، جاءتهم خيول من ياقوت أحمر، لها أجنحة، لا تبول ولا تروث، فقعدوا عليها، ثم طارت بهم في الجنة، فيتجلى لهم الجبار، فإذا رأوه خروا سجدا، فيقول لهم الجبار - تعالى - {ارفعوا رءوسكم، فإن هذا ليس يوم عمل، إنما هو يوم نعيم وكرامة، فيرفعون رءوسهم فيمطر الله عليهم طيبا، فيمرون بكثبان

المسك، فيبعث الله على تلك الكثبان ريحا فتهيجها عليهم، حتى إنهم ليرجعون إلى أهليهم وإنهم لشعث غبر).

وجاء في التذكرة[١٨] خرّج مسلم عن أبى مسعود الأنصارى قال: جاء رجل بناقة مخطومة فقال: هذه في سبيل الله، فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة) وذكر ابن وهب قال: حدثنا ابن زيد قال: كان الحسن البصرى يذكر عن رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (أن أدنى أهل الجنة منزلة الذى يركب فى ألف ألف من خدمه من الولدان المخلدين على خيل من ياقوت أحمر، لها أجنحة من ذهب اقرأوا إن شئتم: (وإذا رأيتَ ثَمَّ رأيتَ نعيما ومُلْكا كبيرا).

وحكي عن عبد الله بن المبارك: خرج إلى غزو فرأى رجلا حزينا قد مات فرسه فبقى محزونا، فقال له: بعنى إياه بأربعمائة درهم، ففعل الرجل ذلك، أى باعه له، فرأى من ليلته في المنام كأن القيامة قد قامت، وفرسه في الجنة وخلفه سبعمائة فرس فأراد أن يأخذه، فنودي أن دعه، فإنه لابن المبارك وقد كان لك بالأمس، فلما أصبح جاء إليه وطلب الإقالة، فقال له: ولم؟ قال: فقص عليه القصة، فقال له اذهب فما رأيته في المنام رأيناه في اليقظة).

ومن مطايا الجنة الاتكاء على رفرف خضر؛ والرفرف شيء إذا استوى عليه صاحبه رفرف به وأهوى كالمرجاح يمينا وشمالا، ورفعا وخفضا، يتلذذ به مع أنيسته.

وروى في حديث المعراج[١٩] أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لما بلغ سدرة المنتهى جاءه الرفرف، فتناوله من جبريل وطار به إلى سند العرش، فذكر أنه طار بى يخفضنى ويرفعنى، حتى وقف بى على ربى، ثم لما حان الانصراف تناوله فطار به خفضا ورفعا يهوى به حتى أدله إلى جبريل - صلوات الله عليهما - وجبريل يبكى ويرفع صوته بالتحميد، والرفرف خادم من الخدم بين يدي الله - تعالى - له خواص الأمور في محل الدنو والقربة، كما أن البراق دابة يركبها الأنبياء - صلوات الله عليهم - مخصوصة بذلك في أرضه، فهذا الرفرف الذى سخره الله لأجل الجنتين الدانتين، هو متكأهما وفرشهما، يرفرف بالولى على حافات تلك الأنهار وشطوطها حيث شاء إلى خيام أزواجه الخيرات الحسان.

ومن القصص النبوى الذى يتحدث عن الخدم والولدان والغلمان ما روي عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال[٢١] قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (إن أدنى أهل الجنة منزلة، لمن ينظر إلى جنانه وأزواجه وخدمه وسرره مسيرة ألف سنة، وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشيا، ثم قرأ رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة).

وعن أبى سعيد الخدرى - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (أدنى أهل الجنة الذى له ثمانون ألف خادم، واثنتان وسبعون زوجة، وينصب له قبة من

لؤلؤ وزبرجد وياقوت، كما بين الجابية إلى صنعاء).

وجاء في قصة عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله [صلى الله عليه وسلم]: (إن أسفل أهل الجنة أجمعين درجة لمن يقوم على رأسه عشرة آلاف خادم، بيد كل واحد صحفتان من ذهب، والأخرى من فضة، فى كل واحد لون ليس في الأخرى مثله يأكل من آخرها مثل ما يأكل من أولها، يجد لآخرها من الطيب واللذة مثل الذى يجد لأولها ثم يكون ذلك ريح المسك الأذفر، لا يبولون، ولا يتغوطون، ولا يمتخطون، إخوانا على سرر متقابلين).

وروى عن أبى هريرة - رضي الله عنه - قال: (إن أدنى أهل الجنة منزلة، وليس فيهم دنى، من يغدو عليه كل يوم ويروح خمسة عشر ألف خادم، ليس منهم خادم إلا ومعه طرفة ليست مع صاحبه).

وعن عبد الله بن عمرو قال: إن أدنى أهل الجنة منزلة من يسعى عليه ألف خادم، كل خادم على عمل ليس عليه صاحبه، قال: وتلا هذه الآية: (إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا).

ونقل القرطبي[٢١] ما ذكره ابن المبارك عمن نقل عن على - رضى الله عنه - وجاء فيه: وتتلقاهم على كل باب من أبواب الجنة ملائكة (سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين) ثم تتلقاهم الولدان يطيفون بهم، كما يطيف ولدان الدنيا بالحميم يجيء من الغيبة، يقولون: أبشر أعد الله لك كذا وكذا، ثم يذهب الغلام منهم إلى الزوجة من أزواجه، فيقول: قد جاء فلان باسمه الذى كان يدعى في الدنيا، فتقول له: أنت رأيته؟ فيستخفها الفرح حتى تقوم على أسكفة الباب، ثم ترجع فتجيء فتنظر إلى تأسيس بنيانه من جندل اللؤلؤ، أخضر وأصفر وأحمر من كل لون، ثم يجلس فينظر فإذا زرابى مبثوثة، وأكواب موضوعة، ونمارق مصفوفة، ثم يرفع رأسه إلى سقف بنيانه، فلولا أن الله قدر ذلك لأذهب بصره، إنما هو مثل البرق، ثم يقول كما أخبرنا تعالى: (الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله).

- **للبحث صلة** -

الهوامش:

(١) الترغيب والترهيب جـ٤ ص ٥٢١.
(٢) تملأ أعلى الجنة ظلا.
(٣) الصحيح النحيف.
(٤) تحدث صوتا جميلا.
(٥) مكان قرب حنين.
(٦) نوى أو شيء صلب.
(٧) التذكرة ص ٥٣١.
(٨) التذكرة ص ٥٦٦.
(٩) حادي الأرواح ص ٣١٢.
(١٠) المرجع السابق ص ٢٠٩ وما بعدها.
(١١) خرجه صاحب كتاب (صحيح حادى الأرواح) الدخاخنى ص ١٥٣.
(١٢) هامش مسند الإمام أحمد جـ ٦ ص ١١٥ وانظر تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ١٣٧.
(١٣) تختلف قليلا عما في الترغيب والترهيب جـ ٤ ص ٤٩٤ وفي كنز العمال الشيخ على المتقى جـ ١٨ ص ٢٥٧.
(١٤) المرجع السابق ص ١٠٨.
(١٥) الترغيب والترهيب جـ ٤ ص ٥٤٣.
(١٦) المطايا كل ما يوطيء ومنها المراكب، والنجيب الفاضل من كل حيوان.
(١٧) حادي الأرواح ص ٢٩٨.
(١٨) ص ٥٦٤.
(١٩) التذكرة ص ٥٢٠.
(٢٠) الترغيب والترهيب جـ ٤ ص ٥٠٧.
(٢١) التذكرة ص ٥٧٨.

انتهينا في الحلقة السابقة إلى أن سيد قطب ـ رحمه الله ـ كان يرى أن التصوير هو القاعدة المفضلة للتعبير في القرآن الكريم، حيث تُصَور المعاني والأغراض والمقاصد في صورة شاخصة محسة، وأن التصوير هو القاعدة الأولى للبيان فيه، حيث تناول بها جميع الأغراض ناقلا إياها من صورتها الذهنية التجريدية الى هيئة شاخصة حية نابضة.

وذكرنا أمثلة لتناول القرآن للمعاني المجردة الذهنية، والحالات النفسية المعنوية والقصص التي تناول بها الأقوام السابقة، حيث تناولها بالتصوير والتجسيم في أداء معجز لا يَخْلَقُ على كثرة الرد. ونتابع في هذه الحلقة إكمال توضيح جوانب الصورة في الأداء القرآني لمختلف المعاني التي تناولها القرآن الكريم.

الإعجاز الفني في القرآن الكريم عند سيد قطب (٢ـ٣)

بقلم: د. أحمد أحمد غريب
ـ الرياض ـ

قواعد التصوير الفني في القرآن الكريم

يرى سيد قطب أن آفاق التصوير في القرآن أوسع من أن تدرك بقيود العمل الأدبي، لأن التصوير باللغة بحكم سعة آفاقه يجتمع فيه تصوير باللون، وتصوير بالحركة وتصوير بالإيقاع، وكثيراً ما يشترك الوصف والحوار وجرس الكلمات، ونغم العبارات، وموسيقى السياق في إبراز صورة من الصور تتملاها العين والأذن، والحس والخيال، والفكر والوجدان، وهو تصوير حي منتزع من عالم الأحياء لا ألوان مجردة، وخطوط جامدة، تصوير تقاس فيه الأبعاد والمسافات بالمشاعر والوجدانات، فالمعاني ترسم وهي تتفاعل في نفوس آدمية حية، أو مشاهد من الطبيعة تخلع عليها الحياة[١].

وهو يرى كذلك أن التصوير الفني في القرآن لا يأتي حيثما اتفق، بل يقوم على أسس وقواعد فنية منها: التخييل أو التشخيص، والذي يتمثل في خلع الحياة على المواد الجامدة والظواهر الطبيعية، والانفعالات الوجدانية.

ففي قوله تعالى: **«والصبح إذا تنفس»** (سورة التكوير/١٨) يخيل إليك هذه الإجابة الوديعة الهادئة التي تنفرج عنها ثناياه وهو يتنفس فتتنفس معه الحياة، ويدب النشاط في الأحياء على وجه الأرض والسماء، وها هو ذا الليل يسرع في طلب النهار فلا يستطيع له دركا **«يغشي الليل النهار يطلبهُ حثيثا»** (سورة الأعراف/٥٤) ويدور الخيال مع هذه الدورة

الدائبة التي لا نهاية لها ولا ابتداء[٢].

ومن هذه القواعد أيضاً التجسيم، بمعناه الفني لا بمعناه الديني، وهو لا يعني به التشبيه بمحسوس وإنما يعني به تجسيم المعنويات لا على وجه التشبيه والتمثيل، بل على وجه التعبير والتصوير، ومن ذلك قوله تعالى: **«وسِعَ كرسيه السماوات والأرض ولا يؤوده حفظهما»** (سورة البقرة/٢٢٥) فالتعبير في هذه الصورة الحسية قد جاء في موضع التجريد المطلق على طريقة القرآن في التعبير التصويري، لأن الصورة هنا تمنح الحقيقة المراد تمثيلها للقلب قوة وعمقاً وثباتاً وسعهما سلطانه، وهذه هي الحقيقة من الناحية الذهنية، ولكن الصورة التي ترتسم في الحس من التعبير بالمحسوس أثبت وأمكن، وكذلك التعبير بقوله: {ولا يؤوده حفظهما} فهو كناية عن القدرة الكاملة، ولكن يجيء في هذه الصورة المحسوسة صورة لانعدام الجهد والكلال، لأن التعبير القرآني يتجه إلى رسم صورة للمعاني تجسمها للحس فتكون فيه أوقع وأعمق وأحس[٣].

أو تجسيم الذنوب كأنها أحمال تحمل على الظهور زيادة في التجسيم: **«وهم يحملون أوزارهم علي ظهورهم»** (سورة الأنعام/٣١)، **«ولا تزر وازرة وزر أخرى»** (سورة الأنعام/١٦٤)، ومن تجسيم المعنويات مثل قوله تعالى: **«وتزوَّدوا فإن خير الزاد التقوى»** (سورة البقرة/ ١٩٧م) فالتقوى زاد، أو **«صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة»** (سورة البقرة/ ١٣٨) فدين الله صبغة معلمة، وكثيراً ما يجتمع التخييل والتجسيم معاً لرسم الصورة المطلوبة، التي تعرض في القرآن في إطار من التناسق الفني الذي يبلغ الذروة في التصوير.

التناسق الفني في القرآن

ويرى سيد قطب أن التناسق الفني الذي تعرض الصورة الفنية من خلاله ألوان ودرجات، ومن هذه الألوان ما تناوله القدماء، كالتنسيق في تأليف العبارات ونظمها في نسق خاص يبلغ الذروة في الفصاحة، ومنها ما أهملوه وتركوه كالإيقاع الناشيء من تخير الألفاظ ونظمها في نسق خاص لتتناسق مع جو السياق الذي تساق فيه الآيات لتؤدي وظيفتها المرادة منها.

من ذلك الإيقاع الذي يلحظ ولا يشرح، فهو كامن في اللفظة المفردة وتركيب الجملة الواحدة، ويدرك بحاسة خفية كما في قوله تعالى: **«قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً ولم أكن بدعائك رب شقياً»** (سورة مريم/٤).

فلو حاولت مثلاً أن تغير فقط كلمة «مني» فتجعلها سابقة لكلمة «العظم» لأحسست بما يشبه الكسر في وزن الشعر، وذلك لأنها تتوازن مع «إني» في صدر الفقرة هكذا **«قال رب إني .. وهن العظم مني»**[٤].

كما تحدث سيد قطب عن نظام الفواصل في الآيات وتعدد ألوان الإيقاع فيها، ومحاولته إخضاع ذلك التعدد إلى اعتبارات فنية يقتضيها السياق، ففي سورة النازعات أسلوبان للإيقاع، ينسجمان مع جوين فيهما تمام الانسجام، أولهما يظهر في هذه المقطوعة السريعة الحركة، القصيرة الموجة، القوية المبنى، تنسجم مع جو مكهرب سريع النبض، شديد الارتجاف على النحو التالي:

« والنازعات غرقاً، والناشطات نشطا، والسابحات سبحا، فالسابقات سبقا، فالمدبرات أمرا، يوم ترجف الراجفة، تتبعها الرادفة، قلوب يومئذ واجفة، أبصارها خاشعة، يقولون أئنا لمردودون في الحافرة، أئذا كنا عظاماً نخرة، قالوا تلك إذن كرَّة خاسرة، فإنما هي زجرة واحدة، فإذا هم بالساهرة» (سورة النازعات الآيات/ ١ ـ ١٤) والثاني يظهر في هذه المقطوعة الوانية الحركة، الرخية الموجة المتوسطة الطول، تنسجم مع الجو القصصي الذي يلي مباشرة في السورة، حيث الكرة الخاسرة، والزجرة الواحدة، وحديث الساهرة على النحو التالي: **«هل أتاك حديث موسى إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى، اذهب إلى فرعون إنه طغى، فقل هل لك إلى أن تزكى، وأهديك إلى ربك فتخشى»** (سورة النازعات الآيات/ ١٥ ـ ١٩) ويعقب على ذلك بقوله: «لسنا في حاجة إلى قواعد إيقاعية أو اصطلاحات فنية لندرك الفرق بين الأسلوبين والإيقاعين، فهو واضح لا يخفى، وهو كذلك منسجم في كل حالة مع الجو الذي يطلق فيه الإيقاع، ولهذا الإيقاع وظيفة أساسية في مصاحبة المشهد المعروض في المرتين الأولى والأخرى»[٥].

ومن الإعجاز أن نرى القرآن الكريم يستخدم إيقاعاً واحداً، وفاصلة على وزن واحد، ليعبر بهما عن مشهدين متباينين للنعيم والعذاب في الآخرة. حيث يقول الله جل شأنه في سورة الحاقة: **«فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه، إني ظننت أني**

ملاق حسابيه، فهو في عيشة راضية، في جنة عالية، قطوفها دانية، كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية» (سورة الحاقة/ ١٩ ـ ٢٤) فالفواصل هنا تحمل في إيقاع رخي طمأنينة هذا العبد الفائز برضوان الله، يظهر ذلك في تلك التوكيدات التي تحمل إضافة ياء المتكلم وها التخصيص «كتابيه» «حسابيه» ويظهر أيضاً في رضى الله على عبده حيث ضمن له «عيشة راضية» في «جنة عالية»، «قطوفها دانية» لما قدمه في «الأيام الخالية»، ثم تجيء الفواصل في الآيات بعدها على نفس الوزن والإيقاع لتصور سخط الساخط وحسرة المتحسر لوقوعه في دائرة عذاب الله وانتقامه حيث يقول تعالى: **«وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه، ولم أدر ما حسابيه، يا ليتها كانت القاضيه، ما أغنى عني ماليه ، هلك عني سلطانيه»** (سورة الحاقة/ ٢٥ ـ ٢٩) ولا يخفى ما تحمله الفواصل هنا من توقيعات الحسرة والندامة، وإن كانت هذه الحسرة لا تنبعث من الإيقاع فقط، ولكن يشارك فيها كل أوضاع السياق من لفظ ومعنى وتصوير.

وقد يكون التنوع في الإيقاع مصدراً من مصادر إثراء الصورة في الفاصلة القرآنية، فمع تنوع الفاصلة تزداد الأبعاد التصويرية التي تقوي المعنى، ومثال ذلك ما عرضت في المثال السابق من سورة الحاقة، فبعد أن يعرض القرآن صورة المتحسر لوقوعه في دائرة العذاب، وينتهي عند قوله: {هلك عني سلطانيه} تتنوع الفاصلة هكذا: **«خذوه فَغُلُّوه ثم الجحيم صلُّوه، ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه»** (سورة الحاقة/ ٣٠ ـ ٣٢) هكذا بصيغة الأمر المنتهية (بالواو والهاء): «خذوه ـ غُلُّوه ـ صلُّوه ـ اسلكُوه» وتتزامل هذه الفاصلة المنتهية بالواو والهاء مع السابقة المنتهية بالياء والهاء لتنوع مشهد العذاب الذي تنخلع لهوله القلوب، وتلجم معه الألسنة، ثم تتواكب هذه (السينات) في «سلسلة» و«سبعون» و«اسلكوه» مع حرف الذال في «ذرعها» و«ذراعا» حتى لتكاد تسمعنا صلصلة السلاسل في أعناق وأرجل المجرمين، يساقون إلى جهنم سوقاً، وهي بذلك تضيف إلى جانب إيقاع الكلمات إيقاعا بالحروف يشارك في رسم الصورة ويمنحها الحياة.

وقد ذهب سيد قطب إلى أن تناسق الصورة الفنية في القرآن الكريم قد يكون (بوحدة الرسم) في اللوحة المعروضة، بمعنى أن تكون هناك وحدة بين أجزاء الصورة المعروضة في اللوحة فلا تتنافر جزيئاتها كما في قوله تعالى: **«أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خُلقت، وإلى السماء كيف رفعت، وإلى الجبال كيف نُصبت، وإلى الأرض كيف سُطحت»** (سورة الغاشية/ ١٨ ـ ٢٠) يقول سيد قطب: فهذه ريشة تجمع بين السماء والأرض والجبال والجمال في مشهد واحد، حدوده تلك الآفاق الوسيعة من الحياة والطبيعة، والملحوظ هنا هو الضخامة وما تلقيه في الحس من استهوال، والأجزاء موزعة بين الاتجاه الأفقي في السماء المرفوعة والأرض المبسوطة، والاتجاه الرأسي بينهما في الجبال المنصوبة، والإبل الصاعدة السنام، وهذه دقة تأخذها عين المصور المبدع في الأشكال والأحجام، ومما يلاحظ هنا بعين المصور كذلك أن لوحة طبيعية قاعدتاها السماء والأرض لا يبرز فيها من الجماد إلا الجبال، ولا يبرز فيها من الأحياء إلا الجمال أو ما هو في حجم الجمال، والجمل هو الحيوان المناسب لأنه أليف الصحراء الفسيحة التي تحدها السماء والجبال[٦].

كما نبه سيد قطب على دور الكلمة أو اللفظة، ودقة اختيارها في إحداث التناسق للمعنى المراد، أو في إحداث الإيقاع المتوازن مع السياق، مثل ذلك قوله تعالى: **«قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم، من يُصرف عنه يومئذ فقد رحمه وذلك هو الفوز المبين»** (سورة الأنعام/ ١٥ ـ ١٦) فهو يرى أن لفظة «يصرف» قد جسمت المعنى ورسمته في صورة شاخصة، فهو تصوير لحقيقة مشاعر العذاب الذي يعتبر مجرد صرفه عن العبد رحمة من الله وفوزاً مبيناً، ولكنه في الوقت ذاته جملة مزلزلة، تصور العذاب في ذلك اليوم العظيم يطلب الفريسة ويُحلق عليها، ويهجم ليأخذها، فلا تصرفه عنها إلا القدرة القادرة التي تأخذ بخطامها فتلويه عنها، وإن أنفاس القارئ لهذا التصوير لتحتبس وهو يتمثل المشهد في انتظار هذه اللقطة الأخيرة[٧].

ـ ومثل ذلك ما ترسمه لفظة (كيدهُ) في قوله تعالى: **«فتولى فرعون فجمع كيده ثم أتى»** (سورة طه/ ٦٠) فهذا التعبير يُجمل كل ما قاله فرعون وما أشار به الملأ من قومه، وما دار بينه وبين السحرة من تشجيع وتحميس ووعد بالمكافأة، وما فكر فيه ودبر هو ومستشاروه، يجمله في جملة.. (فتولى فرعون، فجمع كيده، ثم أتى) وتصور تلك الآية الواحدة القصيرة ثلاث حركات متواليات.. ذهاب فرعون، وجمع كيده، والإتيان به[٨].

ـ أو ما تصوره لفظة (مُحْصنين) و(مسافحين) في قوله تعالى: **«وأُحلّ لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين»** (سورة النساء/ ٢٤).. (فهو إحصان للرجل، وإحصان للمرأة ففي

هذه القراءة «محصنين» بصفة اسم الفاعل، وفي قراءة أخرى «محصنين» بصيغة اسم المفعول، وكلا المعنيين يتحقق في هذه الصورة النظيفة القويمة العفيفة، وهو إحصان للبيت والأسرة والأطفال.. والآخر سفاح، مفاعلة من السفح، وهو إراقة الماء في المنحدر الواطيء .. مسافحة يشترك فيها الرجل والمرأة، فيريقان ماء الحياء - الذي جعله الله لامتداد النوع ورقيه - يريقانه للذة العابرة، والنزوة العارضة.. يريقانه في السفح الواطيء فلا يحصنها من الدنس، ولا يحصن الذرية من التلف، ولا يحصن البيوت من البوار، وهكذا يرسم التعبير القرآني صورتين كاملتين لنوعين من الحياة في كلمتين اثنتين[٩].

- وفي قوله تعالى في سورة النحل: **«والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها، إن في ذلك لآية لقوم يسمعون، وإن لكم في الأنعام لعبرة، نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين، ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً، إن في ذلك لآية لقوم يعقلون، وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون، ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا، يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس، إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون»** (سورة النحل/ ٦٥ - ٦٩) في هذه الآيات يكشف سيد قطب عن ظاهرة التناسق الفني في القرآن، حيث عرض لهذه النعم.. إنزال الماء من السماء.. وإخراج اللبن من بين فرث ودم.. واستخراج السكر والرزق الحسن من ثمرات النخيل والأعناب، والعسل من بطون النحل.. إنها كلها أشربة تخرج من أجسام مختلفة لها في شكلها، ولما كان الجو جو أشربة، فقد عرض من الأنعام لبنها وحده في هذا المجال تنسيقاً لمفردات المشهد كله. يقول: وسنرى في الدرس التالي أنه عرض من الأنعام جلودها، وأصوافها، وأوبارها لأن الجو هناك - يقصد قوله تعالى في نفس السورة: {والله جعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم، ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً إلى حين. والله جعل لكم من الجبال أكناناً وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم} (سورة النحل/ ٨٠ - ٨١) فالجو هنا جو أكنان وسرابيل، مناسب أنه يعرض من الأنعام جانبها الذي يتناسق مع مفردات المشهد، وذلك أفق من آفاق التناسق الفني في القرآن[١٠].

وقريب من هذا التناسق لفظ الكيد في الآية الكريمة: **«فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه كذلك كدنا ليوسف»** (سورة يوسف/١٧)

يقول سيد قطب: فهذا هو تدبير الله الذي ألهم يوسف أسبابه، وهو كيد الله له، والكيد يطلق على التدبير في الخفاء للخير والشر سواء، وإن كان الشر قد غلب عليه، وظاهر الأمر هنا أنه شر يحل بأخيه، وهو شر يحل بإخوته لإحراجهم أمام أبيه، وهو سوء - ولو مؤقتاً - لأبيه، فلهذا اختار تسميته (كيداً) على إجمال اللفظ، بالإلماع إلى ظاهره، وهو من دقائق التعبير[١١].

وأرى أن لفظ (كدْنا) لا يتبوأ جماله مما ذكره المفسر فحسب، ولكن يتبوأ جماله من تلك النكتة البليغة التي تعبر عنها الحكمة القائلة: بأن الجزاء من جنس العمل، فإخوته قد كادوا له طفلا، وها قد جاء الدور عليهم ليكيد لهم رجالا، وإن كان الكيد هنا ليس من جنس كيدهم، لأنه كيد الله، وكيد الله التدبير، وهو لا يكون إلا في الخير، وهو لون من ألوان التناسق الذي أشار إليه المفسر.

وينتهي سيد قطب إلى سرد عذب، إلى معنى مترابط، إلى نسق متسلسل إلى لفظ معبر إلى تعبير مصور، إلى تصوير مشخص، إلى تخييل مجسم، إلى إيقاع منغم، إلى اتساق في الأجزاء، إلى تناسق في الإطار، إلى تناسق في الإيقاع، إلى افتنان في الإخراج وبهذا كله يتم الإبداع ويتحقق الإعجاز[١٢].

- للبحث صلة -

الهوامش:

(١) التصوير الفني في القرآن ط٦ (القاهرة - دار الشروق ١٩٨٠م) ص ٤٨ وما بعدها.

(٢) المرجع السابق ص ٦٢.

(٣) في ظلال القرآن/ الطبعة الأولى (دار الشروق ١٩٨١م) المجلد الأول ص ٢٩.

(٤) التصوير الفني في القرآن - مرجع سابق.

(٥) المرجع السابق ص ٩١ وما بعدها.

(٦) المرجع السابق ص ١٠١.

(٧) في ظلال القرآن، المجلد الثاني ص ١٠٥٥.

(٨) المرجع السابق، المجلد الرابع ص ٢٣٤١.

(٩) المرجع السابق، المجلد الثاني، ص ٦٢٥.

(١٠) المرجع السابق، المجلد الرابع، ص ٢١٨٢.

(١١) المرجع السابق، المجلد الرابع، ص ٢٠٢٠.

(١٢) التصوير الفني في القرآن، مرجع سابق، ص ١١٦ وما بعدها.

الرأي .. والرأي الآخر

طه حسين

عميدا للتنوير العربي.. مرة أخرى

منذ بدايات هذا القرن ظهرت في بلدان الشرق الإسلامي حركات تمرد ظاهرة الانحاء على الدين والخلق والسلوك، والعادات الاجتماعية، وعلى الأدب واللغة.. وهذه الحركات قادها عدد من أبناء الشرق الاسلامي وأسموا حركاتهم تلك بحركة (التنوير والتحضر والتقدم).

وكلها كانت بتأثر مباشر، أو بايعاز مباشر أو غير مباشر، بما وجدوه عند أهل الغرب، وظهرت حينئذ كتابات، تشكك في الدين، وأخرى تدعو للسفور، وثالثة تدعو للانتماء الكامل للغرب، اهل الحضارة، كما يسمونهم.. وتلك الحركات كانت لها خطورتها البالغة على المجتمع، وحينئذ تصدى لها العلماء وأبانوا زيفها ومكرها.. والآن.. يأتي تلامذة تلك العقود الأولى ليذيعوا تلك الافتراءات والأباطيل.. وتعود القضية ثانية للرد عليها ومواجهتها.. حتى لا يسري شرها بين العباد.

ويبقى احترامنا وتقديرنا موصولا لكل رائد بما افاد قومه من علم وفكر ناضجين، يخدمان الدين وينشران الفضيلة..

ـ المنهل ـ

بقلم:
المفكر الإسلامي
أنور الجندي
ـ مصر ـ



إن هناك محاولة فاشلة ترمي الى أن يعود التاريخ القهقري: تلك هي محاولة دعاة التغريب والغزو الثقافي الذين لا يجدون ما يقدمونه الا اعادة طبع الكتب التي صدرت في الثلاثينيات والتي قاومها الاصلاء من رجال الفكر الاسلامي وكشفوا زيفها.

وقد تصدروا محاولة فرض مفاهيم التغريب وسموم الكلمة المضللة والكلمة الاباحية والكلمة الملحدة مغلفة بغلاف خادع بغرض كسب عقل المسلم وقلب المؤمن ولكن هيهات.

اولئك الذين يحملون لواء «التنوير» المضلل والذين يلتمسون طريقهم في ظل ظلاميات طه حسين وسلامة موسى ولويس عوض انهم يصدرون الان من منطلق تنصيب طه حسين عميداً للأدب من جديد غافلين تمام الغفلة عن أن كل ما قدمته حركة الغزو الفكرى والتغريب قد تَهَدَّمَ ودُمر وكشفت الاقلام الشريفة عن أخطائه وسمومه.

وهم ينسون ويتجاهلون موجة المدّ الاسلامي التي نشرت ألويتها في العالم كله واستمدت طريقها من القرآن الكريم والسنة المشرفة وأقامت أعمدتها في كل مكان.

ولم يعد أحد يستطيع أن يتصدر ليحمل لواء الدعوى للشك الفلسفي

والتشكيك في نصوص كتب التاريخ والادب على النحو الذى فعله طه حسين وجماعته قبل سبعين عاما.

ولا يُشرّف الدكتور طه أو اعوانه بعد سبعين سنة صدور كتاب بديل للشعر الجاهلى (وبعد مصادرة الكتاب الاول) ذلك لان القضية الكبرى التى حاول طه حسين ان يحمل لواءها هى قضية التشكيك في مصدر أصيل من مصادر فهم القرآن الكريم وتفسيره وهى قضية الشعر الذى حمل كلمات جاءت في القرآن من بعد وفسرت مفاهيمه.

ولم تكن القضية اساساً الا محاولة من الاستشراق والتغريب الى هدم هذا النص الذى يخدم منهج القرآن الكريم بعد ما قال العرب ان الشعر القديم يناصر بيان القرآن ويخدمه فاذا جاء مرجيلوث ليشكك فى هذا الاتجاه ويعتمد على بعض الكتب القديمة فان طه حسين استعان بالشعر في سبيل التشكيك في الحق.

واذا جاء اليوم من يقول ان طه حسين لم يعتمد على مرجليوث وإنما اعتمد على رينان فان الامر بالنسبة لنا نحن المسلمين واحد.

لقد بلغ بطه حسين الأمر أن دعا طلبته في كلية الاداب الى نقد النص القرآنى والقول بأن هذا ضعيف وهذا غامض، وكان قد سبق ذلك بالدعوة الى دراسة الكتب القديمة وقال إن الاوربيين ينقدون التوراة وعلى العرب ان ينقدوا القرآن، فهل غفل طه حسين عن أن القرآن من عند الله وان التوراة المعاصرة من عند البشر، الذين كتبوها من الاحبار، ولقد عمل طه حسين على نصرة مفاهيم الأحبار والرهبان ومحاولة تطبيقها على الاسلام والقرآن.

بل لقد ذهب طه حسين الى عدم تصديق وجود سيدنا ابراهيم وابنه اسماعيل على نحو ما تجاهلته التوراه التى كتبوها بأيديهم وتجاهل اكبر حدث من احداث البشرية وهو بناء ابراهيم واسماعيل عليهما السلام الكعبة المشرفة.

ولقد ذهب العلمانيون والتنويريون - كما يسمون أنفسهم - الى أبعد حد أن أعادوا طبع كتاب (الشعر الجاهلي) الذى صادرته الجامعة وذلك ليذيعوا تلك السموم التى نزعها طه حسين اخيرا من كتابه (الادب الجاهلي) **وقد قطع الادباء في عصره أن طه حسين لم يوفق في المآخذ ولم يبرأ من السقاط (كما قال المازنى).**


د. طه حسين

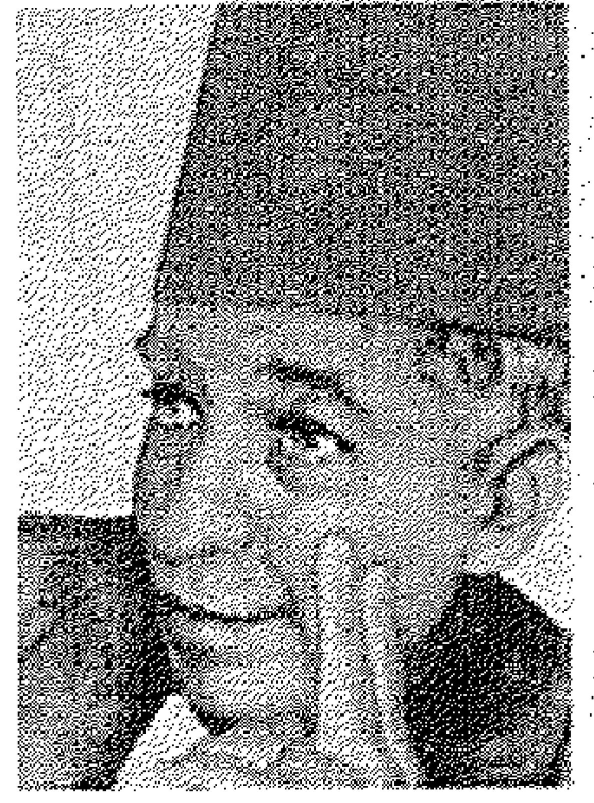

سلامة موسى


لويس عوض

** ديكارت اتخذ الشك موصلا لليقين.. وطه حسين اتخذ الشك للشك ذاته

** التنوير حمل رايته من دعوا لهدم الدين والخلق


مصطفى صادق الرافعي


ابراهيم المازني

اما مصطفى صادق الرافعي فقد حمل لواء الكشف عن زيف طه حسين، وفي مجلس النواب كانت كلمات النواب كلها تكشف عن جرأة طه حسين الشديدة على الدين، **وقال السيد مصطفى القاياتي:**

أريد أن أقول لأقوام لا يرون رأينا ويدعون ان البحث امر واجب حر، انه لا يجوز لنا ان نقيد حرية الناس في ارائهم، نقول لهم اننا لا نقيد حريتهم في عقائدهم ولكنا نقيد اراء تلقن لاولادنا وتشاع على افراد الامة ما بين متعلم وغير متعلم.

ولما اتسعت دائرة الكشف عن هدف طه حسين قال **سعد زغلول** رئيس مجلس النواب اذ ذاك: **إن مسألة كهذه لا يمكن أن تؤثر فى هذه الأمة المتمسكة بدينها اي أثر، هبوا أن رجلا مجنونا يهذى في الطريق فهل يُغَيِّر في العقلاء شيئاً من ذلك، ان هذا الدين متين وليس الذى شك فيه زعيما او إماما حتى نخشى من شكه على العامة** (الاهرام ١٩٢٦/١١/٧).

ولم يقف الامر عند هذا الحد بل لقد الفت كتب كثيرة في الرد على طه حسين منها:

- **نقد كتاب الشعر الجاهلى** ١٩٢٦ - محمد فريد وجدي.
- **نقض كتاب الشعر الجاهلي** ١٩٢٦ - محمد الخضر حسين.
- **تحت راية القرآن** - لمصطفى صادق الرافعي.
- **الشهاب الراصد** - محمد لطفي جمعة ١٩٢٦.
- **محاضرات في بيان الاخطاء العلمية والتاريخية التى اشتمل عليها كتاب الشعر الجاهلي - محمد الخضري.**
- **النقد التحليلى لكتاب الادب الجاهلي** - محمد احمد الغمراوي.

وقد كشفت هذه الدراسات عن كثير من أخطاء طه حسين:

قال الاستاذ لطفى جمعه «**إن منهج ديكارت خاص بالرياضيات والطبيعيات والميكانيكا، ولذلك فهو بعيد كل البعد عن الغيبيات**، وقال **ان ديكارت اتخذ الشك وسيلة الى اليقين أما عند طه حسين فهو لذة ورضا الى ان الشك للشك**، ثم اصبح يقول طه عن المجددين: - خلق الله لهم عقولا تجد في الشك لذة وفي القلق والاضطراب رضا - كما ان **الشك عند طه حسين ليست غايته الاطمئنان وانما هدفه الانكار**».

وقال لطفى جمعة ان الشك ليس حكما فلا يرتاح اليه عقل الحكيم وبين لطفى جمعة ان ما يتعلق بالعقيدة لم يطبق عليه ديكارت منهجه.

وقال الخضر حسين انه يأخذ على طه حسين ثقته في القدماء واطمئنانه الى روايات ابى الفرج الاصفهاني والنقل عنه ومعنى هذا **ان طه حسين ليس جاداً في استخدام منهج ديكارت او غيره وانما كان يلتقط من الكتب والروايات التى تعزز رأيه وتخدم قضيته بصرف النظر عن الشك أو المنهج**.

**** بداية هذا القرن شهدت هجوماً شديداً على المسلمين وأهل الشرق بعامة**

ومن هنا قال الرافعى ان طه حسين لا يبحث كما يدعى وكما هو الاصل في ديكارت وانما يقرر تقريرا وشتان بين بحث يراد منه

ما ينتجه من غير تعيين لنتيجة محتومة ومن تقرير النتيجة التى يساق لها البحث وتجمع لها الادلة.

ويرى محمد فريد وجدى أن طه حسين كان يرتب المقدمات ويتسامح في درس علل الحوادث على الاسلوب العلمي ويخالف العرف وطبيعة الاشياء لخدمة غرضه الادبي. واتهمه ناقدوه بأنه يبتر النصوص القديمة ويلوى مسارها ويعكس مفاهيمها وقد ضرب له الخضر حسين والرافعى أمثلة تؤكد نقدهم لطه حسين.

وأخذ عليه الغمراوي كثرة الافتراضات والبناء عليها وهذا يجافى الطريقة العلمية.

وهل يمكن أن يكون الظن من مقومات الطريقة العلمية قال طه حسين: عن ابي عمرو الشيباني: «اكبر الظن انه كان يؤجر نفسه للقبائل يجمع لكل واحدة منها شعرا يضيفه الى شعرائها واتهم طه حسين الرجل وليس في يده سند او وثيقة واتخذ له وظيفة مع انهم كانوا يثقون به على حد قول الخضر حسين، لقد تحول الظن الى يقين علمى عند طه حسين.

لقد انهال النقاد على (المنهج) حتى تمزق وتهرأ وصار كالغربال به من الثقوب اكثر مما به من الخيوط، ومن أدلة طه حسين على نحل الشعر الجاهلى ما ذهب اليه من ان اللغة الجنوبية القحطانية كانت غير اللغة الشمالية العدنانية وان الشعر الجاهلى الذى وصل الينا كله مكتوب باللغة الفصحى اي الشمالية فكيف كتب شعراء اليمن شعرهم وهم من الجنوب، ولو صح هذا التعليل لحقق طه حسين فوزاً ولكن خاب سعيه فقد أعد له لطفى جمعة عبر عشرات الصفحات بيانا علميا معززاً بالوثائق وباراء المتخصصين في الفيولوجيا والاثريين واثبت أن اللغة العربية (اى العدنانية) ظهرت على أثر اندثار القحطانية قبل ظهور الاسلام اي ان العرب كانوا يتكلمون لغة واحدة قبل البعثة النبوية. ولو كان طه يعرف هذا ما قال ان الرواه نظموا بلغه عدنان شعراً ونسبوه الى شعراء من قحطان.



عباس محمود العقاد



شوقي ضيف

وهذه النتيجة التي وصل اليها لطفى جمعة عام ١٩٢٦ قال بها العقاد عام ١٩٦٠ في (اللغة الشاعرة) حيث قال: وكانت وحدة اللغة من مقدمات الدعوة الاسلامية التى خاطبت الغرب جميعا بلسان يعرفونه من قبل عصر الاسلام كما قال ذلك شوقي ضيف تلميذ طه حسين وهكذا ضاع جهد طه حسين في هذه القضية.

وتدل كل المراجعات التي قام بها الاساتذة الكرام عن أن طه حسين لم يراجع الكتب التي انتقدته.

** المستشرقون فَرَّجوا على أيديهم من أبناء الشرق من حمل رايتهم

يقول الاستاذ احمد حسين الطحاوى ·الذى نقلنا عنه هذه الشذرات) **كان على الذين احتفلوا بمرور سبعين سنة على صدور كتاب (في الشعر الجاهلي) أن يحتفلوا أيضا بالنقاد الذين تصدوا له وقوموا مادته وصححوا أخطاءه.**

فإذا رجعنا الى مناقشة النيابة لطه حسين وجدنا: ان الاستاذ

محمد نور وكيل النيابة ركز على أربع مسائل أساسية:

الاولى: ان طه حسين عمد الى تكذيب القرآن الكريم في إخباره عن ابراهيم واسماعيل.

الثانية: زعم المؤلف أن القراءات السبع لم تنزل من عند الله وانما هى نتيجة لاختلاف اللهجات حيث قرأتها العرب بحسب ما استطاعت.

الثالثة: طعن المؤلف في حقيقة نسب الرسول الكريم.

الرابعة: ان الاستاذ المؤلف انكر ان للاسلام اولية في بلاد العرب وانه دين ابراهيم.

وقد ناقش محمد نور ما كتب طه حسين وعارضه ، وطالب طه حسن ان يقدم المراجع التى نقل منها هذه المفاهيم المغلوطة فكان رد طه حسين: أنا لا أقدم شيئا.

وقد عمل محمد نور على تقديم الحجج العلمية في تحقيق النيابة واثبت من وجهة نظره خطأ ما كتبه طه حسين.

ويقول في النهاية: وجدت انه مما تقدم يتضح ان غرض المؤلف لم يكن مجرد الطعن والتصدي للدين بل ان العبارات الماسة بالدين التى اوردها في بعض المواضع من كتابه قد أوردها في سبيل البحث العلمى وحيث انه من ذلك يكون القصد الجنائي غير متوافر فلذلك تحفظ الاوراق اداريا.

هل يمكن ان تقدموا المصادر أو الأدلة على كل ما ذكرتم .

قال طه حسين: أنا لا أقدم شيئا!!

ولقد كان اخطر ما في كتاب الشعر الجاهلي مقولة طه حسين الخطيرة **«للتوراة أن تحدثنا عن ابراهيم واسماعيل وللانجيل ان يحدثنا عنهما وللقرآن ان يفعل ذلك ولكن هذا لا يكفى لاثبات وجودهما التاريخي ولا ينهض عليه دليل».**

وكان هذا اخطر ما قاله طه حسين بجوار مقولاته الاخرى.

ولقد كانت محاولة العودة الى احياء (الشعر الجاهلي) مرة أخرى بعد سبعين عاما ـ كانت وبالا على التقدميين فانهم لن يستطيعوا أن يدافعوا عن الاتهامات التى نشرت مرة أخرى اليوم حيث نجد أن اصحاب الاصالة اصبحوا قادرين على دحض هذا الفكر المسموم.

يقول الدكتور احمد درويش: ينبغى أن نؤكد أن طه حسين نفسه قد تراجع عما جاء فى هذا الكتاب في الحواريات التى دارت بينه وبين علماء عصره.

وتبقى فكرة الجرأة في البحث الادبي امام التراث. وكانت فكرة طه حسين في الاجتراء على الجانب الديني هي التي جعلت الامور اكثر وضوحا .

وقد اشار عبد الرحمن بدوي في كتابه عن اعمال المستشرقين **ان كل ما اورده طه حسين عن الشعر الجاهلي كان من عمل هؤلاء المستشرقين.**

والواقع ان كتاب (في الشعر الجاهلي) والادب الجاهلي الذي ظهر بعد مصادرة الاول يكشفان عن هدف أبعد كثيرا من مسألة الشعر العربي والحميرى، وانما كانا يهدفان إلى تقديم مجموعة

** (في الشعر الجاهلي) مغالطات وافتراء على القرآن واللغة

** قبل سبعين سنة أصدر علماء المسلمين حكمهم على كتابات طه حسين، فلماذا تعاد طباعتها الآن..؟!!

من السموم من داخل البحث المسمى بالعلمي ومنها الادعاء بان العرب افادوا من اليهود ومنها مقولة ضد الرسول {صلى الله عليه وسلم} ونسبه الشريف، واخطر من ذلك كله فتح الباب امام طلاب الجامعة في نقد القرآن الكريم على النحو الذى قدمه طه حسين (راجع كتابنا محاكمة فكر طه حسين).

ومن ناحية اخرى اكد الشيخ احمد حسن مسلم عضو مجمع البحوث الاسلامية ولجنة الفتوى في الازهر **ان كتاب (الاسلام واصول الحكم) ليس من تأليف الشيخ على عبد الرازق كما زعم العلمانيون والشيوعيون وانصار حركة التنوير المزعومة ولكن من تأليف طه حسين** وان هذه الشهادة جاءت على لسان الشيخ على عبد الرازق نفسه، وقد أصدر الشيخ مسلم بيانا مسماه (بيان للناس) جاء فيه تفصيل كامل لهذه الشهادة مفاده انه بعد صلاة الشيخ مسلم والشيخ عبد الرازق معا وبعد الخشوع في الصلاة قال الشيخ مسلم أن الشيخ على عبد الرازق قال له بالحرف الواحد:

إننى لم اقم بتأليف هذا الكتاب وانما الذى ألفه صديقنا الدكتور طه حسين واوضح الشيخ مسلم ان الشهادة أودعها مجمع البحوث الاسلامية لتكون وثيقة للتاريخ حول كتاب الاسلام واصول الحكم.

وهذا الخبر هو في الحقيقة اضافة جديدة اريد بها اضافة حلقة جديدة من حلقات الربط بين على عبد الرازق وطه حسين وفي نفس الوقت الربط بين الشعر الجاهلى والاسلام واصول الحكم.

أما الدعوى بأن المحقق محمد نور قد برأ طه حسين من التهمة فهو ليس صحيحا، انما الصحيح ان محمد نور أريد منه ان يقفل الملف فقدم الاتهامات وحولها من عقوبة الاتهام الى ما يسمى (القصد الجنائي غير متوفر)، اما الاتهام فهو واضح وقد كشف محمد نور في بيانه عن كل اكاذيب طه حسن في كتاب الشعر الجاهلي، ونص العبارة التى ختم بها وكيل النيابة التحقيق: (ان الباحث حذا في بحثه حذو العلماء من الغربيين (يقصد المبشرين والملاحدة) ولشدة تأثر نفسه بما اخذ عنهم قد تورط في بحثه حتى تخيل حقا ما ليس بحق او مازال فى حاجة الى اثبات انه حق فكان يجب عليه ان يسير على مهله وان يحتاط في سيره حتى لا يضل ولكنه اقدم بغير احتياط فكانت النتيجة غير محمودة).

ومعنى هذا ان الجناية والتورط والضلال والمساس بالدين متوافر ولكن القصد الجنائى غير متوافر ويذكرنى الدكتور محمد عمارة بأن طه حسين في عام ١٩٤٧ أعلن انه شكك في عقائد اسلامية جاءت في القرآن الكريم وذلك حين قال:

«لقد انتهيت الى رفض قدر كبير من الشعر الجاهلى وفي اطار هذا المسعى شككت في بعض المعتقدات التى ذكرت في القرآن او في الاحاديث النبوية وكانت الصدمة قاسية والاستنكار واسع النطاق».

التقدم والانتماء في

في دراسة سابقة تناول الأستاذ الدكتور محمد عمارة بالتحليل والنقد مجموعة من افتراءات ومغالطات الدكتور نصر أبو زيد في كثير من معطيات التشريع الإسلامي، وأوضح أن الدكتور (أبو زيد) نتاج توجه خاطيء - وهذا التوجه على قلة أفراده - يملأ الساحة ضجيجا.

وهذه الدراسة (في الانتماء الثقافي) يتتبع فيها الدكتور عمارة معالم ومرتكزات (الانتماء الثقافي) للأستاذ عبد الله النديم من خلال مجلته (الأستاذ) إذ كان للنديم دوره الواضح في تثبيت ركائز الحضارة الإسلامية في مواجهة الغزو الاستشراقي ومعاونيه من أبناء البلاد الإسلامية.

والمنهل يكرر الشكر موصولا للأستاذ الدكتور عمارة على تواصله الفكري والعلمي الدائم مع منهله وقرائه.

- المنهل -

في الانتماء الثقافي

(١ - ٦)



بقلم المفكر الاسلامي:
أ.د. محمد عمارة

منذ مائة عام سنة ١٨٩٦م - توفي عبد الله النديم (١٢٦١ - ١٣١٣هـ/ ١٨٤٥ - ١٨٩٦م) توفي - منفيا - في الآستانة، بسبب عدائه للاحتلال الانجليزي لمصر، ودوره في الثورة العرابية.. وعندما توفي واراه الثرى أستاذه جمال الدين الأفغاني - الذي لحق به بعد عام.

وفي فكر عبد الله النديم، وما كتب عنه من دراسات، نجد «السياسى» قد ظلم «الثقافي» ظلما شديدا.. فالرجل كان واحدا من أبرز مفكرى ومثقفي تيار الجامعة الاسلامية - الذى قاده الأفغانى - لكن دوره المتفرد في الثورة والسياسة قد لفت الأنظار عن اسهامه الفكرى والثقافي .. حتى إن الكثيرين لا يعرفون أنه واحد من طلائع مثقفينا الذين كتبوا عن «التقدم» وعن «الانتماء».

وعندما يكون موضوع هذه الصفحات عن «الانتماء الثقافي للنديم».. فإن أول ما يجب هو تحرير مضامين المصطلحات.

* **فالانتماء**: هو الانتساب، الذى يجسد خيوط الولاء التى تشد الإنسان المنتسب إلى ما ينتسب إليه، فيرتبط به، وينجذب إليه، ويخلص له الولاء والانتماء.

* **والثقافي**: نسبة إلى الثقافة - التى هى جماع المهارات التى تثمر عمران النفس

مشروعنا النهضوي

الإنسانية وتسهم في تهذيبها - تثقيفها - وارتقائها على درب المثل والمقاصد والنماذج التى صاغتها وتصوغها العقائد والفلسفات التى يؤمن بها هذا الإنسان.. فهي - الثقافة - مع «المدنية» التى تمثل عمران «الواقع» جماع الحضارة والعمران.

* والحديث عن الانتماء والانتساب والولاء الثقافي لعبد الله النديم، لابد وأن يحدد موقع انتمائه الثقافي إزاء:

أ - الوافد الثقافي الغربي - الذى فتحت أمامه الأبواب، في عصر النديم، أكثر من ذى قبل.

ب - وإزاء موروثنا الفكرى والثقافي، وتيارات هذا الموروث.

جـ - وموقع النديم - ولاء وانتماء - من دوائر الانتماء الثقافي:

١ - الوطنية: التى كانت تمثلها مصر.

٢ - الدائرة الشرقية: والتى كانت تستخدم فى أدبيات ذلك العصر، للدلالة على الدائرة الاسلامية، وما في أوطانها الشرقية من أجناس وأقوام، ومن ملك وأديان.

٣ - الدائرة الجنسية: التى تحدد حدودها الأعراق.

٤ - الدائرة العثمانية: الجامعة لأقوام وملل شرقية متعددة.

أين كانت ثقافة النديم من هذه الدوائر والمؤثرات والمرجعيات؟؟.

* ولقد اعتمدت هذه الدراسة واحدا فقط من الآثار الفكرية للنديم كي يكون الديوان الذى نكتشف فيه ومنه انتماءه الثقافي.. وهو مجلة (الأستاذ).

ولم يكن سبب الوقوف عند (الأستاذ)، دون غيرها من صحف النديم وكتبه، بسبب حجم الدراسة - الذى قد يقتضى الاقتصاد - غير المخل - في المصادر.. وإنما كان الاكتفاء بهذا المصدر - مجلة (الأستاذ) - مؤسسا على العديد من الأسباب.

١ - فمجلة (الأستاذ) هى آخر الأعمال الفكرية لعبد الله النديم، وفيها تجسد الموقف الأخير الذى انتهت إليه وختمت به رحلته الثقافية، التى حفلت بالمراحل والأطوار والمواقف والآراء.

٢ - وفيها تمثلت مرحلة نضجه الفكري، حتى إنه يسمي أعداد - أجزاء - هذه المجلة - فى آخر مقالاته بآخر أعدادها - يسميها «أجزاء كتاب العبر، وباب المبتدأ والخبر»[١]؟!

٣ - وعلى صفحات هذه المجلة تناثرت خلاصات تأملاته فى سنوات اختفائه العشرة.. بل لقد كان نشر هذه المجلة لخلاصات موضوعات المؤلفات العشرين التى كتبها النديم في فترة اختفائه واحدا من مقاصد إصدار هذه المجلة.. يعلن عن ذلك شقيقه «عبد الفتاح النديم الإدريسى» في العدد الأول من (الأستاذ) فيقول: «والحامل لي على فتح هذه الجريدة[٢]، أني رأيت شقيقي الفاضل السيد عبد الله أفندي النديم، المنشيء الشهير، قد مضى مدة اختفائه مشتغلا بوضع كتب لا تخلو من الفوائد.. فاستأذنته في نشرها.. ومع كوني اتخذت هذه المؤلفات مادة للجريدة، فإني وكلت تحرير مطالبها وترتيب رسائلها لقلمه[٣]».

ففي مجلة (الأستاذ) خلاصة مؤلفات

النديم، والآراء التى ختم بها مرحلة جهاده الفكرى، بعد حقبة الاختفاء.

٤ ـ ويزكى هذا الاختيار لهذا المصدر، أيضا، ما تميزت به حقبة صدور (الأستاذ) من بعد عن ملابسات الهياج الفكرى وثقافة الشعارات وصياغات التعبئة الوطنية الحادة التى تميزت بها وكان لابد أن تتميز بها مرحلة الثورة العرابية، ومقالات النديم أثناءها.

٥ ـ كذلك، كانت المواجهة ـ إبان صدور (الأستاذ) مع «الآخر الثقافي»، والوافد الفكرى الأوربي، حقيقة قائمة على أرض الواقع الثقافي ـ وليست مجرد احتمال ـ فكانت (الأستاذ) ميدانا من ميادين هذه المواجهة مع المنابر الثقافية والفكرية والسياسية التى مثلت «الآخر الثقافي» في ذلك التاريخ، وخاصة منبري (المقتطف) و(المقطم) اللذين تمثلت فيهما حملة التبشير بمذاهب الغرب وبالسياسة الاستعمارية.

٦ ـ ثم إن حجم هذا المصدر (الأستاذ) كبير، فصفحاتها تربو على الألف ١٠٣٢ صفحة .. الأمر الذى يجعلها ـ بمادتها الثقافية ـ وافية كل الوفاء بتحديد معالم الانتماء الثقافي لعبد الله النديم.

٨ ـ ويزيد من أهمية هذا المصدر، مكانته في ساحة الفكر والثقافة الشرقية ـ وليس فقط المصرية ـ في ذلك التاريخ.. فهذه المجلة الأسبوعية، التى لم يزد عمر صدورها عن عشرة أشهر[٤]، قد فاق انتشارها كل الصحافة المصرية في عصرها ـ جرائد كانت تلك الصحافة أو مجلات ـ يومية كانت أو أسبوعية أو شهرية تلك النشريات؟!.. فعلى حين كان توزيع (الهلال) الشهرى ٧٤٠ نسخة.. و(المقتطف) الشهري ١٣٠٠ نسخة و(المقطم) اليومى ١٤٥٥ نسخة و(الأهرام) اليومى ٢٧٧٥ نسخة، فإن توزيع مجلة (الأستاذ) قد بلغ ٢٨٤٠ نسخة، متفوقا على سائر الصحافة المصرية فى ذلك التاريخ!! فهي «ديوان» الانتماء الثقافي للنديم .. وهى أوسع دواوين الانتماء الثقافي ـ لمجتمعنا ـ انتشارا في تلك الحقبة المتميزة من حقب المواجهة بين ثقافتنا وبين الوافد الثقافي الأوربي.. الأمر الذى يرشحها مصدرا وافيا لدراسة موضوع هذه الصفحات.

الانتماء الثقافي .. والتقدم

كانت حياة النديم معركة في سبيل الاستقلال الوطني والتقدم الحضاري، تعددت فيها الآليات، وتمايزت «نبرات الصوت»، دون أن يغيب المقصد عن هذا المفكر السياسى المناضل في لحظة من اللحظات.

وفي الحقبة التى صدرت فيها (الأستاذ) في ظل حكم الاحتلال الانجليزى.. وتحكم اللورد كرومر (١٨٤١ ـ ١٩١٧م) كان النديم يتحايل، كي يواصل جهاده، بالإعلان عن أنه لن يخوض فى «السياسة» بمعنى «الإدارة»، «.. وأما فن السياسة، من حيث هو، فإنه يدخل في موضوعها العلمي، فإن علم التاريخ والأخلاق والعادات وتدبير الممالك ووحدة الاجتماع العالمى من الفروع السياسية» التى تدخل في صميم رسالة (الأستاذ)[٥] ومن هذا الباب لم تدع هذه المجلة ميدانا من ميادين المواجهة مع الاستعمار الانجليزي، ومع الوافد الثقافي الأوربي ـ الذى قامت له منابر ثقافية وإعلامية رعاها الاحتلال الانجليزى في مصر يومئذ ـ لم تدع (الأستاذ) ميدانا من هذه الميادين إلا وخاضت فيه .. ففي التصدى لسلطة الاحتلال المباشرة، استخدم النديم أسلوب «الرفق» لتحقيق الجلاء، وكتب يقول: «وبالرفق يستخرج الإنسان الحية من وكرها.. وفى الإشارة ما يغنى عن الخبر، فاعتبروا يا أولى الألباب!»[٦]، أما في الفكر والثقافة، فلقد كانت أعداد المجلة صراعا بين الانتماء الثقافي للنديم وأمته وبين الوافد الغربى الذى يبشر به «الأجراء» و«العملاء»!

ولهذه الملابسات، فإن حديث النديم عن الانتماء الثقافي للأمة، لم يكن لونا من ألوان «الترف الفكري»، وإنما كان سلاحا لمقاومة الاحتواء الاستعماري للأمة، وتحقيقا لشرط من شروط التقدم الحقيقي، الذى يخرج الأمة من مأزق «التخلف الموروث» و«الهيمنة الوافدة».

والنديم، الذى كتب دراسة ضافية عن أسباب تأخرنا وأسباب تقدم الغربيين، رغم أن «الخلق واحد» وجعل عنوانها: «بم تقدموا وتأخرنا والخلق واحد»؟![٧] .. ولعلها أقدم الدراسات في هذا الموضوع.. كان مهموما بقضية «التقدم»، باحثا عن عوامل التراجع الحضاري، وعن شروط النهضة .. ولقد امتدت بصيرته إلى الجذور التاريخية لتراجعنا الحضارى، ورصد من عوامله الداخلية:

أ ـ حكم التغلب وسلطان الاستبداد.

ب ـ وتجزئة السلطة وتشرذم الأقاليم في ديار الإسلام.

جـ ـ وتراجع سلطان العلماء وتأثير المؤسسات العلمية والتعليمية.

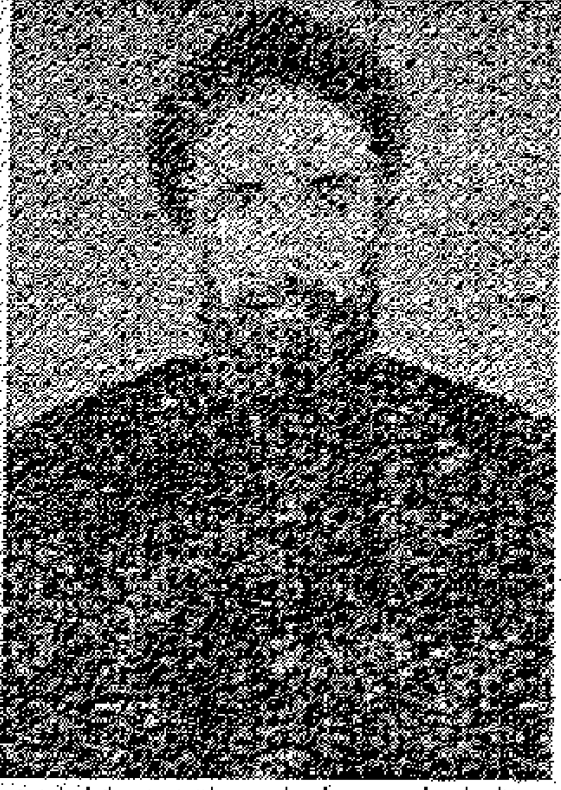
د ـ وضيق السلاطين بالحرية الفكرية، وتضييقهم على أرباب الأفكار الحرة وأهل الاجتهاد والتجديد.

وهي أمراض التخلف الداخلي، التى طرأت على حياتنا بعد حقبة ازدهار الحضارة الاسلامية، عندما «جاءت الدولة العربية وأطلقت حرية الأفكار، وجمعت العلماء من جميع الجهات، وترجمت كتب الأوائل الحكمية وغيرها، وفتحت بابا أغلقه الجهل قرونا طويلة. ثم انقضى دور الضخامة وتوحيد الكلمة، وجاء وقت المتغلبين، فتجزأت المملكة، وتصدى الثائرون لقتل العلماء وإحراق الكتب وهدم المدارس، فانطفأت أنوار العلوم الشرقية، وضيق ملوك الشرق على أرباب الأقلام»[٨]

وأبصر النديم دور التحديات الخارجية، التى جابهت المسيرة الحضارية لأمتنا، دورها في تنمية الأمراض الداخلية للتراجع الحضاري، وفي إطالة عمرها، والحيلولة دون الخلاص منها.. وعلى هذه الجبهة رصد تحديات الغزوة التترية، والحروب الصليبية.. ودورهما في استدعاء ودعم سلطات التغلب والاستبداد، وفي تراجع دور العلم وسلطان العلماء.. فبعد أن «انبثت روح العلم في المسلمين، وظهر منهم علماء الشريعة الغراء، والآليات، والرياضيات، والطبيعيات، وزينوا الدنيا بعلومهم، وملأوها بآدابهم، ومزقوا ثوب الجهالة والضلالة بسيف الدين والعلم. جاءت فتنة التتار، فقهرت سير المسلمين، وأوقفت التقدم العلمي. وأعظم منها فتنة الحروب الصليبية، التى غرست العداوة بين الملتين الإسلامية والمسيحية، ولاشت القوة العلمية بالقوة العدوانية، فأخذ العلم فى الانزواء ثم فى التلاشى بموت أهله وإقفال مدارسه وإحراق كتبه ونهبها»[٩]

وبعد الرصد لأسباب التخلف التاريخى، الداخلى منها والخارجي، نبه النديم على أن التقدم إنما يمثل حركة شاملة للنهوض، لابد فيها من تضافر «الملوك ـ والدول» و«العلماء وأرباب الأقلام والأفكار» و«الأغنياء وجمعيات وشركات التجارة والصناعة والزراعة».

فإذا كان «التأخر إنما جاء من تعميم الجهالة، بإغضاء الملوك عن وسائل التعليم،


عبدالله النديم


جمال الدين الأفغاني


الامام محمد عبده

والتضييق على أرباب الأقلام والأفكار، وبعد الأغنياء عن الجمعيات، وتقاعدهم عن ضروب التجارة والصناعة والزراعة، ورضاهم بالبقاء تحت أسر الشهوات»٠٠ فإن التقدم مشروط «بإطلاق الملوك حرية الأفكار والمطبوعات، تحت المراقبة، وبذل الأغنياء الذهب في حياة الصنعة، وتعميم المعارف في المدن والقرى، ومساعدة العلماء على الرحلة خلف حياة العلم، واجتماع كلمة الملوك والوزراء والأمم على السعي خلف التقدم، وبذلك يمكنهم أن يوقفوا تيار أوربا شيئا فشيئا حتى يضارعوها قوة وعلما»[١٠]

فلم يكن النديم داعية لمطلق «التقدم» ولا لأي «تقدم» وإنما هو هنا داعية «للتقدم الذى يوقف تيار أوربا شيئا فشيئا، وذلك بمضارعتها قوة وعلما»٠٠ ولهذه الحقيقة، التى ميزت التقدم الذى دعا إليه النديم، والتى ميزت وتميز الانتماء الثقافي الذى أفاض في الحديث عنه، جاء حديثه عن ضرورة تحديد «المرجعية ٠٠ والمبدأ» الذى تبني عليه الأمة أعمالها على درب التقدم، إخراجا لها وخروجا بها من الحيرة التى تعانيها إزاء التعددية في مرجعيات ومباديء التقدم والنهوض٠٠ «فرجال الشرق، أخذوا يحاكون أوربا٠٠ وسعوا في جمع كلمتهم، وعقد الجمعيات لفتح مدارس العلوم والصنائع وتهذيب النفوس وتعميم الآداب، ولكنهم مع بقائهم على التفرق، وعدم اتخاذ مبدأ يبنون عليه أعمالهم، لا تزال الأيام تقيمهم وتقعدهم، وهم حيارى بين المقعد والمقيم»[١١]

ولم يترك النديم قارئه فى حيرة إزاء الانتماء الثقافى «للمرجعية٠٠ والمبدأ» الذى زكّاه منطلقا للتقدم الذى دعا إليه٠٠ فهو انتماء «للجامعة الشرقية» وثقافتها٠٠ تلك التى رآها إطارا جامعا يضم تحت جامعه الأكبر العديد من دوائر الانتماء الفرعي، التى تتكامل في بناء نموذج ثقافى شرقى - متميز عن النموذج الثقافي الغربي - الذى صارعه النديم على صفحات مجلة (الأستاذ)٠

وقضية «التعددية» في دوائر الانتماء الثقافي، تبرز في كتابات النديم عندما يعرفنا بنفسه، فهو «عبد الله النديم، الإدريسي، الحسني، الأشعرى، الشافعى، الخلوتى، الاسكندري»[١٢]٠٠ ففيه تتعدد وتتكامل دوائر الانتساب والانتماء إلى الأسرة٠٠ وإلى آل البيت من أبناء الحسن بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنهما٠٠ وإلى الأشعرى - فى علم الكلام وأصول الدين٠٠ وإلى الشافعى - في فقه الفروع - وإلى الخلوتية - في طرق التصوف - والى الاسكندرية - في الميلاد والنشأة٠

وفي عناوين مؤلفات النديم تطالعنا هذه الحقيقة ٠٠ ففيها كتاب عن (وطنية الشرق) وكتاب (نحن وأنتم) عن تميز الشرق عن الغرب الأوربي ٠٠ وكتب عن التاريخ العربي والتراث الاسلامي٠٠ ومن بين كتبه العشرين عشرة خالصة للإسلاميات[١٣]٠

أما مجلة (الأستاذ)، التى وصف أعدادها بأنها «أجزاء كتاب العبر، وباب المبتدأ والخبر»[١٤]، والتى كانت منبرا للرابطة الشرقية، فإنه يصفها بأنها «جريدة إسلامية»، تجاور «جرائد دينية مسيحية للبروتستانت»، وتصارع «جرائد الأجراء» المبشرين بالانتماء الثقافي للغرب - من مثل (المقتطف) و(المقطم)[١٥]!!

وإذا كان النديم قد بدأ حياته الفكرية والثقافية في صحافة تيار الجامعة الاسلامية، الذى بلوره وقاده جمال الدين الأفغانى ٠٠ وختم حياته بصحبة الأفغاني في الآستانة - حيث شيعه الأفغاني إلى مثواه الأخير - فإنه قد أعلن - فى مجلة (الأستاذ) - عن انتمائه لهذا التيار التجديدي، الذى سعى إلى تجديد دنيا المسلمين بتجديد دين الإسلام٠٠ ففضلا عن إعادته نشر بعض مقالات (العروة الوثقى) لسان حال ذلك التيار[١٦] فإن حديثه عن

الأفغاني وعن الإمام محمد عبده شاهد على هذا الانتماء.. فهو يتحدث عن «السيد جمال الدين الأفغاني، الشهير، الغنى عن التعريف، الرجل الذى جرب الأمور، وساح الأقطار، وخالط الأمم، وداخل السياسيين، ودرس التاريخ الحاضر والماضى، وامتد باعه في العقليات، فأصبح أمة وحده بين ذوى الفضل - الأمر الذى دعا مولانا الخليفة الأعظم لاستدعائه وإدخاله فى لفيف العلماء الخاص بمجلسه العالى، فقد أهلته المعارف والتجارب والمخالطة العامة لسامرة الملوك والنظر في السياسات العالية، وهذا كله من فضل السيد الأعظم ، حفظه الله تعالى[١٧].

فإذا كان السلطان وأمير المؤمنين - عند النديم - هو «الخليفة الأعظم» فإن «السيد الأعظم» هو جمال الدين الأفغاني؟!.. وهو يكتب ذلك في ظل الاحتلال الانجليزى، يوم كان الانتساب للأفغاني من كبائر المحرمات!.

أما تقدير النديم للإمام محمد عبده - وهو أبرز تلاميذ الأفغاني.. وأعظم مهندسي صرح التجديد الاسلامي في مدرسة الجامعة الاسلامية وللكتاب والمفكرين الذين تكونت منهم مدرسة النهوض بالعربية والتجديد لأساليب التحرير بها - فإنه يتجلى من وصف النديم الذى يقول فيه: «أفضل الفضلاء، وإمام محراب الانشاء، الأستاذ الشيخ محمد عبده، والجهابذة المتفننين، والكتبة المقتدرين: حسن بك حسنى، وابراهيم أفندى على اللقانى، وإبراهيم أفندى الهلباوي، وحسن أفندى الشمسى، وأحمد أفندى سمير، ووفا أفندى محمد، وسعد أفندى زغلول، والطيب الذكر أديب أفندى اسحق، وغيرهم من الفضلاء الذين عرفتهم الأقلام بما أودعوها من أسرار الإنشاء وضروب التحرير[١٨].

وهى أوصاف شاهدة على موقع فكر أعلام هذه المدرسة من مدارس الإحياء والتجديد الاسلامى في الانتماء الثقافى لعبد الله النديم.

ففي إطار «الجامعة الاسلامية» والتى كثيرا ما سميت «الجامعة الشرقية» و«الرابطة الشرقية»، كان الانتماء الثقافى للنديم.

وفي إطار هذا «الجامع الأكبر.. والأول.. والأشمل» رأى النديم تعدد وتكامل دوائر الانتماء الثقافي، إن على مستوى الفرد.. أو الوطن.. أو الجنس.. أو الأمة .. أو دولة الخلافة، التى كانت تجمع، يومئذ، العديد من دوائر الانتماء.

- للدراسة صلة -

الهوامش:

(١) الأستاذ. العدد الثاني والأربعون ص ١٠٣١

(٢) كان عبد الله النديم «محرر الجريدة» وكان شقيقه «مدير الجريدة».

(٣) الأستاذ - العدد الأول ص٢.

(٤) صدر العدد الأول: الثلاثاء، أول صفر سنة ١٣١٠هـ - ٢٤ أغسطس ١٨٩٢م - وصدر عددها الأخير - الثاني والأربعون يوم الثلاثاء ٢٨ ذى القعدة ١٣١٠هـ - ١٣ يونيو ١٨٩٣م.

(٥) الأستاذ - العدد الاول ص ٢، ٣.

(٦) المصدر السابق - العدد الثاني والعشرون ص ٥٢٨ ، ٥٢٩.

(٧) المصدر السابق - العدد الخامس عشر ص ٣٣٧ - ٣٥٢.

(٨) المصدر السابق - العدد الخامس عشر ص ٣٤٨.

(٩) المصدر السابق - العدد الحادى والثلاثون ص ٧٣٠.

(١٠) المصدر السابق - العدد الخامس عشر ص ٣٥٢.

(١١) المصدر السابق - العدد العشرون ص ٤٦١ ، ٤٦٢.

(١٢) المصدر السابق - العدد الحادى والأربعون ص ٩٩٩.

(١٣) المصدر السابق - العدد الثاني والأربعون ص ١٠٢٥ ، ١٠٢٦.

(١٤) المصدر السابق - العدد الثاني والأربعون ص ١٠٣١.

(١٥) المصدر السابق - العدد الرابع والثلاثون ص ٧٩١ ، ٧٩٢.

(١٦) المصدر السابق - العدد الثامن والثلاثون ص ٨٩٧ - ٩٠٥.

(١٧) المصدر السابق - العدد السادس والثلاثون ص ٨٦٨، ٨٦٩.

(١٨) المصدر السابق - العدد التاسع والثلاثون ص ٩٣٨.

إعلام

مفهوم الإعلام ف

إن المهتم بالإعلام الإسلامي من خلال الخطاب القرآني يجد أن هذا الأخير قد وضع المبادىء والأصول والقيم، وهي لا تغني عن البرامج والخطط التي تبصر المتغيرات، وتدرك أبعاد الخطاب ومقاماته في كل زمان ومكان.

وقد نكون اليوم أكثر من أيّ وقت مضى في حاجة إلى القيام بالمراجعة للخطاب الإسلامي في الدعوة والإعلام، وخاصة في هذه المرحلة بالذات حيث السقوط الحضاري والثقافي والسياسي والاقتصادي للمقولات العالمية التي كانت تشكل أمل الفقراء، والتي تولدت نتيجة الظلم الاجتماعي والاستبداد السياسي فجاءت لتعالج أزمة الإنسان فعالجت الإنحراف بانحراف أشد.

فالاعلام - كما هو معلوم - هو إيصال المعلومة، وعملية التوصيل هذه تتركب من مجموعة من العناصر: عنصر يتعلق بالمعلومة نفسها من حيث صحتها وخطئها، وعنصر يتعلق بالناقل المُعْلم: خصائصه وصفاته وقدرته على الإبانة، واستشعاره المسؤولية تجاه ذلك. وعنصر يتعلق بالمتلقي: تاريخه، وثقافته وواقعه وعمره الثقافي ومدى ملاءمة المعلومة لعمره العقلي إلى جانب السياسة المرسومة وعملية التحكم التي تخضع لها العملية الإعلامية[١].

لا يوجد إعلام بدون رسالة يحملها إلى العالم، بل الإعلام هو الرسالة في الحقيقة التي تؤمن بها الامة، وتجتهد في إبلاغها، فالاعلام هو السفير، وهو المعبّر عن الصورة الحقيقية للرسالة الإسلامية، وهو الذي يحمل القيم والاخلاق الاسلامية، ويحمل النظرية والنموذج، والمثل الأعلى إلى العالم، يدلل على صدقها، ويثير الاقتداء بها بمختلف الوسائل ويحاول أن يفيد من كل التقنيات الإعلامية الحديثة، ويضبط مضامينها بالقيم الاسلامية، ويحسن توظيفها لخير البشرية والحاق الرحمة بالناس استجابة لقوله تعالى: «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين».

فالإعلام الإسلامي قضية أشمل من صفحات دينية معزولة ومحكومة في جرائد ودوريات أو أحاديث وخطب رتيبة في إذاعة وتلفزيون. وتكتسب المطالبة بايجاد البديل الاسلامي في ميدان الاعلام بجانبيه النظري والتطبيقي أهمية بالغة لما تتمتع به وسائل الاتصال اليوم من مكانة خطيرة في توجيه عقليات الناس، وتشكيل سلوكهم في الحياة، في عالم تَحَوَّل الى قرية كونية قصرت وسائل الاتصال الاليكترونية المسافات بين أجزائه، وربطت شبكة معقدة من الاتصالات بين دوله وشعوبه بصورة لم يسبق لها مثيل في تاريخ الانسان كله.

بقلم:

د. عبدالسلام بنهروال

شعبة الدراسات الإسلامية

- الجزائر -

من هذه المقدمة نخلص إلى بعض التساؤلات الحيوية حول الاعلام الاسلامي ومفهومه ودوره ومسؤوليته في وقت نحن في أمس الحاجة إلى جلاء صورته وتحديد معالمه، والكشف عن كنوزه وذخائره، والتخطيط من أجل تحويله الى واقع حي يتعانق

...ي المنظومة الاسلامية

فيه القول مع الفعل، وتتلاحم فيه النظرية بالتطبيق وهي كالتالي:

لماذا نحتاج إلى الاعلام الاسلامي؟ وما هو الاعلام الاسلامي الذي نريد؟ وكيف نصل اليه؟

تستند المطالبة بأسلمة الاعلام وصياغته صياغة إسلامية إلى المبررات الاتية:

١ ـ مبرر منطقي:

وهو أن الاسلام جاء ليكون منهجا شاملا للحياة كلها بجميع جوانبها ومجالاتها وقد رسم الاسلام للانسان معالم لنظمه الاجتماعية المختلفة لتتوافق هذه النظم مع الغاية الرئيسية لوجوده، وهي خلافته عن الله في الارض لعمارتها ٠ وارتباط المسلم باسلامه ليس ارتباطا عاطفيا روحيا وحسب، بل هو ارتباط واقعي عملي من خلال تطبيق شرائع الاسلام وهديه وتعاليمه السامية، وتوجيهاته الربانية في مجموعة من النظم الاسلامية التي حكمت حياة المسلمين في شؤونهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والمدنية والعسكرية٠

٢ ـ مبرر واقعي:

ويتجلى في كون المسلمين يواجهون في مختلف الاقطار غزوا فكريا وثقافيا، وحضاريا رهيبا، ولم يعد هذا الغزو الحضاري الشامل مقصورا على الوسائل التقليدية للغزو من كتب استشراقية، أو مذاهب هدامة، أو مؤامرات استعمارية مكشوفة، وانما أصبح يستخدم وسائل جديدة أو أساليب جديدة تعبر إلى الاجيال الصاعدة بل الى العقول المثقفة عن طريق الخبر الذي تبثه وكالة الأنباء، والتحليل السياسي أو الاقتصادي الذى تكتبه الصحيفة، والصورة التي ترسلها الوكالات المصورة، وعن طريق الافلام المدهشة، وتعبر كذلك عبر النظريات المدسوسة في مناهج التربية والتعليم معللة بدعاوى العلم والتقدم، والاكتشافات الحديثة[٢]٠

> **الارسال الفضائي أصبح متاحاً في كل بيت بكل ايجابه وسالبه منهجية الإسلام في السلوك والخلق ينبغي ان تتبعها منهجية مماثلة في الإعلام**

إن هذا الغزو الحضاري الرهيب ـ بمختلف صوره ـ يعمل على زعزعة مباديء الاسلام وقيمه، وهدم اخلاقياته ومثله في نفوس أبناء المسلمين لينشأوا في غربة عن دينهم وحضارتهم وتراثهم ويصبحوا فريسة سائغة للأفكار الغربية، ولنمط الحياة الغربية بكل ما فيها من انحرافات عبر مجموعة من الصور، ولا مفر من مواجهة هذا الغزو مواجهة صحيحة، وذلك بتطوير استراتيجية محكمة تعتمد على هدفين اثنين:

الأول: توجيه الإعلام في الدول الاسلامية نحو الأصالة والذاتية النابعة من قيم الاسلام ومبادئه، وتوفير الجو الملائم، والدعم المناسب لصنع

البدائل الاسلامية التي تقف في مواجهة ما يقدمه الغرب.

الثاني: تنقية الاعلام - الى جانب التعليم - من المؤثرات العلمانية والالحادية وتفنيد ما تقدمه وسائل الاعلام الغربية من انحرافات. وهذه المواجهة الواقعية للغزو الفكري والثقافي في صورتها الشاملة المتكافئة لن تتحقق إلا عندما تتبلور في أذهان المسلمين الصورة الحقيقية للاعلام الاسلامي.

ما هو الإعلام الاسلامي الذي نريد؟

تختلف نظرات الناس حول الاعلام الاسلامي ما بين النظرة الجغرافية، والنظرة التاريخية، والنظرة الواقعية التجزيئية.

فالنظرة الجغرافية تفهم الاعلام الاسلامي على اعتبار أنه صادر عن دول العالم الاسلامي، أو الجهات التي تنتسب إلى الاسلام، وتكاد تكون هذه النظرة هي السائدة في الدراسات الأجنبية عن الاعلام الاسلامي، ولذلك تصنفه في إطار العالم الاسلامي بمفهومه الجغرافي الرسمي دون تمييز في المنهج أو الغاية أو الممارسة.

والنظرة التاريخية للإعلام الاسلامي تكاد تحصره في إطار زمني ضيق، وترى أنه مفهوم تراثي وممارسة محدودة في فترة زمنية معينة مثل تلك الدراسات التي تتناول الاعلام ووسائله في عهد النبوة، أو الخلفاء الراشدين.

أما النظرة الواقعية التجزيئية للاعلام فتستند الى صور الممارسة الواقعية لبعض جوانب الاعلام الاسلامي في حدود الصفحات الدينية، وركن المفتى، والخطب المنبرية في الصفحات اليومية والاسبوعية، ورغم أن هناك بعض جوانب الصحة في هذه النظرات المختلفة للاعلام الاسلامي، فإنها لا تعبر عن حقيقته وشموله وتكامله، ولا تمثل جوهره الاصيل.

والحق ان الاعلام الاسلامي ليس مرتبطا بفترة زمنية معينة وليس محدودا ببقعة مكانية محدودة، بل هو منهج يتجاوز حدود الزمان والمكان ويحمل في طياته بذور الملاءمة لكل زمان ومكان[٣].

ومما يشكل خطرا على الاعلام الاسلامي الازدواجية والتناقض في الوسيلة الواحدة فضلا عن وجودهما في الوسائل المتعددة، حيث تستمع مثلا إلى برنامج ديني يحث على الفضيلة، فيعقبه مباشرة برنامج آخر يغري بالرذيلة، أو أغنية ماجنة تزين السقوط بصورة جذابة مشوقة، وتشاهد في التلفاز مثلا برنامجا دينيا يبني في نفوس المشاهدين معاني الرجولة والصلاح والخير، ثم لا تلبث أن تصطدم في الوسيلة نفسها بشريط مثير ينقض كل ما بناه البرنامج الديني ويهدمه[٤].

> **التطابق بين الإعلام ومنهجية الاسلام ضرورة لازمة قوة التأثير الإعلامي في عالمنا اليوم لا تدانيها قوة أخرى**

ولو نظرنا الى واقع النشاط الاعلامي والنظم الاعلامية في المجتمعات التي لا تدين بالاسلام لوجدنا أن النشاط الاعلامي فيها ينبع أصلا من التصورات العقدية والايديولوجية للمجتمع، وينطبع بالقيم والتقاليد والظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية السائدة فيه، ولوجدنا أيضا أنه يخدم - عبر قنواته وصوره - الغايات والاهداف البعيدة والقريبة التي يسعى المجتمع إلى تحقيقها. وللإسلام فلسفته الاعلاميةالخاصة به، وفي ضوء هذه الفلسفة المستقاة من المصادر الاصلية للمنهج الاسلامي نجده قد وضع أصولا

إعلام الدول الإسلامية يحمل من المتناقضات ما يدعو للدهشة

عامة وقواعد كلية لكافة جوانب العملية الاعلامية، وهي مبثوثة فى المصادر الاسلامية المتمثلة في القرآن الكريم والحديث الشريف وفي اجتهادات فقهاء المسلمين وعلمائهم عبر العصور المتعاقبة وذلك من خلال:

١ ـ **فلسفته الاساسية** واطاره الفكري العام المبني على التصور الاسلامي للكون والحياة والانسان، وغاية الوجود الانساني.

٢ ـ **غايته الكبرى** ومنهجه الاصيل في تحقيق تلك الغاية.

٣ ـ **وظائفه العامة والخاصة**، ومدى ارتباط هذه الوظائف بالحاجات الواقعية لأفراد المجتمع، ومقدار استجابته للظروف المحيطة بهم.

٤ ـ **أساليبه وطرقه** في تقديم المضمون إلى الناس، ومدى مراعاة هذه الأساليب لخصائص الجمهور المتلقي للرسالة الاعلامية وكيفية تعامله معه.

٥ ـ **وسائله وقنواته المتنوعة: تقليدية وعصرية.**

وهذا العمل الذى يستهدف صياغة منظومة اعلامية اسلامية للمجتمع الاسلامي لن يتحقق إلا من خلال اجتهاد عصري يقوم به متخصصون يمتلكون زادا متينا من العلم الإعلامي في جانبيه النظري والتطبيقي، ولابد أن يعتمد هذا الاجتهاد على تلاحم عنصرين هامين:

أولا: دراسة المصادر الاساسية للاسلام دراسة اعلامية علمية لاستنباط الأسس والقواعد التي تنظم العملية الاعلامية أو ترشد إليها.

ثانيا: دراسة نتائج البحوث والدراسات والممارسات الاعلامية المعاصرة، وتحقيق ثمرة هذا التصور النظري للاعلام الاسلامي بشموله وتكامله لن يكون ولن يتم إلا بالعمل الدؤوب والإعداد للكفاءات المتخصصة وتأهيلها فكريا، وخلقيا، وعلميا، ومهنيا، وذلك من خلال:

أ ـ **الاعداد الاصولي والفكري:** حيث يتعرف الطالب على الاصول العقدية والفكرية والتشريعية للاسلام من خلال مجموعة مختارة من المقررات الشرعية والفكرية في القرآن والحديث والتوحيد والفقه والثقافة الاسلامية.

ب ـ **الاعداد اللغوي،** لأن اللغة هي وسيلة الاعلام؛ بل هي وعاء الفكر والثقافة، وأن يسعى إلى التمكن في فنون القول والبيان، والاسلوب، والتعبير، والتذوق الادبي.

ج ـ **الالمام الشامل بقضايا المجتمع** الذي يعيش فيه، من حيث قضاياه، ومشاكله واحداثه، وتياراته.

هذه باختصار شديد نظرة حول الاعلام الاسلامي ومتطلباته ومكانته بين الاعلام الدولي والمهمة المنوطة به، والدور المنتظر منه القيام به في إبراز قضايا الدعوة الاسلامية وأسسها وبيانها وتوضيحها بالعقل والمنطق الذي يتطلبه العصر حتى يؤدي رسالته على أحسن وجه كما تنتظرها منه منظومته الاسلامية.

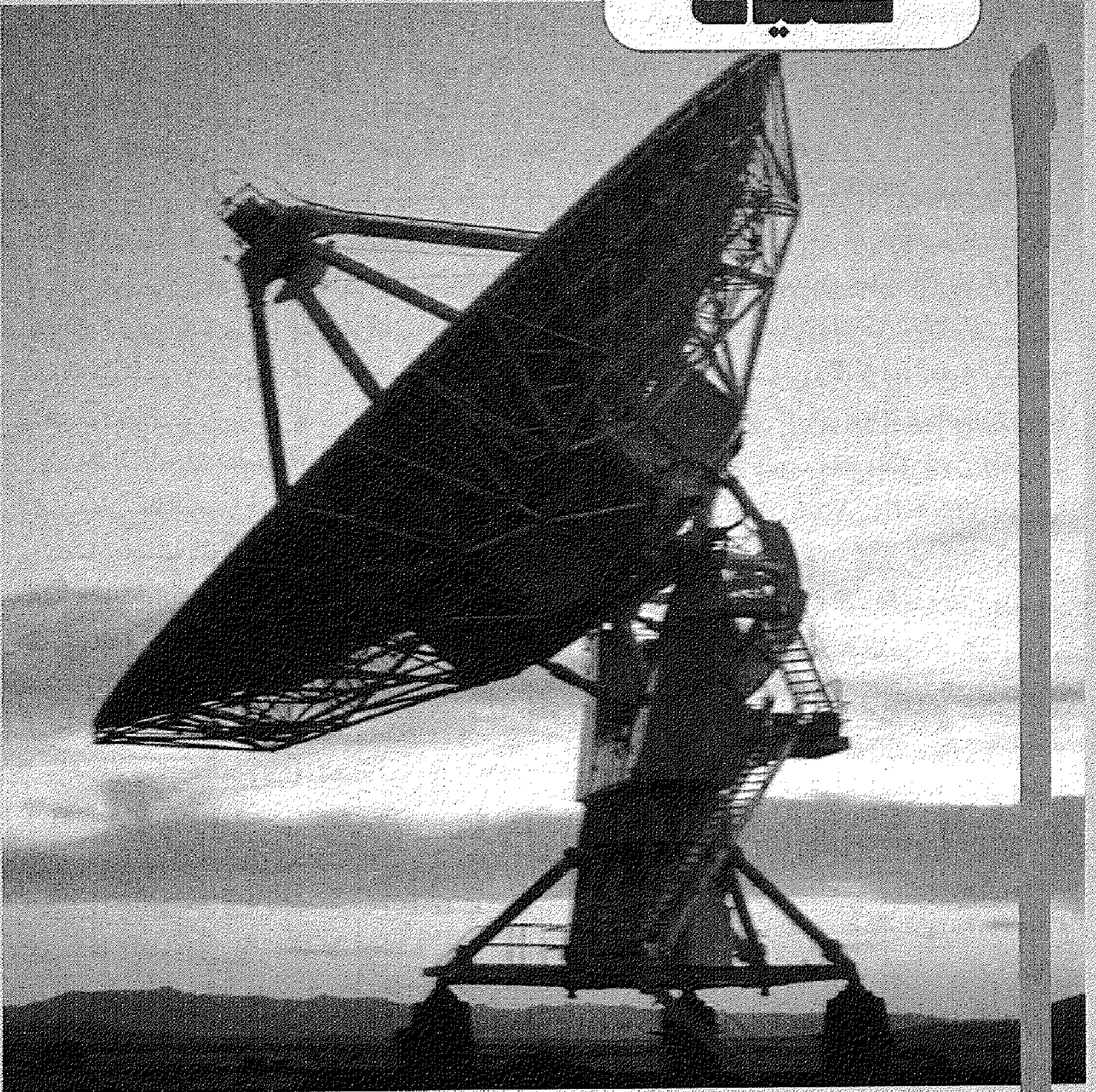
هوامش:

(١) مقالات في الدعوة والاعلام الاسلامي لمجموعة من المؤلفين (سلسلة كتاب الامة) ص ٢٢.

(٢) عبد القادر طاش في المرجع السابق ص ٣٠ بتصرف.

(٣) نحيل القارىء الكريم الى كتاب «الاعلام والقرآن» لعبد القادر حاتم ط ١٩٨٥ حيث يجد فيه مسيرة الاعلام الاسلامي والاهتمام الذي حظي به في القرآن والحديث.

(٤) وباستطاعة القارىء الكريم أن يلاحظ هذا التناقض فيما تقدمه بعض القنوات التلفزية من برامج.



الإنترنت ع

لقد خلق الباريء عز وجل الإنسان ووهبه ما يمكنه من العيش على هذه الأرض واستغلالها لينعم هو وأبناؤه بخيراتها. إن اعتراف الإنسان بفضل القدرة الإلهية عليه يجعله يحاسب نفسه ويفكر بنتائج أعماله قبل أن يقدم عليها باندفاع وبلا ترو، مقدراً بذلك نعمة الله سبحانه وتعالى عليه وعلى أجياله، فكثير من الوسائل والتقانات الحديثة التي يستمتع بها الإنسان في الوقت الحاضر تمتلك وجهين، الأول مفيد لتطور الإنسان مادياً ومعنوياً والثاني وجه شرير مدمر للقيم الروحية والاجتماعية. ولا يختلف الإنترنت وهو أحدث وأوسع وسائل الاتصالات في العصر الحالي، عن بقية الوسائل والمخترعات التي عمت الأرض خلال هذا القرن الذي أوشك على الانصراف، لذلك يجب توخي الحذر الشديد عند استغلال هذه الوسيلة، فكما تحمل معها بذرة المعرفة والخير فإنها يمكن أن تستغل لشتى أنواع الشر والفساد والرذيلة، خصوصاً وأنها أصبحت وسيلة يستخدمها العالم والمدرس والطالب والمحامي والطبيب والصناعي والمؤرخ والتاجر والكاتب والاداري الحكومي والعاملون في شتى المهن والحرف والصناعات، فلم تعد هناك حاجة لأي من هؤلاء أن يكون متخصصاً بالحاسوب ليستطيع استغلاله، وكل ما يحتاجه هو تدريب بسيط لتعلم كيفية استخدامه واستكشاف الإنترنت للحصول على ما يحتاجه من المعلومات.

والسؤال الملحّ هو هل الإنترنت عدو أم صديق؟ وللإجابة على هذا السؤال لابد من التعرف على الإنترنت وأصله أولا.

في البدء كانت الأصابع

عندما بدأ بحث الإنسان عن وسائل تساعده على الحساب كانت أصابع يديه ورجليه أول معداد أو حاسوب استخدمه الإنسان للعد، ثم تلا ذلك استخدامه للحصى والنوى. واستخدم الإنسان الكتابة بوضع رموز الأعداد؛ فكان الخط المستقيم رمزاً للواحد، ولا يزال كذلك في معظم لغات العالم، والخطان للاثنين وهكذا. ولم تكن الارقام الرومانية تعرف الصفر، وعندما أضاف العرب الصفر الى الأرقام سهل تعداد الأرقام الكبيرة وكتابتها، بعكس الأرقام الرومانية المزعجة.

بقلم: أ.د.
شذى الدركزلي
- المملكة المتحدة -

...دو أم صديق

العربية	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	٢٠	٣٠
الرومانية	I	II	III	IV	V	VI	VII	VIII	IX	X	XI	XII	XX	XXX

العربية	٣١	٣٢	٣٣	٣٤	٣٥	٣٦	٣٧	٣٨
الرومانية	XXXI	XXXII	XXXIII	XXXIV	XXXV	XXXVI	XXXVII	XXXVIII

العربية	١	٥	١٠	٥٠	١٠٠	٥٠٠	١٠٠٠
الرومانية	I	V	X	L	C	D	M

يبين الجدول التالي بعض الأرقام الرومانية ومقابلها من الأرقام العربية

ويزداد تعقيد الأرقام وطولها بزيادتها الى المئات والآلاف.

وتطورت الأدوات التي تساعد على حساب الأرقام الكبيرة: مثل أداة الحساب (المعداد) التي تستخدم لتعليم الأطفال الى المسطرة الحاسبة slide rule في النصف الأول من القرن العشرين، الى الحاسبة الألكترونية cal-culator في النصف الثاني من القرن العشرين.

في أربعينيات هذا القرن ظهرت لأول مرة أجهزة الحاسوب الضخمة Main Frame Computer التي يمكن استخدامها آنياً من قبل المئات من العاملين، إلا أن استخدام الترانزستور في دوائرها الألكترونية، وبسبب سهولة عطب بعض هذه الترانزستورات، أدى الى عدم الثقة المطلقة في نتائجها. فقامت ثورة التطور في الحاسوب على يد شرائح السيليكون silicon chips لتأخذ مكان الترانزستورات في السبعينيات. فشريحة سيليكون محفور عليها دوائر الكترونية مجهرية تحل محل آلاف الترانزستورات. أدى هذا التطور الى اختراع ما يسمى بالمعالج المجهري microprocessor في عام ١٩٧١ الذي هو أساس عمل الحاسوب الشخصي Personal Computer (P C).

وتطورت في السبعينيات صناعة شرائح السليكون لانتاج المعالج المجهري في شركتين أمريكيتين شهيرتين هما إنتيل وموتورولا. وكان انتاج الحاسوب الشخصي من نوع آي بي إم من معالجات إنتل وحاسوب ماكنتوش Apple Macintosh من معالجات موتورولا، (والأول أكثر شيوعاً الآن في الاستعمال من الثاني).

في ١٩٨١ صنع الحاسوب الشخصي من نوع آي بي إم من شريحة إنتيل المرقمة ٨٠٨٨ ثم تطور باستخدام شريحة رقم ٨٠٨٦ ثم رقم ٨٠٢٨٦ التي أصبح الحاسوب يسمى باختصار ارقامها أي ٢٨٦ وتلاه ٣٨٦ و٤٨٦ وتوقف عند ٥٨٦ الذي لم يكتسب انتشاراً بسبب ظهور البنتيوم عام ١٩٩٦. كما أن حاسبات آي بي إم الشخصية الحديثة أصبحت تسمى Windows Machines (الشبابيك) بسبب إمكانية الحصول على أكثر من «نافذة» في آن واحد ولأن شركة آي بي إم لم تعد تصنع الآن سوى جزء قليل من أجزاء الحاسوب الصلبة hardware وكان هدف اختراع الآلات الحاسبة وأجهزة الحاسوب الأول هو إجراء الحسابات الطويلة والمعقدة

توفيراً للجهد والوقت ولتفادي الخطأ في الحسابات، وتطورت الآن الى أهداف أكثر تعقيداً وفائدة.

الحاسوب الشخصي:

يتكون الحاسوب الشخصي من جزأين رئيسين هما:

١ - الجزء الصلب hardware ويضم الأجزاء الكهربائية والألكترونية والميكانيكية للحاسوب.



٢ - البرمجيات softwares ويشمل على البرمجيات التي تُشغله.

وباستخدام برمجيات خاصة بالاتصالات الخارجية يمكن للحاسوب الشخصي الارتباط بشبكة أجهزة حاسوب محلية Local Area Network (LAN) ترتبط بها مجموعة أجهزة حاسوب شخصي بجهاز مركزي. فيمكن بذلك تبادل الاتصال بين أعضاء هذه الشبكة المحلية واستغلال كفاءة الذاكرة في الحاسوب المركزي والاشتراك باستخدام برمجياته أو أجهزته الفرعية مثل الطابعة Printer والراسم scan-ner كما يمكن لهذه الشبكة المحلية الإتصال مع شبكات خارجية أخرى، وهو ما يسمى بالإنترنت internet وهو مختصر Inter-network أي شبكة لشبكات أجهزة حاسوب.

الأنترنيت

صُمم الإنترنت لأول مرة في عام ١٩٦٩ لغرض استغلال المعلومات المتوفرة في حاسوب وزارة الدفاع الأمريكية من قبل أقسام الوزارة المتعددة والمتخصصة بالأمور الأمنية للبلاد، وتطورت هذه المنظومة من الإنترنت خلال السبعينيات والثمانينيات قبل توقفها عن العمل في عام ١٩٩٠. وفي عام ١٩٨٦ أنشأت مؤسسة العلم القومية الأمريكية National Science Foundation شبكتها ليستفيد منها الباحثون في شتى التخصصات العلمية. ثم تطور ذلك الى تنوع شامل لتوزيع المعلومات التي تستخدمها المؤسسات العلمية والمكتبية لغرض تعميم فائدتها على أكبر عدد ممكن من الباحثين وعموم الناس.

وأصبحت الإنترنت الآن مكتب بريد وسوقاً تجارياً ومكتبة ومخزن برمجيات ووسيلة تعليم وثقافة وقراءة صحف ومجلات ومراكز حوار فكري وعلمي بين الفئات المختلفة في عدة أماكن من العالم، كل ذلك باستخدام النص الكتابي والصوري والصوتي (أو ما يسمى بالاوساط المتعددة multimedia) من على



شكل الجلوس الصحي على الحاسوب

شاشة مرئية تشبه شاشة التلفاز.

أهم وسائل الإنترنت الحالية هي

١ ـ البريد الألكتروني Electronic Mail (E-Mail):

ويعد هذا من أكثر وسائل الأنترنيت استخداماً ، ففيه يتم تبادل الرسائل بين مستخدمي الإنترنت وفي كافة أنحاء العالم المرتبطة بشبكة الإنترنت، ويتميز عن البريد المألوف بأنه لا يستغرق أكثر من بضع دقائق ليصل الى أقصى بقاع العالم، إن لم تكن هناك مشكلة فنية في أحد الأطراف. كما تطور مؤخراً إرسال الفاكس بواسطة البريد الألكتروني أيضاً.

وبدأ نوع من النسق الخاص لهذه المراسلات يميزها عن المراسلات الاعتيادية، فليس هناك ما يبدأ به المراسلة من الجمل التقليدية مثل: «عزيزي فلان» أو «أشكركم على رسالتكم» وغير ذلك؛ بل أصبحت الجمل مختصرة وأقرب الى كتابة البرقيات منها الى الرسائل الاعتيادية كما ابتدعت بعض الرموز الخاصة والتي يمكن تبيانها عندما ينظر إليها بزاوية ٩٠ درجة. فالرموز (-: تعني الابتسام والرموز) -: ترمز الى وجه حزين والرموز ٨-(لعينين متسعتين من الدهشة والرموز (-B لمن يلبس نظارات وغير ذلك. ويتكون العنوان في رسائل الإنترنت من اسم الشخص في شبكته (رمزاً أو كاملا) ويليه رمز الارتباط @ ويعني (at)يفصله عن عنوان الشبكة التي يرتبط بها والذي يتكون من عدة أسماء يربط بينها نقطة، مثل: -sar ab@dur.ac.uk حيث يمثل الرمز الأخير اسم البلد مختصراً فالرمز uk يعني المملكة المتحدة Ib لبنان bh البحرين.

٢ ـ بروتوكول نقل الملفات أو الوثائق File Transfer Protocol (ftp) ويتم خلال هذه الوسيلة نقل الملفات من حاسوب الى آخر، وتبادل التقارير والبحوث وقواعد البيانات بين الباحثين بالاضافة الى البرمجيات. وتصنف البرمجيات الى ثلاثة أنواع: المجانية -free ware والمشتركة shareware (وهي التي يمكن نقلها وتجريبها لمدة قصيرة قبل دفع ثمنها) والتجارية commercial (وهي التي يمكن نقلها بعد دفع ثمنها).

وتصنف الملفات الى نوعين

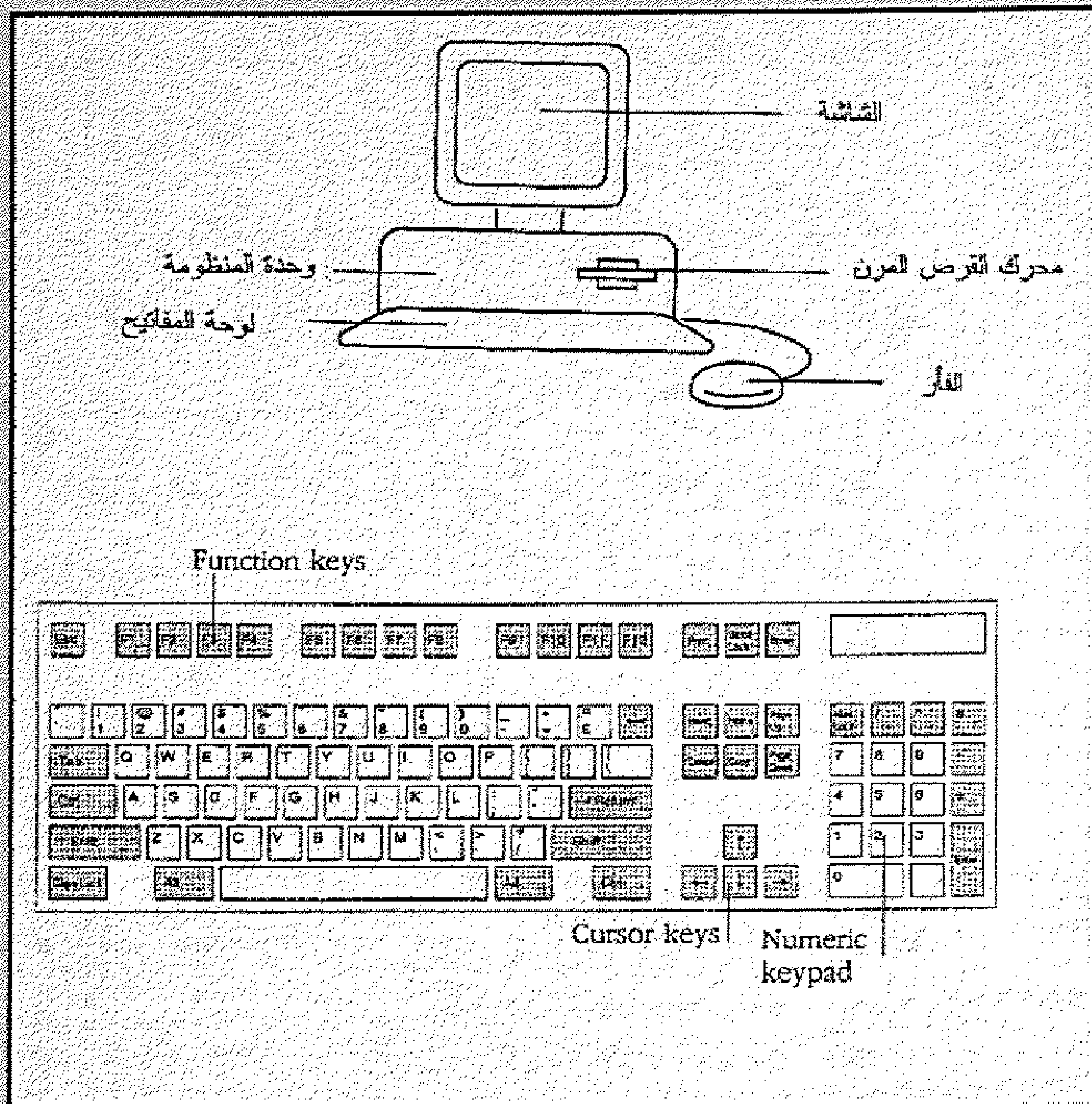
الأول هو American Standard Code for Information Interchange (ASCII) (أسكي) وهو القياسي الأمريكي الخاص بنقل الملفات الاعتيادية غير المرتبة بنسق محدد.

والثاني: هو الثنائي Binary وهو خاص بنقل ملفات خاصة مثل الملفات المكبوسة أو

البرامج التنفيذية. ومن الضروري الاهتمام بتدقيق سلامة الملف المنقول من الفيروسات قبل استخدامه.

٣ ـ شبكة أو نسيج العالم بكامله World Wide Web(WWW) وتعد هذه الشبكة من أهم ما يصدر في الإنترنت فهي تشمل حقلا واسعا من المعلومات التي تستحصل مما يسمى hypertext transfer protocol (http) أي بروتوكـــول نقل النص متعدد الطبقات. يتم الربط بين صفحات الانسجة المختلفة بما يسمى Uniform Resource Locator (ULR) أي محدد المصدر المتناسق، ويتكون هذا من قسمين هما طريقة الإتصال وعنوان خزن المعلومات فمثلا عنوان خزن المعلومات للصفحة التعريفية لجامعة درم -Dur ham في المملكة المتحدة UK هو: ULR: http:// www. dur,ac,uk حيث يمثل الرمز AC مختصر كلمة أكاديمي academic التي تشير الى الجامعات. فقد تكونت رموز خاصة للعناوين مثل com للمراكز التجارية وgov للمراكز الحكومية وهكذا. وللوصول الى هذه الشبكات لابد من استخدام منقب أو متصفح browser معين وهو برنامج خاص للتنقل بين الشبكات للبحث عن المعلومات.

وهناك نوعان من هذه البرامج: إما لمتابعة النصوص فقط، مثل برنامج لينكس Lynx، أو لمتابعة الأوساط كافة أي نصوص وصور وصوت، مثل برنامج Netscape نيتسكيب أو برنامج Mosaic موازييك. وأصبحت تسمية سيبرسبيس cyberspace تطلق على نشاطات الإنترنت واتصالاتها بالاضافة الى الاحداث



مخطط لأجزاء الحاسوب الرئيسية

الثقافية وشبكات الاتصال. وتتنوع الملفات، والنصوص أو جداول البيانات، وتبدأ معظمها بملف خاص يشرح محتوياتها يسمى عادة «إقرأني» readme أو «الأسئلة كثيرة التكرار» Frequently Asked Questions (FAQ) يساعد الباحث في استحصال المعلومات من الملفات المنقولة بكفاءة.

وترتبط العديد من المؤسسات العلمية والصناعية والحكومية والجامعات بعضها مع بعض، فتوفر كل مؤسسة لباحثيها أجهزة الحاسوب للحصول على النصوص والصور. أما الافراد فيمكنهم الحصول على الارتباط بالإنترنت في بيوتهم من خلال استخدام جهاز ارتباط خاص يربط عادة مع خط الهاتف يسمى الموديم modulator - demodulator (or modem)، وتكون لاتصاله بالإنترنت كلفة تقدرها الشركة المجهزة أو شركة الهاتف، إما شهرياً أو حسب عدد ساعات الاستخدام.

وتوجد أنواع عديدة من الموديم بسرعات مختلفة، مثل السريع والبطيء وعندما يتم تبادل الاتصال بين موديمين أحدهما سريع والآخر بطيء فإن سرعة انتقال الاتصالات تعتمد سرعة البطيء.

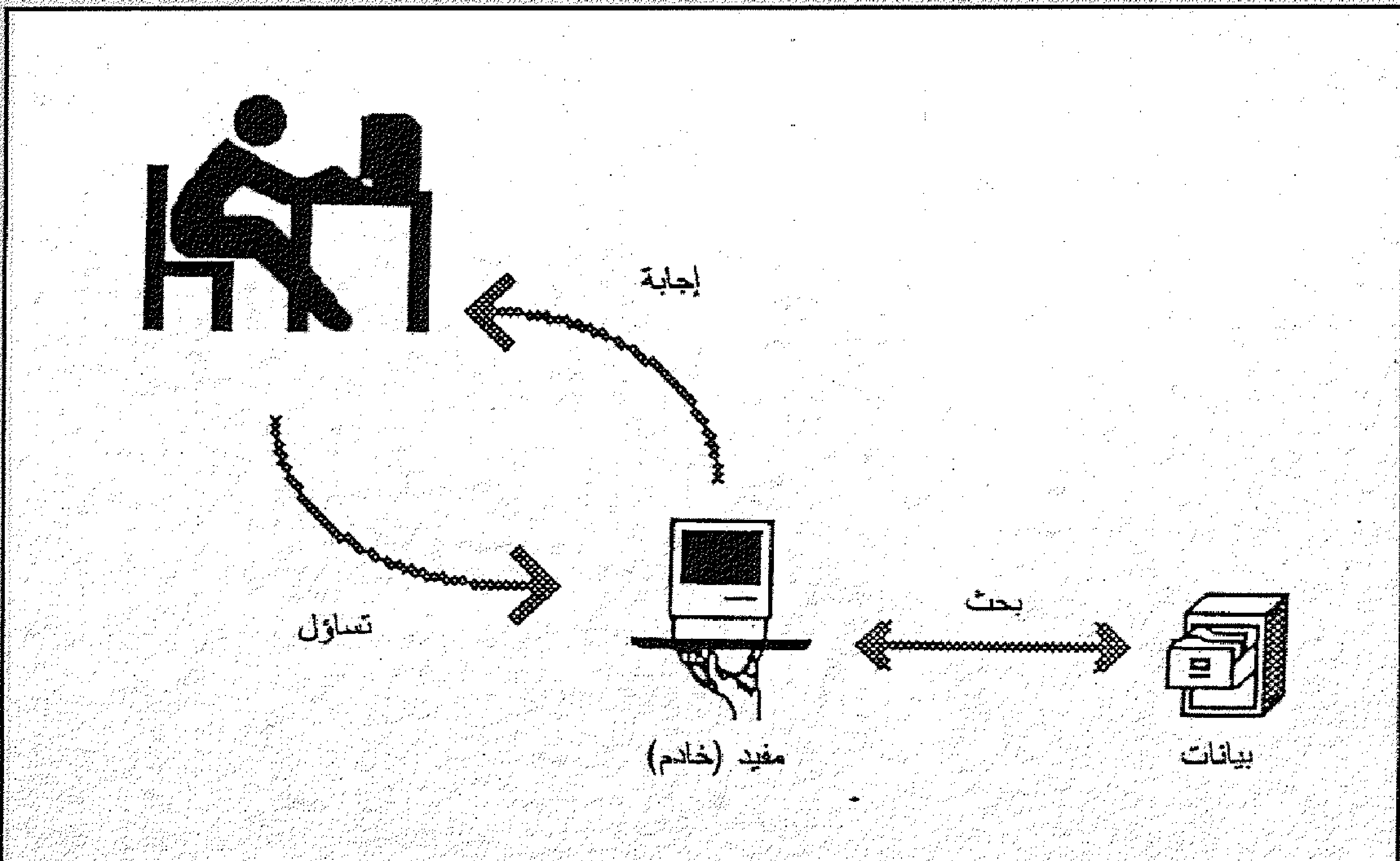
وبسبب استخدام الموديم كثر العمل من البيت بدلا من مكتب العمل في الجامعة أو مركز البحوث، موفراً بذلك الكثير كمصاريف التنقل من المكتب واليه، وتخصيص أماكن عمل وكلفة الكهرباء وغيرها في مواقع العمل.

ثروة البحث العلمي في الإنترنت

إن أول ما يحتاجه الباحث، من كافة التخصصات العلمية والإنسانية، في بدء عمله هو المراجع المتوفرة عن موضوع بحثه؛ فينطلق نحو مكتبة ليبحث في فهارسها الموجودة في الإنترنت. ولقد أصبحت قواعد معلومات المراجع في مكتبة معينة أو في المكتبات العالمية أمراً شائعاً، كما طورت برمجيات للبحث عن موضوع تخصصي محدد، وما نشر عنه في الدوريات وخلال سنين عديدة. فمثلا تحتوي قاعدة المعلومات بيدز Bath Information and Data Services (bids) التي أنتجتها جامعة باث البريطانية على البحوث المنشورة في الفروع العلمية والإنسانية والاجتماعية والفنية ومنذ عام ١٩٨١. وتشمل المعلومات التي يزودها البرنامج على اسم البحث والباحثين وعناوينهم وتفاصيل الدورية التي نشر فيها البحث. ومنذ عام ١٩٩١ شملت المعلومات ملخص البحث والمراجع المذكورة فيه، وفي النصف الثاني من عام ١٩٩٦ تم إضافة النص الكامل للبحث أيضاً.

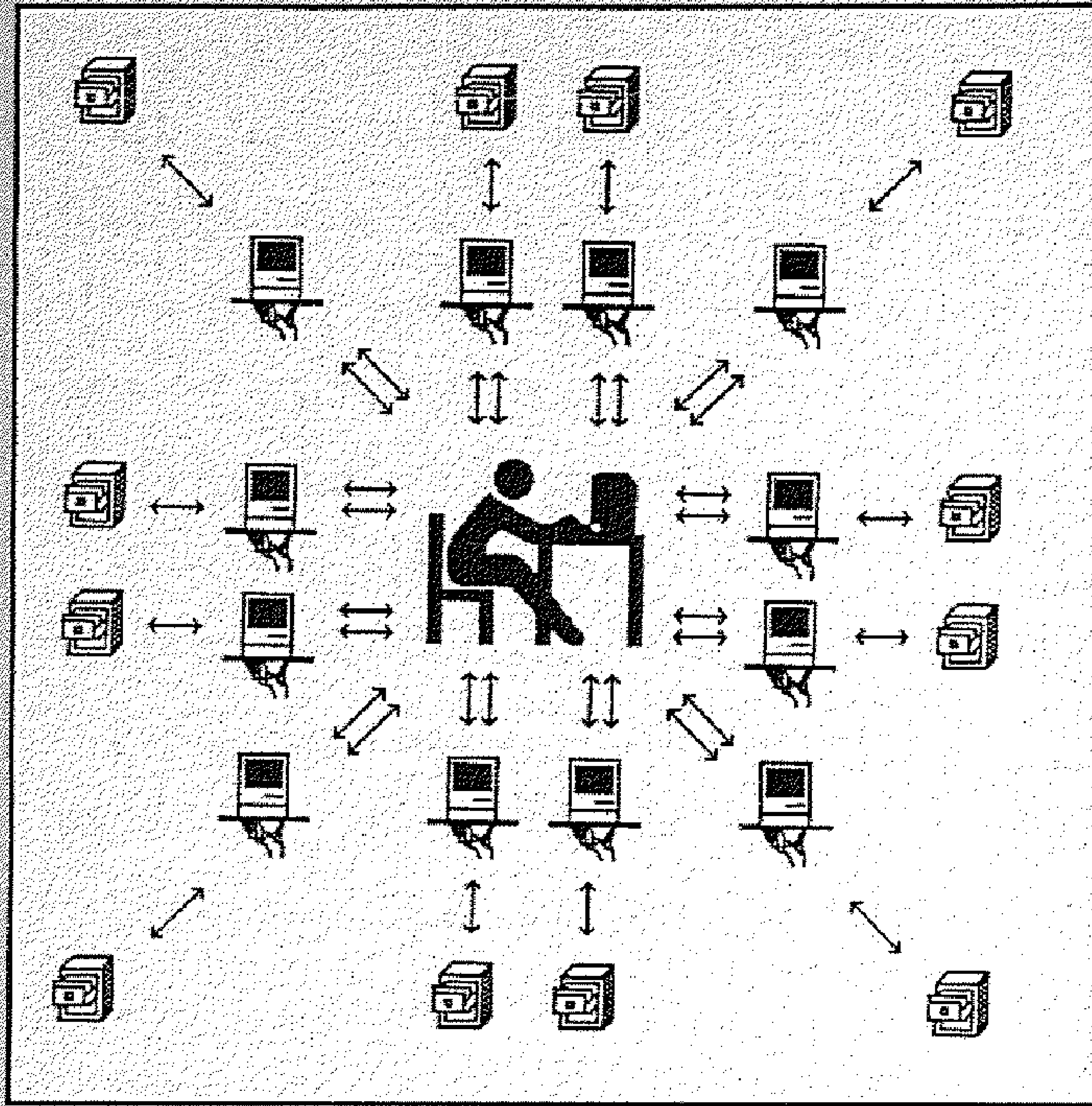
كما تساهم مجموعات النقاش في الإنترنت في مساعدة الباحث للاتصال بالمتخصصين والمهتمين بموضوع بحثه وطرح ما يشغله أو يحيره من أمور غامضة في بحثه وتبادل الآراء حولها.

وأصبحت بعض المؤسسات توفر الملفات التقليدية في الفن والأدب، مثل صور متاحف



أنموذج شبكة حاسوب صغيرة

العالم وكتب مشاهير المؤلفين مثل شكسبير وتشارلز ديكنز وقواميس اللغات. كما تتوافر ملفات كتب الأديان المختلفة، وما يميز هذه الملفات عن الشكل التقليدي المطبوع هو إمكانية البحث الدقيق فيها من خلال استخدام برنامج «بحث» ملائم يساعد الباحث ويوفر عليه وقتاً كثيراً وحيزاً مكانياً، فالموسوعة البريطانية بأجزائها الضخمة التي يزيد عددها على الثلاثين جزءا جمعت في عام ١٩٩٣ في اثنين من Compact Disk - Read Only Memory (CD-ROM) أي قرص مكثف بذاكرة قراءة فقط، لا يحتلان إلا حيزاً صغيراً جداً. ولقد فاقت مبيعات القرصين مبيعات الموسوعة المطبوعة على الورق.



أنموذج شبكات حاسوب متعددة الخدمات

كما تتوافر على الإنترنت ومن خلال مراكز البحوث الشهيرة مثل وكالة الفضاء الامريكية (ناسا) وغيرها ملفات البيانات الخاصة بالعديد من نتائج تجارب الفضاء التي تُطلق للباحثين لكي يستفيدوا منها. فالكثير من بحوث الفضاء والفلك المنشورة لا تتطلب من الباحث سوى معرفة المبادىء العلمية وكيفية استحصال البيانات من الإنترنت واسلوب تحليلها. أي أن الكثير من الباحثين لم يعد بحاجة إلى استخدام المراصد للحصول على البيانات.

وبالاضافة الى البحوث العلمية فهناك الوسائل الثقافية لمستويات التعليم كافة والتي يستخدمها أيضاً العديد من الأخصائيين، مثل رجال الأعمال والتجار والمحامين والأطباء والصحفيين والكتاب والطيارين وحتى المزارعين، لمعرفة ما يحتاجونه من معلومات آنية تساعدهم في تحسين وتطوير عملهم. كما أن هناك فرعاً ترفيهياً من خلال اللعب العديدة التي يشترك بها أكثر من لاعب مثل الشطرنج والطاولة وغيرها من الألعاب الفردية أو الجماعية.

وأصبح مصطلح النص متعدد الطبقات hypertext والأوساط المتعددة multimedia يطلق على الطرق التي يستخدمها الباحث في التنقل بين الملفات المختلفة الموجودة في الإنترنت ومن خلال النصوص بأشكالها المتعددة، أي نص كتابي وصوري وصوتي وفيديوي وصور متحركة على شاشة الحاسوب.

السلامة الصحية

توجد، كما في أي مجال من مجالات العمل في العالم، قواعد صحية محددة لاستخدام الحاسوب تساهم في المحافظة على صحة الفرد الجسمية والنفسية. فجهاز الحاسوب يمكن أن يجعل الفرد مرتبطاً به ارتباطاً تاماً

لا يتركه طوال اليوم، ليلا أو نهاراً، لذلك يجب الاهتمام بطريقة الجلوس الصحيحة للفرد أمام الجهاز وتركه بين الحين والحين لراحة الجسم والعينين من الارهاق. وقواعد الجلوس الصحيحة على الكرسي هي:

(١) أن يكون أسفل الظهر مستنداً.

(٢) أن تكون الركبة بمستوى الورك.

(٣) أن تستقر القدمين على الأرض.

(٤) أن يكون مستوى العينين مع أعلى الشاشة ويمكن إمالة الشاشة لذلك.

(٥) أن تكون الشاشة مواجهة للجالس وليست على زاوية منه.

(٦) أن يكون مستوى الرسغ والزند على خط مستقيم وفوق مستوى لوحة المفاتيح.

ويجب الانتباه الى أن شاشة الحاسوب مثل أي شاشة أخرى تنطلق منها أشعة كهرومغناطيسية تؤثر في المدى البعيد على صحة الفرد من خلال الجرع الاشعاعية الواطئة والمتراكمة في الجسم. وتوفر بعض الشركات المصنعة غطاءاً شفافاً واقياً فوق الشاشة، يمتص جزءاً كبيراً من هذه الأشعة، ينبغي على مستخدي الحاسوب لفترات طويلة استعماله.

كما يجب ترك الحاسوب لمدة عشر دقائق لكل ساعة عمل متواصلة. خلال فترة الراحة هذه يمكن إجراء تمارين للعينين بالتحديق على مناظر بعيدة وفتح العينين وإغماضهما بسرعة عدة مرات مع بعض التمارين الرياضية للجسم.

ويجب مراعاة الحذر المعروف من كافة الأجهزة الكهربائية المصاحبة للحاسوب مثل الطابعة، فلا يجوز الانحناء عليها عندما يكون المشغل مرتدياً رباط عنق أو تكون المشغلة مرتدية ربطة شعر (إيشارب) أو عقداً طويلا أو ذات شعر طويل غير مربوط.

ولا تقل السلامة النفسية أهمية عن السلامة الجسمية وعلى الفرد مراعاة ذلك وتقبل نصائح الخبراء في هذه الأمور وعدم التعنت في الرأي، لكي لا يصبح المرء مهووسا بشكل مرضي بالحاسوب ويقع تحت تأثيره فيسيطر عليه الحاسوب بدلا من أن يسيطر هو عليه. وعلى الوالدين متابعة الصغار والأحداث ونصحهم عندما يلاحظون انهماكهم غير الطبيعي مع الحاسوب.

مستقبل الإنترنت

لقد كان الهاتف (التلفون) أهم وسيلة اتصالات انتشرت في بداية القرن العشرين وتلاه التلفاز (التلفزيون) في منتصفه والإنترنت في أواخره. ولم يكن مخترع الهاتف يتصور أن جهازه سيكون واسطة المحادثة بين أنحاء العالم كافة وفي أي مكان بهاتف جوال mobile يمكن ربطه بالحاسوب. وتشبه حالة الإنترنت اليوم حال التلفاز في بدايته، فقد كان جهازاً عالي الكلفة وبرامجه بدائية وبسيطة. فاستخدام الإنترنت اليوم مازال قاصراً علي أمور تعد بسيطة نسبياً مقارنة بما يؤمل له من التطور في المستقبل ليشمل مختلف الخدمات. وأهم ما يؤمل للإنترنت، وهو ما وجدت في البدء لأجله، هو نشر العلم والثقافة والتعليم. ويستخدم التلفاز، الذي وجد للتسلية والترفيه، في التعليم والثقافة، بصورة مباشرة أو غير مباشرة، إلا أن ذلك يبقى محدوداً بسبب سعة انتشار برامجه الترفيهية التي تستقطب اهتمام الناس عامة.

يمكن تصنيف مستقبل الإنترنت الى نوعين الأول إيجاد الحلول للمشكلات الآنية قبل تفاقمها والثاني ابتداع أمور وتطورات جديدة متنوعة.

أولا: حلول المشاكل الآنية

من أهم مشاكل الإنترنت، التي تتطلب حلا عاجلا في المستقبل القريب، هو نشر الكتب دون تصنيف موحد فالتصنيف يساعد الباحث في العثور على الكاتب بيسر ودون الاضطرار للبحث المضني بين آلاف المواقع، إذا كان للإنترنت أن تستوعب نصوص كل ما ينشر حالياً. فمعدل النشر السنوي للكتب المطبوعة في الولايات المتحدة الأمريكية يصل الى حوالي ٤٥ ألف كتاب وفي اليابان الى حوالي ٤٠ ألف، بالإضافة الى آلاف الدوريات والصحف والنشرات. ويتميز نشر الكتب المطبوعة بالتوثيق العالمي الموحد International Standard Book Number (ISBN) وهو الرقم القياسي العالمي للكتب.

أما ما ينشر الآن من كتب على الإنترنت، من قبل شركات عديدة ومتنوعة، فيفتقد الى التصنيف الموحد مما يجعل الباحث يعاني من مشكلتين: الأولى صعوبة تقصي المواقع العديدة على الإنترنت للعثور على ما يبغي، فالكتب على الإنترنت تتزايد بنسبة ٢٩٠٪ سنوياً، والثانية الاطمئنان الى موثوقية النص المعروض. ومستقبل المكتبات العامة ليس أمامه سوى الاستعانة بالنصوص المتعددة hypertext عاجلا أو آجلا ولابد لهذه أيضاً من اسلوب تصنيف خاص مثلما تصنف الكتب بالنظام العشري أو نظام ديوي.

ويمكن الحصول على قائمة الكتب الحديثة عن الإنترنت من العنوان التالي:

ftp://rtfm.mit.edu/pub/usenet/news.answers/internet-services/book-List

أما قضية حقوق النشر فتحمل الكثير من المشاكل مثل السرقات العلمية أو الأدبية أو التجارية، بسبب عدم وجود قوانين حقوق موحدة، وصعوبة تطبيق قوانين هذه الحقوق بصورة فاعلة. فسرقة البرمجيات على المستوى الفردي أو الدولي منتشرة بكثرة، وكانت إحدى مشكلات الولايات المتحدة الأمريكية مع الصين مؤخراً هو استخدام الصين للكثير من البرمجيات الأمريكية وإعادة إصدارها دون دفع ثمن شراء حق إعادة الاصدار من أصحابها الأصليين. وتعاني من هذه المشكلة أوساط اخرى أيضاً، مثل التسجيلات الصوتية وأشرطة الفيديو وطبع الكتب وغير ذلك، حيث يتم إعادة إصدارها من دون الحصول على موافقة أصحابها الأصليين. وبدأت مؤخراً فرنسا وبريطانيا في منح صلاحيات خاصة للشرطة في التداخل على خطوط الشبكات التجارية الخاصة كرادع للغش والخداع الذي يمكن أن يتفشى في المستقبل كأسلوب «الوقاية خير من العلاج».

وبسبب تنوع وسائل العنف والجريمة والإرهاب الداخلي في الدول الصناعية فقد دعا أحد أعضاء مجلس الشيوخ الأمريكي الى تشديد المراقبة وحماية مراكز المعلومات في البلاد من الإرهاب الداخلي الذي قد يقوم به أحد خبراء الحاسوب مشكلا بذلك تهديداً خطيراً قد يؤدي الى توقف شبكات الحاسوب وخطوط التلفونات ومحطات إنتاج القدرة. وتشكلت لجنة من وكالة المخابرات المركزية ووزارة الدفاع ومكتب التحقيقات الفدرالي

ووكالة الأمن القومي للاستعداد واتخاذ الاجراءات اللازمة. فقد حكم على أحد البريطانيين في بداية شهر نوفمبر (تشرين ثاني) ١٩٩٦ بعد اكتشافه محاولا التداخل على أنظمة شبكات البنوك الحاسوبية، بغية سرقة الأموال من حسابات المودعين، وكان يمكن أن يؤدي عمله إن نجح في انهيار المنظومة المصرفية في بريطانيا. فأي خلل في منظومات الحاسوب سيكون تأثيره أسوأ من أي تفجير لقنبلة في مكان ما.

ومن المشكلات الأخرى المتوقعة لزيادة انتاج النصوص المتعددة الطبقات هو ان انتشار المعلومات المفيدة يصاحبه انتاج النصوص المنحرفة وصعوبة السيطرة عليها وتحديدها أو منعها ، فما هو منحرف للبعض يعتبر اعتيادياً لآخرين في المجتمعات الصناعية التي لا اعتبار عندها للمبادئ القويمة من الأدب والأخلاق السوية. ولن يكون الفساد والرذيلة هو ما تخشى منه المجتمعات على صغارها وشبابها، وانما تفشي وسائل الارهاب مثل كيفية صنع قنبلة من مواد المطبخ أو كيفية سرقة مصرف وفتح الأقفال والدخول على خطوط وشبكات المؤسسات المغلقة. لقد أعلنت سنغابورة في صيف عام ١٩٩٦ عن تطبيقها لاستخدام شبكة حاسوب حكومية وسطية لغرض منع الدخول الى شبكات حكومية واخرى خاصة بالشبكات التي تتخصص بنشر الفساد والرذيلة وأصبحت بذلك أول دولة تصدر منعاً على الإنترنت.

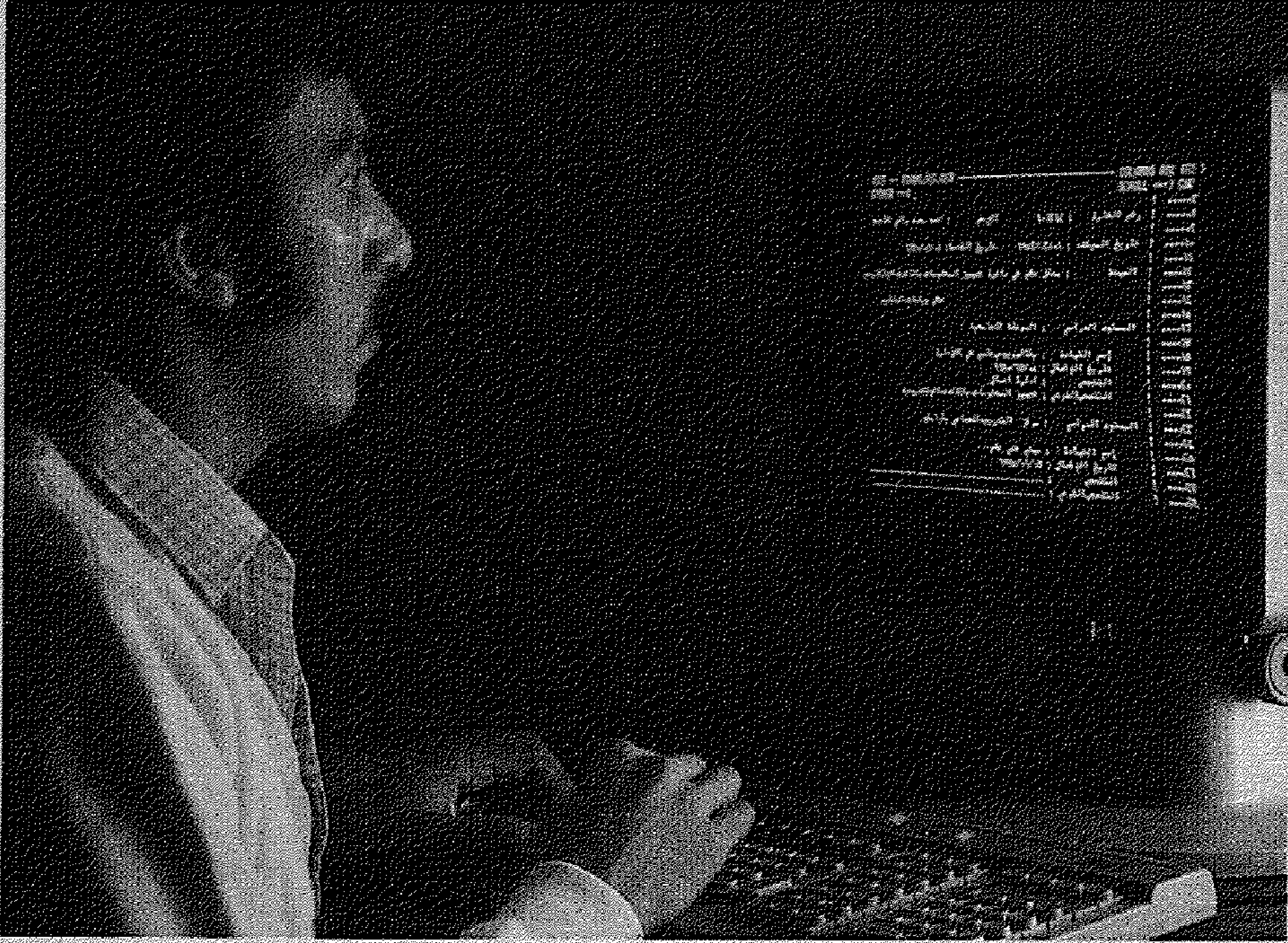
ومن الانتشار الكبير والسريع للنصوص المتعددة الطبقات ستكون مهمة اختيار الموقع والنص من المشكلات التي سيواجهها المستخدم للإنترنت. في الوقت الحاضر تكسب الشركات التجارية الضخمة، بسبب قدرتها الواسعة في الدعاية والاعلان ، الكثير من الزبائن. لذلك يتوقع أن تستمر الشركات الاحتكارية الكبرى في السيطرة على ميدان بيع البرمجيات والأجهزة، فقد ارتفع استخدام برنامج نيتسكيب Netscape من ١ر٠٪ الى ٦٤٪ خلال أربعة أشهر من ظهوره وهبط مقابل ذلك البرنامج الذى سبقه، موازييك Mosaic، من ٧٣٪ إلى ٢١٪ خلال الفترة نفسها، بين آب/ أغسطس الى كانون الأول/ ديسمبر ١٩٩٤. وهناك من يعتقد أن الشركات الصغيرة ستستمر في ضخ البرمجيات الى «السوق» مسببة نوعاً من الفوضى في الميدان يصعب السيطرة عليه.

ثانيا: التطورات المستقبلية:

من الصعوبة بمكان التنبؤ بما يمكن أن يصل اليه اكتشاف أو اختراع ما في المستقبل، فكثير من الامور التي بُنيت الآمال الكثيرة عليها انتهت نهاية غير متوقعة بسبب ظهور أمور جانبية أزالت أهميتها أو أوضحت مساوئها أو كلفتها العالية. ففي الستينيات ومع ابتداء عصر الفضاء انتشرت التنبؤات بأن قاعدة أمريكية على القمر ستكون جاهزة لاستقبال الزوار من عموم الناس قبل عام ٢٠٠١، وتكونت شركات تستحصل من الناس اجور حجز للسفر مقدماً ! ولا تختلف الأنترنت عن غيرها في مجال التنبؤ. ويعتقد المتفائلون بأن ثروة المعلومات التي انطلقت لا يمكن أن يوقفها شيء بعد اليوم، وأن العلم والمعرفة والثقافة أصبحت كلها على الأبواب ولا حاجة للخروج للبحث عنها، وليس علينا سوى فتح الباب لإدخالها من خلال شاشة الحاسوب.

وما سيأتي به المستقبل من تطورات جديدة للإنترنت يمكن تصنيفه الى ثلاثة اتجاهات: تقانية وثقافية وتجارية. إن تقانة الإنترنت

الحالية أعلى بكثير من مستوى استخدامها لذلك فانه يؤمل ان تتطور أجهزة الحاسوب والبرمجيات الى مستوى يستغل التقانة بكفاءة أفضل. أما التطورات الثقافية والتجارية فالتنبؤ بما سيأتي منهما في المستقبل القريب أسهل من غيره.



أ- التطورات الثقافية:

أن أهم استخدامات الإنترنت التي يخمن لها الانتشار الواسع بما يجلب فوائد كبيرة للبشرية هو استغلالها في التعليم والثقافة وهو استخدام موجود الآن ولكن بحدود ضيقة. ويعد ارتباط الإنترنت مع التعليم أهم ارتباط تقاني مع الثقافة خلال القرن العشرين. فقد استخدم التلفاز للتعليم ونشر الثقافة بصورة محدودة بسبب انتشار استخدامه في برامج الترفيه والتسلية، وهو ما وجد له في البدء. ويتطلب استخدام الإنترنت للتعليم المتفاعل Interactive learning بناء قاعدة أساسية infrastructure له توفر للطالب إمكانية التعلم المثمر الحقيقي. فكل وسيلة تعليمية جديدة تمر في مرحلة اختبارية مبدئية تستنتج بعدها المشكلات الناتجة منها، ويتم إيجاد الحلول لتفاديها في المستقبل. فتعلم الطلبة استخدام الحاسبات الالكترونية calculator حرمهم من قدرة إجراء الحسابات الرياضية البسيطة بدونها. كذلك يخشى من أن يؤدي استخدام الإنترنت الى حرمان الطلبة من محفزات الطرق التعليمية التقليدية، لذلك يجب إقناع اختصاصي التعليم التقليدي بفوائد التعليم بالإنترنت ولن يكون ذلك سهلا أو بمدى زمني قصير. فثقافة الإنترنت وتعلم معالجة النصوص wordprocessing أو معالجة البيانات spreadsheet وطرق الرسم graphics والمحاكاة simulation قد تبهر الطالب عن استيعاب المعارف الاساسية من اشتقاق أو استنتاج أو تأليف. وسيكون من الصعب التحكم بمن سيتعلم وماذا سيتعلم من الإنترنت دون قواعد محكمة لترتيب الشبكة التعليمية.

ومن فوائد استغلال الحاسوب في التعليم تميزه على الإنسان بالصبر وعدم الملل والتعب من الإعادة عندما يطلب منه المتعلم ذلك. ولكن في الوقت نفسه ليس للحاسوب قدرة إقناع المتعلم على تكرار ما لم يتعلمه، فالعامل

الإنساني له تأثير مختلف على المتعلم ويتوجب مصاحبته، في البداية على الأقل، لضمان تصحيح أسلوب التعلم عند المبتدئين.

كذلك يمكن لعديد من الطلبة الاشتراك ليس فقط بنفس المدرس والدروس ولكن أيضاً بالكتب والمراجع التي يؤمل توفرها على الإنترنت، وبذلك ينتشر «التعليم عن بعد» وخصوصاً التعليم المتفاعل حيث يمكن للطالب أن يسأل ليحصل على إجابة المدرس على سؤاله كما يستطيع إجابة أسئلة المدرس مباشرة من شاشة الحاسوب.

ومما يؤمل أيضاً أن استجابة الطلبة، وبكافة الأعمار، الى استخدام الحاسوب هو تعودهم على متابعة «الشاشة» من خلال برامج التلفاز أو السينما. فلن يجدوا صعوبة في متابعة دروس من على «شاشة» الحاسوب، بل ستكون أكثر إمتاعاً بسبب التفاعل الايجابي، من إدخال الأسئلة أو الاجابة، بعكس التلفاز الذي يعتمد على التفاعل السلبي أي المشاهدة فقط، وإن كان هناك من يشير بقلق الى أن توافر أجهزة الحاسوب سيكون للمدارس أو المعاهد التي تتمكن مادياً من توفير الأجهزة لطلابها، مما سيزيد الهوة بينها وبين تلك التي لا تمتلك القدرة المالية على ذلك.

ومن خلال برامج التعليم يمكن للجميع التعلم في البيت بعد معرفة طرق استخدام الإنترنت، كما يمكن زيادة اتصال أساتذة الجامعات مع طلابهم من خلال الإنترنت بالحوار وتصحيح الاجابات دون الحاجة الى تحديد مكان وموعد للقاء، ويضع بعض الأساتذة حالياً مواد محاضراتهم في الإنترنت ليستفيد منها الطلبة، فمشكلة الطلبة الاولى هي تسجيل الملاحظات قبل الانتباه لاستيعاب المادة، ويوفر وجود مادة المحاضرة في الإنترنت تركيز الطالب على فهم المادة واستيعابها أثناء إلقاء الأستاذ لها.

فهناك من يعتقد أن انتشار النصوص المتعددة الذي بدأ عام ١٩٨٦ لأول مرة ارتفع بنسبة ٢٥٪ عام ١٩٩٠ ويتوقع وصوله الى ١٠٠٪ عام ٢٠٠٢. ولكن هناك من يأخذ عوامل جانبية يمكن أن تؤثر في انتشارها، فيعتقد أنها ستصل الى ٥٠٪ عام ٢٠٠١ والى ٨٠٪ عام ٢٠٠٥.

إن معظم مستخدمي الإنترنت الحاليين من الباحثين هم من متخصصي العلوم البحتة والفروع الهندسية بصورة عامة، مع ان باحثي العلوم الاجتماعية والإنسانية والفنية لهم الكثير من طرق الاستفادة، فوسائل المحاكاة simulation العديدة تمكن المؤرخ مثلا من دراسة الكثير من الأحداث التاريخية من خلال إعادة «إحيائها» على الحاسوب، كما يمكن لعلماء الآثار اكتشاف أسرار الحضارات القديمة. فقد تمكن مؤخراً فريق من علماء الآثار والحاسوب في جامعة بريستول البريطانية من إعادة تشكيل الهندسة المعمارية والداخلية لمواقع آثارية قديمة يعود تاريخها الى خمسة آلاف عام. فربما سيمكن أخيراً حل رموز اللغات المندثرة والتي لا تزال تطالب بحلها. فلكافة فروع المعرفة مواقع عديدة من الفائدة والتطور على صفحات الإنترنت والتردد في استخدامها الآن له أثر سيء على مستقبل الباحث وخلال فترة قليلة.

وستستمر وسائل التسلية الذهنية المتعددة، والتي تأخذ شكل الألعاب الفردية والجماعية مثل الشطرنج والطاولة وغيرها، في الانتشار

لما توفره من راحة ومتعة ذهنية لمستخدمي الحاسوب.

ب - التطورات التجارية

أما الجانب الثاني الذي يتوقع له انتشار واسع، يفوق التطورات الثقافية بمراحل عديدة، فهو الأعمال التجارية من بيع وشراء للمؤسسات والافراد من خلال الحاسوب والإنترنت، وهو ما يحدث فعلا الآن في الدول الصناعية على نطاق محدود. ويعزي نجاح البيع من خلال الإنترنت الى تطوير إمكانية استخدام طرق المصارف الحديثة في تحويل الاموال من خلال البطاقات المصرفية Bank Card المتنوعة لحساب المشارك.

تستخدم البنوك العالمية حالياً بطاقات عديدة محوسبة computerized يستخدمها الفرد في العديد من التعاملات المالية مثل الشراء وتسديد الضرائب أو قوائم متنوعة، للكهرباء أو الهاتف أو الطبيب وغير ذلك. وتحمل هذه البطاقات الرقم الشخصي للفرد ويتم نقل الأموال مباشرة من حساب الفرد الى الجهة المعنية، حيث يمكن للمشتري دفع ثمن مشترياته من خلال إدخال رقم البطاقة في طلب الشراء. وبذلك فإن عرض البضائع وكل ما تحتاجه عمليات البيع والشراء من تحويل أموال يمكن الآن أن يتم بالإنترنت ليستلم المشتري بالبريد ما تم شراؤه.

ويمكن التوجه، من شاشة الحاسوب وباستخدام الإنترنت، نحو أحد المحلات التجارية والدخول الى أحد أقسامه المختلفة وأختيار البضائع المطلوبة ودفع الثمن من خلال شاشة الحاسوب فقط. كذلك يمكن تنظيم شراء بطاقة السفر والتنقل وحجز مقاعد في الحفلات الموسيقية أو السينمائية. حتى زيارات الناس لبعضهم يمكن أن تكون من خلال زيارة «صفحة البيت» home page لمعرفة أحوال أعضاء البيت وتطوراتهم.

المخاطر الخفية

لا تختلف الإنترنت، كوسيلة اتصالات حديثة، عن غيرها في اكتساب حماس مستخدميها ومحاولتهم تهوين مخاطرها المرئية والخفية. فالهاتف الجوال مثلا اكتسب الشهرة والانتشار التجاري الكبير بسبب فوائده الجمة، وبالرغم من تكرر التحذير من مساوىء الاستخدام الكثيف لهذا الهاتف. فقرب الجهاز المستلم لموجات كهرومغناطيسية، من مدى معين للطول الموجي، من الأذن والدماغ قد يسبب على المدى البعيد تلفاً لخلايا الدماغ. وكما يحصل بسبب تراكم الجرع الواطئة للاشعة الكهرومغناطيسية، بأمداء اخرى مثل الأشعة السينية وأشعة غاما أو الأمواج فوق الصوتية المستخدمة للفحوص الطبية.

فجهاز الحاسوب يتكون من شاشة لا يبعد المشغل عنها إلا بمسافة تقرب من ثلاثين سنتمتراً، بعكس شاشة التلفاز التي يجلس المشاهد بمسافة لا تقل عن مترين أو ثلاثة بعيداً عنها. والقرب من شاشة الحاسوب يعرض الفرد الى جرع من الأشعة لمدة طويلة مقارنة مع تلك الناتجة عن مشاهدة التلفاز. كما أن جلوس المشغل يتضمن استخدامه ليديه، وجلوسه ولمدة طويلة أمام الجهاز يسبب على المدى البعيد الكثير من المشكلات الصحية التي قد يغفل أو يتغافل عنها المستخدم.

كنا أن لتوحيد «الشاشة» لكل من الحاسوب والتلفاز، فتصبح شاشة واحدة يربط اليها التلفاز مرة والحاسوب مرة حسب الحاجة، خطورة تكمن في أن الكثير سيرتبط مع «الشاشة» لمدة طويلة لأنها ستوفر لهم التعليم والتسلية والتسوق وتبادل الرسائل

والحوار ومشاهدة الأفلام وقراءة الكتب. وما سيتبقى من يوم الفرد سيقتصر على النوم والأكل، الذي سيتحول الى النوع السريع أو الذي يتم شراؤه من الإنترنت ليصل الى الباب فيأكله المشغل وعيناه على الشاشة. أي سيتحول الإنسان الى منفذ لما تقوله له الشاشة بعد أن يبرمج حاسوبه حسب حاجياته: مثل توقيت النوم والأكل وغيره وكل ذلك سيكون له ثمن من خلال قوائم سيدفع ثمنها.



بالإضافة الى المخاطر الصحية التي يمكن تجنبها وتقليل آثارها، هناك مخاطر اجتماعية تشمل استغلال الإنترنت في نشر الرذيلة والفساد الاخلاقي بين الصغار والشباب والتي يصعب تحديدها والسيطرة عليها.

كما ان قضاء المرء جل وقته أمام «الشاشة» سيغير من العلاقات الإنسانية التي تربط البشر فيما بينهم. وبالرغم من أن العمل المشترك مع الآخرين من خلال الإنترنت يختلف عن العمل في موقع واحد، إلا أن الأمل في أن يكون التعاون خلال الإنترنت أقوى انسانيا وأقل تعصباً وعدوانية مما سبق من تاريخ البشرية.

إن كلفة جهاز الحاسوب وملحقاته وبرمجياته بالاضافة الى أجرة استخدام الإنترنت عائق لذوي الدخل المحدود من الاستفادة منه وبذلك ستتكون طبقة جديدة في المجتمع تميز مستخدمي الإنترنت من غيرهم. وسيكونون شريحة مفيدة لعلماء الاجتماع والنفس البشرية ليجروا عليهم بحوثهم ودراساتهم في المستقبل.

الأنترنت في العالم العربي

لا يزال عدد الدول العربية التي تستخدم الإنترنت قليلا ومحدوداً، وارتباط الدول العربية بهذه الوسيلة النافعة محتوم إن لم يكن اليوم فسيكون في الغد القريب إن شاء الله تعالى. ولا خوف من تأخر الاستخدام ففي ذلك فائدة تفادي المشاكل الأولية التي تصاحب عادة كل اختراع أو اكتشاف جديد. ولكن السعي الحثيث للاستخدام واجب تمليه ضرورة مواكبة التطورات العلمية في كل حين.

ويتوجب الإعداد الجدي لإيجاد الترجمة

الدقيقة للمصطلحات والاتفاق عليها بين المختصين بعد المناقشة المستفيضة وكما يحصل لترجمة المصطلحات العلمية كافة. ويتوجب تهيئة الكوادر التعليمية لتوفر للناشئة ومن عمر مبكر تعلم استخدام الحاسوب ليسهل عليهم الاستفادة من الثورة المعلوماتية القادمة. كما يتحتم الاستفادة من تجارب الدول التي قطعت شوطاً في استخدام الإنترنت من ناحية تفادي مشكلات انتشار وسائل الفساد والجريمة. فقد تكونت للإنترنت، مثل أي تقانة اخرى جمعيات ومؤسسات عديدة ولأهداف مختلفة، واحدة للتأكيد على حرية الاستخدام والثانية للتأكيد على «نظافة» الإنترنت من الفساد والرذيلة وغير ذلك. كذلك تتوافر العديد من المجلات العامة والتخصصية التي تبحث مع عامة الناس والمتخصصين في موضوع الإنترنت.

ويمكن الحصول على قائمة الكتب الحديثة عن الإنترنت من العنوان التالي:

ftp://rtfm.mit.edu/pub/usenet/news.answers/intenet-services/book-List

كذلك يوجد دليل تعريفي للإنترنت من العنوان التالي:

ftp://ftp.eff.org/pub/ Net info/Big Dummy/Other versions/big-dummys-guide, sea; hqx

ولإجابة سؤال «عدو أم صديق؟» لابد من التذكر أن الإنترنيت وسيلة لا تختلف عن باقي الوسائل والمخترعات الحديثة، فالكل صديق ما دام استخدامه محدوداً بالإستغلال الصحيح ويتحول الى عدو عكس ذلك. وقد يشير البعض الى الصعوبة الفعلية للسيطرة على هذه القناة، إلا أن الفوائد الثقافية والعلمية والعميمة للإنترنت لا يجوز ان يحرم منها الانسان القويم، الذي تربى على المبادىء السمحاء، بسبب من فساد بعض من بني جنسه.

References:

Nielsen, J. (1995). Multimedia and Hypertext: The Internet and Beyond, Boston: AP Professional

Rzepa, H.S. (1996). Science and the Internet: The World- Wide Web. Science Progress, 79(2), 97-117.

Snell, N. (1995). Curious About The Internet?, Indiana: SAMS Publishing.

Zielinski, T. J and Shubata, M, (1996) The Education Internet Connection: What shall it be?, TrAC/ Internet Column, Elsevier Science bv. (http://www, elsevier.nl/freeinfo/trac/intntcol.htm)

ملحق جمعيات ومجلات وعناوين مفيدة:

تتوافر العديد من المجلات العامة والتخصصية التي تبحث مع عامة الناس والمتخصصين في موضوع الإنترنت ويمكن الحصول على قائمة الكتب الحديثة عن الإنترنت من العنوان التالي:

ftp:// rtfm.mit.edu/pub/usenet/news.answers/internet-services/book-List

كذلك يوجد دليل تعريفي للإنترنت من العنوان التالي:

ftp://ftp.eff.org/pub/Net info/Big Dummy/Other versions/big-dummys-guide.sea.hqx.

وفي أنفُسِكُم أفلا تبصرُون

النفس الانسانية في المنظور الاسلامي

بقلم:
د. رضا عبدالحكيم اسماعيل رضوان
- مصر -

يقول تبارك وتعالى في محكم آياته «ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها، قد أفلح من زكاها، وقد خاب من دسّاها} (الشمس/ ٧:١٠). ويقول عز وجل {إنا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيرا، انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا} (الانسان/ ٢ و٣). ويقول سبحانه وتعالى {ألم نجعل له عينين، ولسانا وشفتين، وهديناه النَّجدين} (البلد/ ٨:١٠).

الآيات السابقة رسمت - على نحو خاص - حقيقة التكوين النفسي للإنسان، وهى مرتبطة ومكملة للعديد من آيات الرحمن، كما في قوله جل وعلا {إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين، فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين} (ص/ ٧١ و٧٢)، وقوله {ان النفس لأمارة بالسوء} (يوسف/ ٥٣)، وقوله تبارك {النفس المطمئنة} (الفجر/ ٢٧).

والحبيب المصطفى {صلى الله عليه وسلم} هو اول من تحدث في طبيعة التكوين النفسي للإنسان وذلك في ضوء الآيات سالفة الذكر.. يشير ابن كثير - بصدد تفسيره سورة الشمس إلى أن: قوله {ونفس وما سواها} أى خلقها سوية مستقيمة على الفطرة القويمة، يقول تعالى {فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله}، وقال النبي {صلى الله عليه وسلم} «كل مولود يولد على الفطرة» وفي الحديث القدسي في صحيح مسلم يقول المتعال «إني خلقت عبادى حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم} وقوله سبحانه {فألهمها فجورها وتقواها} أي أرشدها إلى فجورها وتقواها؛ أي بيَّن ذلك لها وهداها إلى ما قدر لها. وفي الحديث: أن رجلا من مزينة او جهينة أتى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقال: يارسول الله أرأيت ما يعمل الناس فيه ويتكادحون، أشيء قضي عليهم من قدر قد سبق، ام شيء مما يستقبلون مما آتاهم به نبيهم {صلى الله عليه وسلم} واكدت به عليهم الحجة؟ قال: «بل شيء قد

قضى عليهم» قال: ففيم نعمل؟ قال: «من كان الله خلقه لإحدى المنزلتين يهيئه لها؟ وتصديق ذلك «ونفس وما سوَّاها، فألهمها فجورها وتقواها» (رواه أحمد ومسلم).. وقوله تعالى {قد أفلح من زكاها، وقد خاب من دساها} المعنى قد افلح من زكى نفسه بطاعة الله، وطهرها من الاخلاق الدنيئة والرذائل، كقوله: «قد افلح من تزكى. وذكر اسم ربه فَصلَّى» «وقد خاب من دسَّاها» أي دسسها أي أخملها حتى ركب المعاصي وترك طاعة الله عز وجل. سمع ابو هريرة رضي الله عنه النبي {صلى الله عليه وسلم} يقرأ: «فألهمها فجورها وتقواها» قال: «اللهم آت نفسي تقواها، وزكها انت خير من زكاها أنت وليها ومولاها» (اخرجه ابن ابى حاتم).

روى الامام أحمد: كان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يقول: «اللهم انى اعوذ بك من العجز والكسل، والهرم والجبن والبخل وعذاب القبر، اللهم آت نفسى تقواها، وزكها انت خير من زكاها، انت وليها ومولاها، اللهم انى اعوذ بك من قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، وعلم لا ينفع، ودعوة لا يستجاب لها» (اخرجه أحمد ومسلم).

والرحمن القائل وقوله الحق {إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نَبْتَليه فجعلناه سميعاً بصيرا. إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا}.. قوله «نَبْتَليه» أي نختبره كقوله جل جلاله {ليبلوكم أيكم أحسن عملا} {فجعلناه سميعا بصيرا} أي جعلنا له سمعا وبصرا يتمكن بهما من الطاعة والمعصية، وقوله جل وعلا: {وهديناه السبيل} أي بيَّناه له ووضحناه وبصرناه به كقوله تعالى: {وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى}، وكقوله تبارك {وهديناه النجدين} أي بيَّنا له طريق الخير وطريق الشر، وفي قوله «إنا هديناه السبيل» تقديره: فهو فى ذلك إما شقى وإما سعيد. كما جاء بالحديث الصحيح «كل الناس يغدو فبائع نفسه فموبقها او معتقها» (اخرجه مسلم في صحيحه)، وقول الرسول {صلى الله عليه وسلم} كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عن لسانه إما شاكرا وإما كفورا».

الكاتب في سطور:

- دكتوراة في العلوم الجنائية من اكاديمية الشرطة.
- رئيس قسم الشئون القانونية والبحوث.

* له عدة مؤلفات منها:

- البث المباشر وتأثيره في تكوين السلوك الاجرامي.
- جرائم التقدم التكنولوجي في السياسة التشريعية المعاصرة.
- التهرب الضريبي بين الاسلام والفكر المعاصر.
- المسئولية الجنائية عن جرائم الافراد بالبيئة.
- الجريمة الارهابية وحق اللجوء السياسي.

يقول الرسول {صلى الله عليه وسلم} «ما من خارج يخرج الا ببابه رايتان: راية بيد ملك، وراية بيد الشيطان، فإن خرج لما يحب الله اتبعه الملك برايته، فلم يزل تحت راية الملك حتى يرجع إلى بيته، وان خرج لما يسخط الله اتبعه الشيطان برايته فلم يزل تحت راية الشيطان حتى يرجع إلى بيته» (اخرجه الامام أحمد) .. ورب العزة حين يقول: «ألم نجعل له عينين» أى يبصر بهما و«لسانا» أى ينطق به فيعبر عما فى ضميره «وشفتين» يستعين بهما على الكلام، واكل الطعام وجمالا لوجهه وفمه.

يقول {صلى الله عليه وسلم}: «يقول الله تعالى: يا ابن آدم، قد انعمت عليك نعماً عظاما، لا تحصى عددها ولا تطيق شكرها، وإن مما أنعمت عليك ان جعلت لك عينين تنظر بهما، وجعلت لهما غطاء، فانظر بعينيك إلى ما احللت لك، وان رأيت ما حرمت عليك، فأطبق عليهما غطاءهما، وجعلت لك لسانا وجعلت له غلافا، فانطق بما أمرتك، واحللت لك فان عرض عليك ما حرمت عليك فأغلق عليك لسانك، وجعلت لك فرجاً وجعلت لك ستراً، فأصب بفرجك ما احللت لك، فإن عرض عليك ما حرمت عليك فأرخ عليك سترك، يا ابن آدم انك لا تحمل سخطي، ولا تطيق انتقامى» «وهديناه النجدين»: الطريقين، قال ابن مسعود: الخير والشر، سمع ابو رجاء الحسن يقول: «وهديناه النجدين» قال: ذكر لنا أن نبى الله {صلى الله عليه وسلم} كان يقول «يا أيها الناس انهما النجدان: نجد الخير، ونجد الشر، فجعل نجد الشر احب اليكم من نجد الخير» (اخرجه ابن جرير).

ذاتية التكوين الانساني

النفس تضم داخل كيانها ـ طبقا لآيات الذكر الحكيم وأحاديث المصطفى {صلى الله عليه وسلم} شيئين متقابلين، هما: الفجور والتقوى .. والنفس الانسانية على اطلاقها مستعدة استعداداً طبيعياً للهدى والضلال، قابلة للخير والشر.. هكذا صاغها الخالق تعالى، من نفحات السماء ومن تراب الارض .. والسعيد من الناس من زكى نفسه وطهرها فخلصها من تراب الارض. واطلق روحه من أسر المادة، فحلقت به في عالم الحق والنور. اما الشقي فهو من دس نفسه، اى اخفاها، وغطى عليها بكثافة المادة وظلامها.

فالكيان البشرى كيان مزدوج الطبيعة. لذلك يتفرد الانسان عن سائر مخلوقات هذا الكون.. فالحيوان من جانب والملك من جانب ـ هما المخلوقان اللذان تجمعهما بالانسان صلات ـ كلاهما ذو طبيعة واحدة ووجهة واحدة.

فالحيوان: حتى في اعلى درجاته التى تشابه الانسان في تركيبه الجسماني مخلوق ذو طبيعة واحدة، تتحدد بحدود جسده وتصرفاته الغريزية.. جسمه هو مصدر طاقته، توجهه غرائزه. وسلوكياته الغريزية هى عالمه بأكمله. يأكل ويشرب ويؤدى الجنس بدافع جسدى بحت، لا

ادراك فيه لهدف، ولا تصرف فيه في وسيله، يأكل حين يدفعه الجوع. ويمسك حين تقرر له الغريزة حد الاكتفاء. وينشط جنسيا في موسم معين محدد، ولا يختار وقته، ولا يحدد هدفه ولا يدركه ، ولا يختار فيه سلوكا معينا غير ما توحيه له غريزته. ثم يكف عن هذا النشاط جملة في موعد كذلك محدد، لا يختاره هو ولا يدرك سره، ولا يملك كذلك مخالفته. فتصرف الحيوان نابع من غريزته لا يملك مقاومتها، ولا يفكر في مقاومتها كذلك .. فهو بحكم تكوينه مستسلم لما تمليه عليه غريزته. انه مخلوق ذو طبيعة واحدة وتعمل في اتجاه الجسم وغرائزه المخصوصة.

والملك: من وصفه الذى نعرفه به وان كنا لا نراه، مخلوق ذو طبيعة واحدة كذلك، وذو اتجاه واحد. مخلوق يعيش في نطاق روحه ويطيع توجيهاتها بلا ارادة ذاتية ولا تصرف ذاتي. فالملائكة مخلوقات مفطورة على الطاعة المطلقة، يقول العليم الحكيم «لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون» (التحريم/٦).. والملك ذو غرائز روحية تعمل بوحيها في كل امر دون تفكير أو اختيار.. أي أنه مخلوق ذو طبيعة واحدة ويعمل في اتجاه الروح.

اما الانسان ، فهو وحده - فيما نعلم من الكائنات - الكائن المزدوج الطبيعه القادر على اكثر من اتجاه .. وهذا الازدواج هو طابع كيانه كله. وهو متغلغل في كل اعماقه، فلا يوجد عمل ولا تصرف ولا شعور ولا فكر لا تبدو فيه هذه الظاهرة الفذة المميزة.. هذا عن حقيقة تكوين الانسان.

تحليل الميل الذاتي للنفس الانسانية

يتحكم في السلوك البشرى مجموعة من الغرائز، كغريزة القتال والدفاع، وغريزة الاقتناء، والغريزة الجنسية. غريزة القتال والدفاع: هى الميل الفطري إلى الاقدام تارة والاحجام تارة أخرى، سواء اكان الاقدام في شكل قول أو فعل.. وغريزة الاقتناء: وهى ميل فطرى إلى الاحراز والتملك.. والغريزة الجنسية: هل ميل فطرى للرجل إلى المتعة بالمرأة أو للمرأة إلى المتعة بالرجل.

عموماً الغريزة فطرة في الانسان تولد لديه الشعور بحاجة مادية او معنوية، ويكون هذا الشعور مصحوباً بألم تحس به النفس طيلة بقاء تلك الحاجة معلقه دون اشباع، ويقطع الألم لدى الانسان اتزانه الشعوري، فيصاب بالانفعال، ويصبح حرص الانسان على رفع هذا الالم عن نفسه هو المحرك إلى السلوك اللازم للخلاص من الالم.

والنفس الانسانية مكونه من ثلاثة عناصر هي: الفكر والشعور والارادة .. وأي عيب قد يصيب اي عنصر من العناصر سالفة الذكر، يؤدي مردوده فى السلوك الناشيء عن اى غريزة من الغرائز السابقة .. والعيب يأخذ احدى صورتين، اما خلل كمى أو شذوذ كيفي.. يقصد بالاول: أن يكون مقدار الشعور المتولد من

الغريزة متجاوزاً القدر الواجب توافره لدى الانسان السوي العادي، كالطمع في غريزة الاقتناء، والتهور في غريزة القتال والدفاع، والشراهة في تشهي الجنس في الغريزة الجنسية. وقد يتخذ الخلل الكمي صورة النقصان لا الافراط، يعني ان يكون مقدار الشعور المتولد من الغريزة اقل من القدر الواجب توافره لدى الشخص السوي، كالتبذير في غريزة الاقتناء، والجبن في غريزة القتال والدفاع، وضعف القدرة الجنسية في الغريزة الجنسية، والزهد في الحياة مما قد يؤدى إلى الانتقاص في غريزة الكيان والبقاء .. في حين يقصد بالثاني وهو الشذوذ الكيفي: ان يتبع صاحب الغريزة في سبيل اشباعها اسلوبا يغاير ذلك الذى يستخدمه الشخص السوى العادي، كالتظاهر بأكثر من الحقيقة في غريزة الكيان والبقاء، واستحلال مال الغير في غريزة الاقتناء ، والقتال من اجل الباطل افتراء وتجنياً وهذا في غريزة القتال والدفاع، والساديزم اي استشعار اللذة في تعذيب الآخر.

والحبيب المصطفى {صلى الله عليه وسلم} هو الانسان الوحيد الذى سواه رب العزه ولا يكمن في تكوينه البشرى - عليه الصلاة والسلام - اي عيب او نقيصة .. تصديقاً لقوله تبارك وتعالى {الذى خلقك فسواك فعدلك في اى صورة ما شاء ركبك} (الانفطار/ ٧ و٨).. اما سائر البشر فإنهم مهيؤون لإرتكاب الشر والعصيان متى سنحت الفرصة.. وهنا .. هنا فقط تبرز قيمة تقوى الله ليحظى الانسان بالفلاح بتزكيتها، فلا يسقط في الهاوية، يقول جل شأنه {كل نفس بما كسبت رهينة} (المدثر/٣٨).

فالنفس الانسانية مخصوصه - بحكم خلقتها - بالشر الداخلى الكامن المتوارى، يقول رب العرش الكريم {ان النفس لأمارة بالسوء} (يوسف/٥٣).. هذا الشر يتحرك في شكل معصية من المعاصى المردية الناشئة عن الخلل الكمي او الشذوذ الكيفى في غريزة من الغرائز.. فنجد هناك القتل والسرقه والزنا وغير ذلك من أشكال ومظاهر الاثم والذنوب والافتئات على حقوق الآخرين.

يرى اصحاب المذاهب المادية التى استصغرت حقيقة الروح وحقيقة ارتباط الروح بالجسد في اي نشاط يقوم به الانسان - ان هناك غرائز ثانوية سامية.. تلك الغرائز هى التى تحول دون جنوح الانسان إلى الشر والاجرام .. تفرز هذه الغرائز في نفسية صاحبها الفضيلة ، فيحرص على كيان الآخرين ويسلك سلوكاً مستقيماً - بفعل هذه الغرائز - فيكون ذا لطف مع غيره في غمرة اشباع غريزة الكيان والبقاء متزناً في ممارسته غريزة القتال والدفاع، ميالا إلى البذل بالاضافة إلى النيل، وإلى العطاء إلى جانب الاخذ في استخدام غريزة الاقتناء، ومعتدلا غير متبذل في ارضاء غريزة الجنس.

ويقرر الفكر المثالي أو الواقعى - كما ترى الفلسفة الاوروبية الناقصة - ان تلك

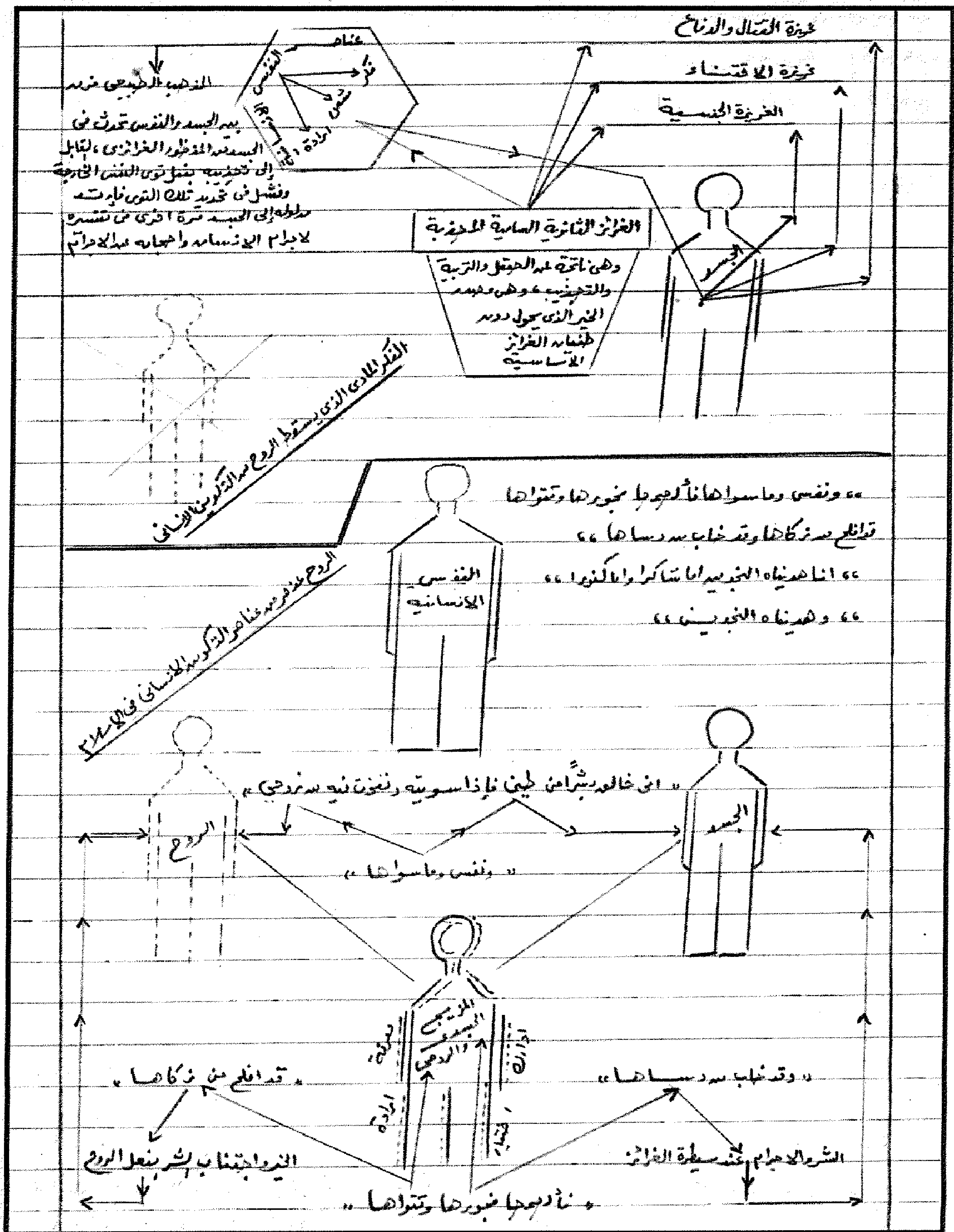
الغرائز الثانوية المهذبة انما هي ناتجة عن العقل والتربية والتهذيب.. الا ان هذه الفلسفة لم توضح مصدر الخير الحقيقى ومنبعه في الشخصية الانسانية.. والذى يلعب دوره الاكيد في منع طغيان الغرائز الاساسية.. فالفلسفة الوجودية قد قامت على خطأ منهجى وحيث فشلت فشلا ذريعاً في بيان اساس النزعة الخيرية في النفس الانسانية.. ذلك انها اخفقت في تحديد قوى النفس الخارجية، فارتد مدلولها إلى الجسد مرة أخرى.

يقول الحق جل وعلا {إذ قال ربّك للملائكة إني خالق بشراً من طين، فإذا سوَّيته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين} (ص ٧١، ٧٢). فالانسان قبضة من طين الأرض، ونفخة من روح الله، قبضة من طين الارض تتمثل في الجسد بتفصيلاته العضوية، ونفخة من روح الله تتمثل في الجانب الروحى للإنسان.. وهي منبع الخير والبر والرحمه والتعاون والاخاء والمودة والحب والصدق والعدل والايمان بالله وبالمثل العليا والعمل على تحقيقها في واقع الحياة.. كل هذا نشاط روحي، او نشاط قائم على قاعدة روحية.. فالنشاط الجسمانى والنشاط الروحى يؤديهما الانسان بكيانه المزدوج الموحد، لا بأى عنصر من عنصريه منفصلا عن الآخر ومستقلا عنه. فالانسان يستجيب لنفس الدافع القهرى الذى يدفع الحيوان لتناول الطعام، ولكنه - فيما بين الدافع والاستجابه - يعبر طريقا طويلا مملوءا بالاختيارات.. نشأ عن وجود الروح وامتزاجها بالطين وتلبسها به «فالارادة» و«الاختيار» صفتان من صفات الروح، تتمثلان فى صورتهما المحددة المقيده في الانسان، بمقدار ما تطيق قبضة الطين ان تقتبس من روح الله.

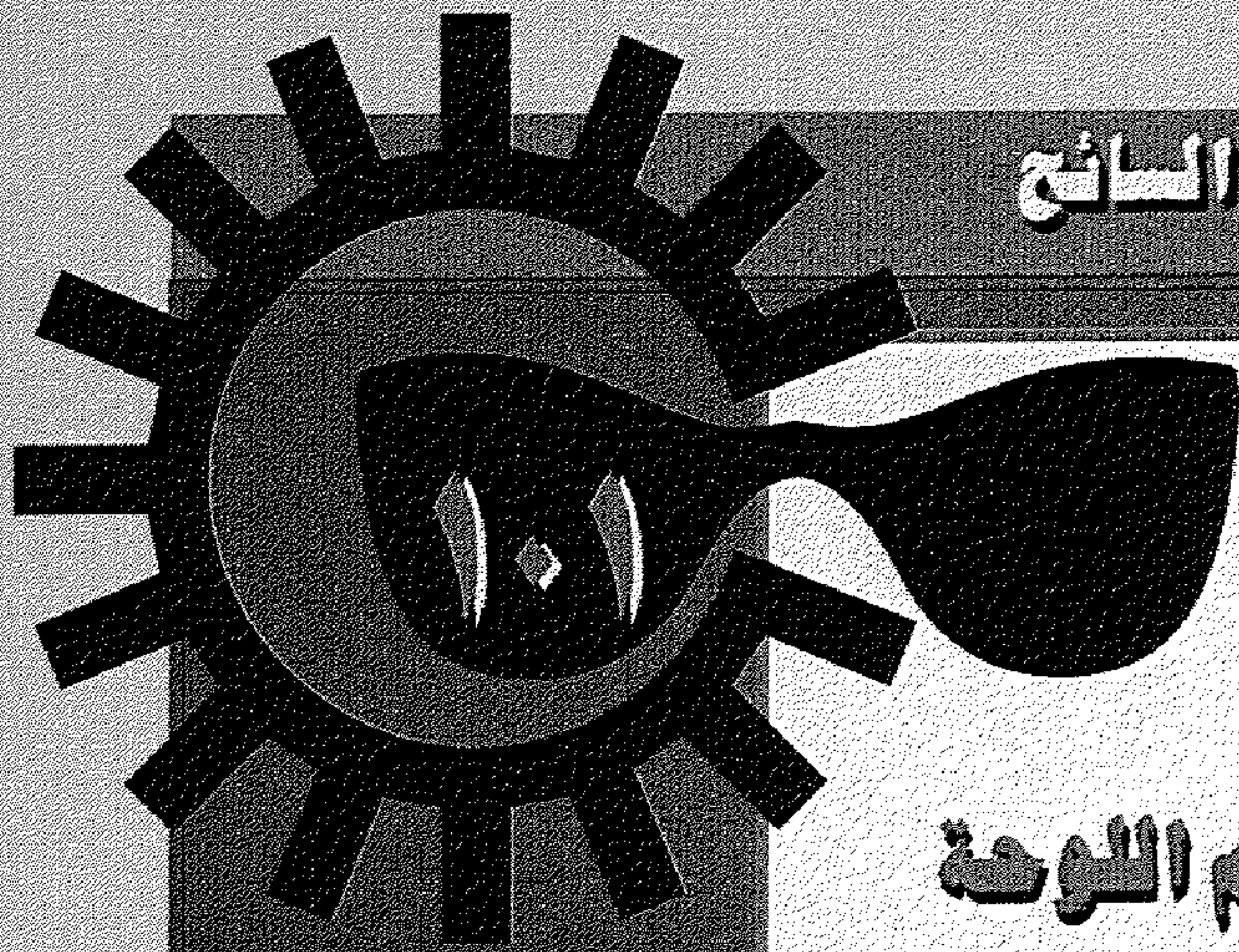
ان قيمة الانسان نشأت حين تلبست نفخة الروح بقبضة الطين فغيرت طبيعتها فَشَفَّتْ بالمعرفة والادراك والارادة والاختيار.. هذا المزاج المجتمع المترابط من الطين والروح اذا كانت الغلبة فيه لحكم الجسد طغت الغرائز وظهر الشر وتجسمت الجريمة، ذلك ان من دسّ نفسه انما قد طمس على روحه بعتامة الطين فخنقها وكبت اشعاعها وهي التي تمنح اساساً الطين خفة وشفافيه وانطلاقاً .. وهذا هو مصدر الشر في النفس الأمارة بالسوء كما وصفها الحق جل وعلا.. اما حين تحكم الروح هذا الكيان المجتمع المترابط - بفعل تقوى الله - مؤدى ذلك ضبط النشاط الانساني.. فسيطرة الروح هي التى تدفع إلى البذل والايثار، لأنها هى المنوطة بالخير .. فروح الله لها تكون الا خيراً.. تسوى ميزان الانسان الذى يحمل الامانة .. وخير ختام قول الله المتعال:

{قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً. ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل فأبى اكثر الناس إلا كفورا} (الاسراء/ ٨٨ و٨٩).

النفس الإنسانية في المنظور الإسلامي



مجلة السائح مجلة السائح مجلة السائح



في البلدان والعمران ..
في التقاليد والأعراف
في تقاطع وجوه الناس
السائح يستقريء الملامح ويرسم اللوحة



لقطات
على
الموضة

الديار الحيانية
مشاهدات
من فيتنام



في هذا العدد من

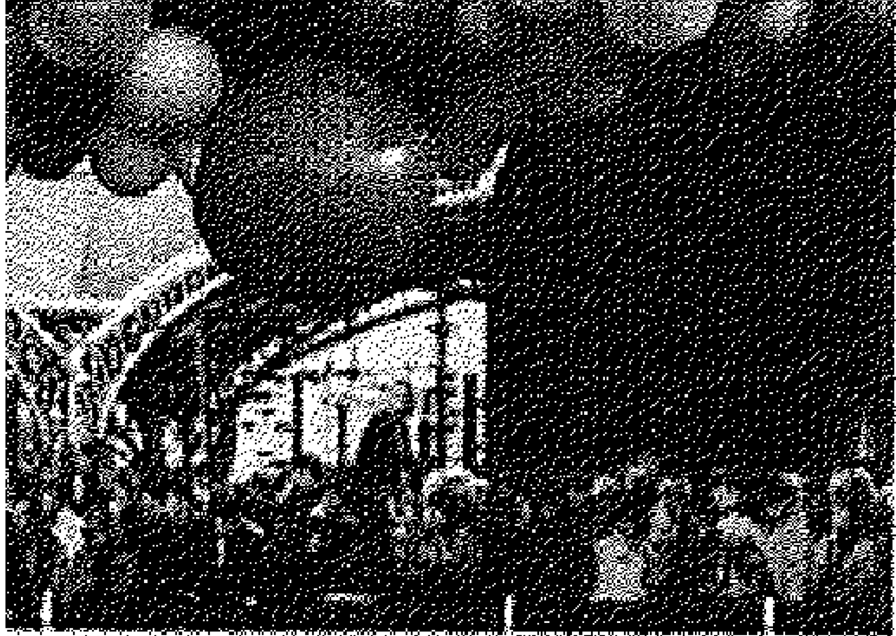
على الموضة

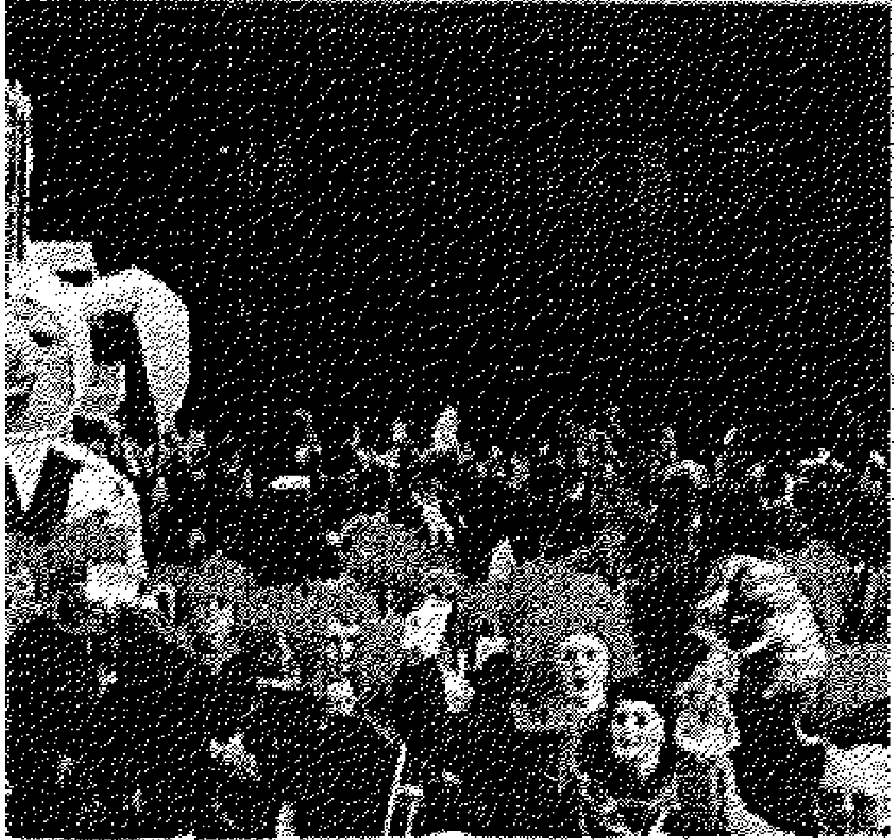
هذا العالم المشحون بالغرابة .. فيه من السلوكيات ما يدعو للعجب .. رغم ما يلف العالم اليوم من دمار وكوارث ومصائب، تجد أناساً هناك لهم هموم لا تخطر على بال أحد .. كأنك بهم من عالم آخر غير عالمنا هذا.

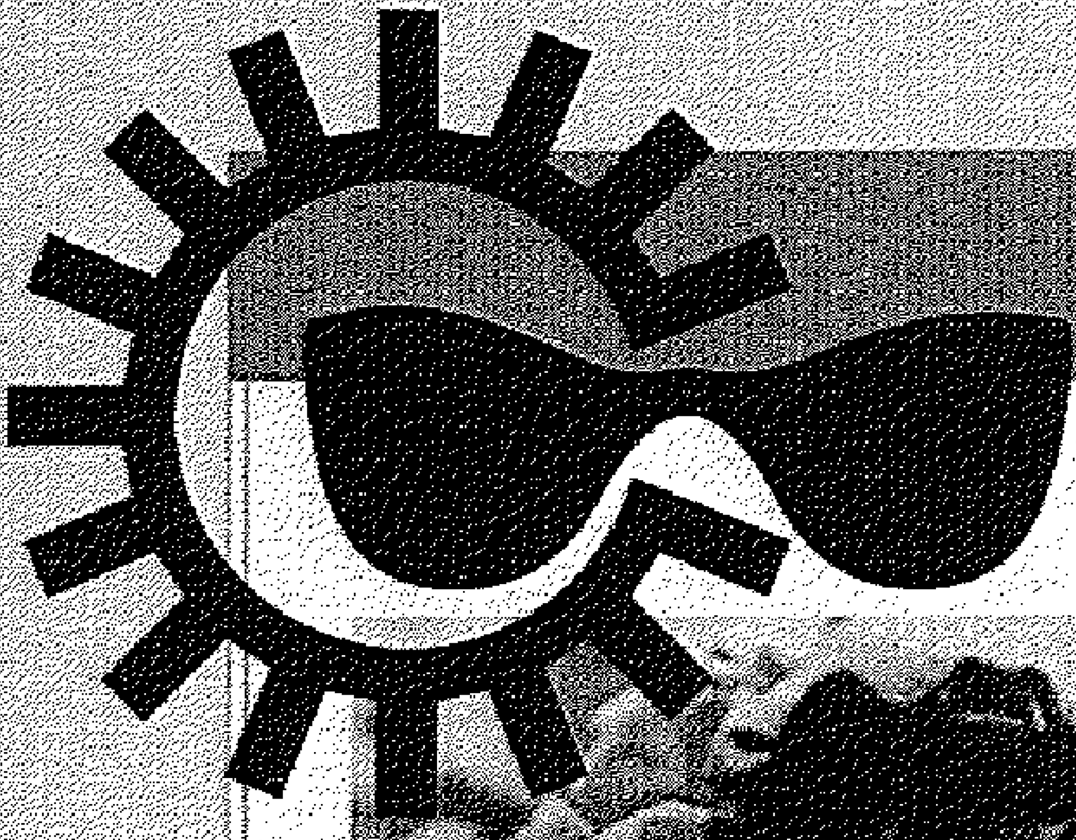
(بيتسي) و(توبي) كلبان مدللان جداً لرجل وامرأة من فرنسا .. لقد أعياهما الهم والغم، وركبهما البؤس والشقاء من عدم وجود ملابس تليق بكلبيهما المدللين في السوق.

وأخيراً توصلا إلى تصميم موضة خاصة بكلبيهما .. وابتهجا بالتصميم الرائع، وقررا حلَّ مشكلة الأزياء لكل الكلاب المماثلة.

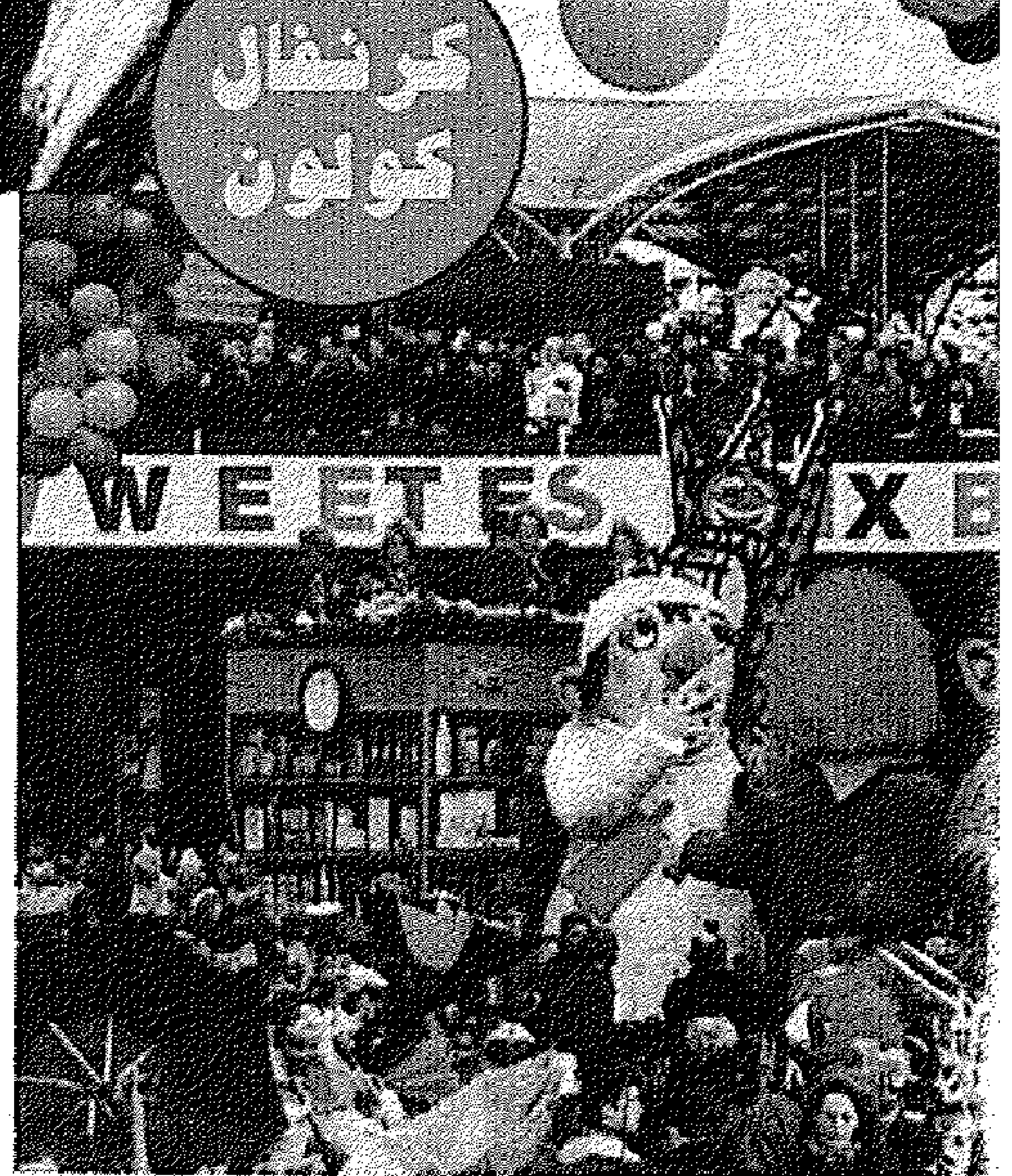
وكانت النتيجة أن أسَّسا مصنعاً خاصاً لأزياء الكلاب و(مافيش حد أحسن من حد).







كرنفال كولون



في المدة الممتدة من نهاية شهر فبراير وإلى بداية مارس من كل عام، تمتد احتفالات ومهرجانات الفرح والزهور والمرح في مدينة كولون القديمة الشهيرة بـ (الكولونيا) المهرجان تنظمه (١٢٠) جمعية، على أنغام ثمانية آلاف عازف، و٣٥٠ ألف باقة ورد٠٠ الكل يرتدى الأقنعة ذات الأشكال الجذابة والمدهشة المثيرة٠

يطوف الموكب أنحاء المدينة ناثراً في ارجائها كل معاني البهجة والسرور والحبور٠٠ والمهرجان يغلب عليه الشكل الاجتماعي٠

ولعل أطرف ما في هذا المهرجان أن النساء قد خصص لهن يوم يدخلن فيه قصر الرئاسة حيث يصبح الأمر والنهي بيدهن في هذا اليوم٠

المعالم التاريخية والأثرية في الديار اللحيانية

إعداد عقيد:
مساعد بن منشط الغريفي اللحياني
- الرياض -

أولا: نبذة عن قبيلة لحيان:

١ - النسب:

يقول ابن حزم: لحيان من هذيل، فولد لهذيل بن مدركة سعد ولحيان[١]، ويقول عمر رضا كحالة: ولحيان بن هذيل بطن من هذيل، من العدنانية، وهم بنو لحيان بن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، ومن بلادهم: رخمة، الهزوم، والبان، وقد قامت لهم دولة شمال الحجاز قبل الاسلام[٢].

ويقول ابن عبد البر: مضر جذمان: خندف وقيس والمقدم منهما خندف لأنها جذم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} واصل قريش[٣]، ويقول الشيخ/ حمد الجاسر: أنهم من هذيل وهم فرعان محرز ومرير[٤].

٢ - الحدود:

يقول البلادي: تقع ديار لحيان اليوم بين مكة ومر الظهران، وتسمى اللحيانية، وتمتد حدودهم شرقاً الى سبوحة وغرباً الى فج الرحا، ويجاورهم الاشراف النواصرة من الغرب[٥].

ويذكر الشيخ مصلح بن صليح الغريفي اللحياني شيخ الموسة من لحيان أن حدود قبيلة لحيان على النحو التالي:

- من الشمال: الناعمة ووادي فاطمة.
- من الجنوب: وسط مكة وضواحيها.
- من الغرب: وادي فاطمة.
- من الشرق: السواهرة والعمران ومخطط الشرائع.

ثانيا: المعالم التاريخية والأثرية في الديار اللحيانية:

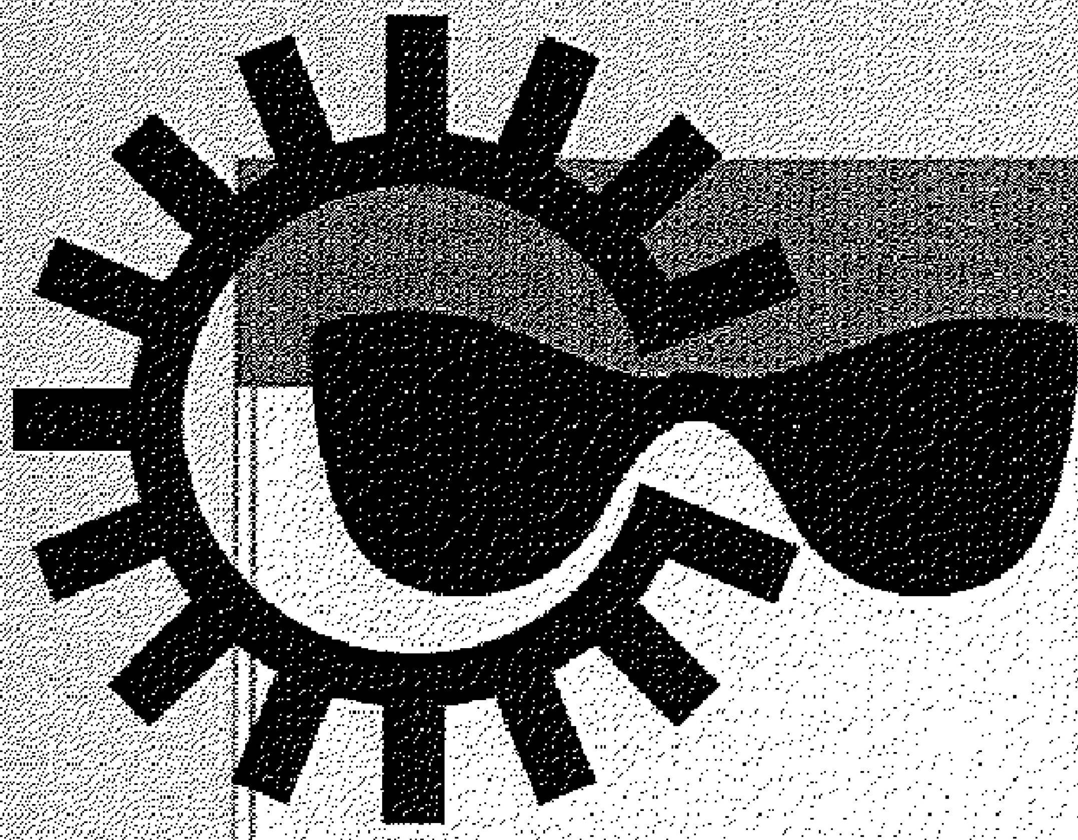
١ - اضاءة بني غفار:

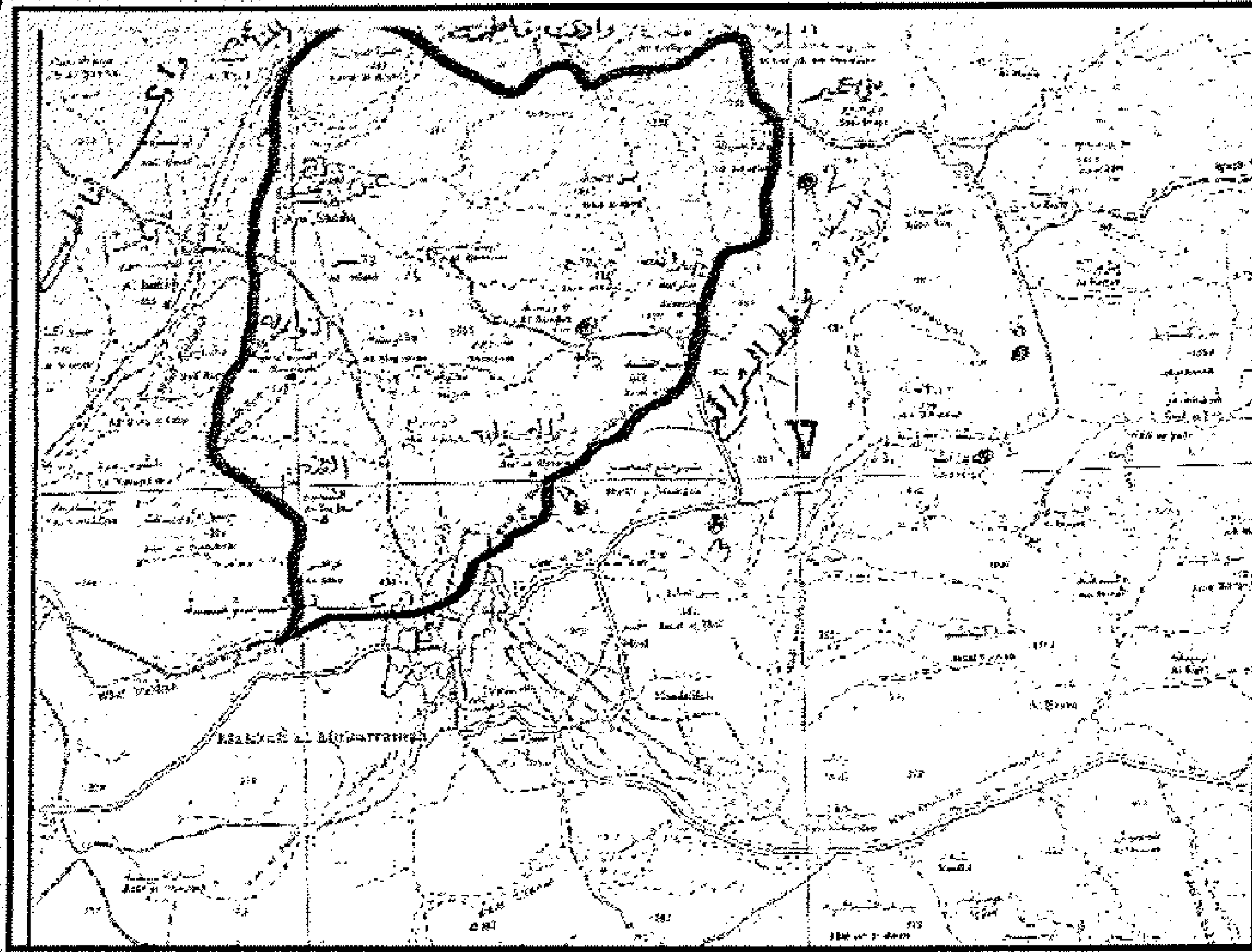
الاضاءة: الماء المستنقع من السيل أو غيره، ويقال: هو غدير صغير، قال يا قوت: موضع قريب من مكة فوق سرف قرب التناضب له ذكر في حديث المغازي، وروي أن النبي {صلى الله عليه وسلم} كان عند اضاءة بني غفار فأتاه جبريل فقال له: إن الله تبارك وتعالى يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف. قلت (البلادي): هذه الاضاءة هي بلاد اليوم كثيرة الطين يشطرها الطريق (طريق المدينة - مكة السريع) الى نصفين اذا خرج من سرف شمالا[٦].

قلت: (الباحث) الموقع اليوم يشغله موقف حجز سيارات خط الحرمين شمال غرب قبر أم المؤمنين ميمونة رضي الله عنها.

٢ - بئر طُوى:

بضم الطاء المهملة، وواو، وياء مقصورة. وهو واد من أودية مكة، كله معمور اليوم، وانحصر الاسم في بئر في جرول تسمى بئر طوى، هي موضع مبيته {صلى الله عليه وسلم} بجيش الفتح هناك[٧]، قلت (الباحث) موقع البئر اليوم أمام مستشفى الولادة والاطفال بحي جرول.





ـ خريطة لمكة المكرمة توضح حدود قبيلة لحيان.

٣ ـ توزيع غنائم غزوة حُنين:

في قرية تعرف اليوم (بجعرانة) تبعد عن مكة المكرمة بحوالي ٢٥كم، وبها قسَّم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} الغنائم بعد غزوة حُنين والطائف[٨].

٤ ـ غوطة الصحابي عبد الله بن الزبير:

بستان كان به ثمر وزرع للصحابي عبد الله بن الزبير يقع الآن شمال شرق النوارية ويعرف باسم (الروضة) بجوار بلاد السنوسي ويبعد عن الجعرانة من ٤ ـ ٥ كم تقريباً. كانت تعرف باسم (ثُرير)[٩].

٥ ـ قبر أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها:

يوجد هذا ا لقبر بحي النوارية يسار الذاهب الى المدينة المنورة محاط من كافة جوانبه بسور يبلغ ارتفاعه ما يقارب ٥ر١م. ويبعد عن المسجد الحرام بستة عشر كيلا وأحد عشر كيلا من عمرة التنعيم[١٠]، ومن المصادف أنها تُوفيت في المكان الذي بنى بها رسول الله فيه.

٦ ـ قبر الصحابي عبد الله بن عمر رضي الله عنهما:

يقع بحي الشهداء بالزاهر يبعد عن طريق مكة المدينة السريع بحوالي ٥٠٠م تقريباً، وهو عبارة عن قبر عليه سور بعض اجزائه متهدمة ويزعم المجاورون له بأنه قبر الصحابي عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

وهناك قول بأن قبره بالخرمانية مما تلي ريع الحجون[١١].

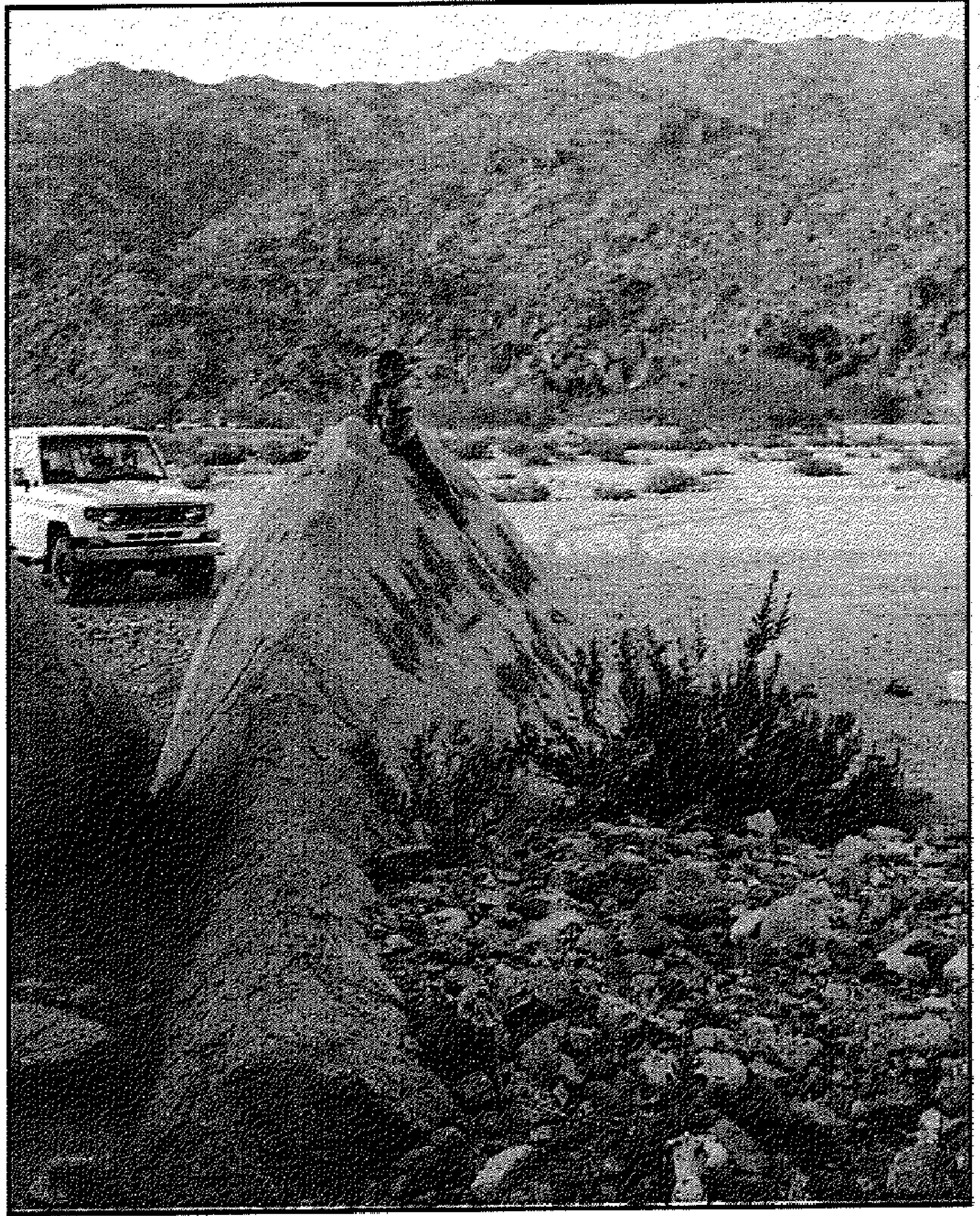
٧ ـ مبرك الناقة العاصية:

يقع بمنطقة الرشيدي في مكان يعرف باسم (القُنّبة) يسار الذاهب الى السيل وتبعد عن مكة المكرمة بحوالي ٢٥ كيلا وسط واد يتسع عندها ويضيق كلما انحدرنا غرباً، ويروي سكان تلك الناحية أن صخرة تشبه الناقة وهي جالسة ورقبتها على الأرض قيل أنها ناقة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بركت هناك عندما كان عليه السلام عائداً من غزوة حُنين وهو في طريقه الى الجعرانة لتوزيع الغنائم فرفضت القيام فدعا عليها[١٢].

٨ ـ محبس أبي سفيان:

يقول صاحب (المناسك) وبعد الجنابذ بميل، خشونة وصعوبة، وطريق ضيق بين الجبلين، يقال إنه الموضع الذي أمر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} العباس أن يحبس ابا سفيان حتى تمر به الجيوش[١٣]، وعن ابن عباس قال: فلما نزل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بمر الظهران، وكان من قصة أبي سفيان ما كان تلك الليلة قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} للعباس حين اسلم أبو سفيان: انصرف يا عباس، واحبسه عند خطم الجبل، بمضيق الوادي حتى تمر عليه جنود الله[١٤].

قلت هذا المكان يقع بين جبلين صغيرين تجدهما بعد مدخل قرية عين شمس الرئيسي على طريق مكة المدينة السريع عندما تتعداه تُشاهد



ـ مبرك الناقة العاصية.

محافظة الجموم ويبعد عن مكة المكرمة بحوالي اثنين وعشرين كيلا ويعرف في تلك الناحية بوادي الضيق.

٩ ـ مسجد الجعرانة:

يقع بقرية الجعرانة التي تبعد عن مكة المكرمة بحوالي ٢٤ كيلا، وكان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قد اعتمر منها بعد غزوة الطائف (حُنين) وخرج منها ليلا وعاد من ليلته[١٥].

ويروي الازرقي أن رجلا من قريش بنى مسجداً هناك، ولا زال معموراً يعتمر منه أهل مكة، وهو مبني من الاسمنت[١٦]، قلت: المسجد لازال موجوداً وقد جدد بناؤه في عهد الدولة السعودية الحديثة.

١٠ ـ مسجد عائشة رضي الله عنها:

يقع بالتنعيم وهو المكان الذي اعتمرت منه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، عن صفية بنت شيبة قالت: حدثتنا عائشة أن النبي {صلى الله عليه وسلم} أمر عبد الرحمن بن أبي بكر أن يُعمرها من التنعيم. وهو دون مكة بأربعة أميال[١٧]. قلت منه الآن يعتمر أهل مكة ومن أتى من خارجها ماراً بالتنعيم، وقد جدّد خادم الحرمين الشريفين ـ حفظه الله ـ مسجد السيدة عائشة رضي الله عنها فاصبح مسجداً رائعاً فريداً من نوعه.

١١ ـ منزل قيس بن ذريح الكناني صاحب لُبْنَى:

يقول صاحب المناسك: ويسرف منزل قيس بن ذريح الكناني صاحب لبنى وفيه يقول قيس بن ذريح، ونقلت لُبْنى حين تزوجت[١٨]:

الحمد لله قد أمست مجاورة
أهل العقيق، وأمسينا على سرف
حيٌ يمانون، والبطحاء منزلها
هذا ـ لعمري ـ شكل غير مؤتلف
قد كنت آليت جُهداً لا أفارقها
أف لأكثر ذاك القول، والحلف
حتى تكفنني الواشون فافتلتت
لا تأمننَّ بدار لات مكتنف

١٢ ـ نقوش إسلامية:

تقع هذه النقوش في وادي العسيلة الذي يبعد عن مكة المكرمة بحوالي اثنى عشر كيلا تقريباً. ويبلغ عدد هذه النقوش ما يزيد عن ستين نقشاً ترجع الى الفترة الواقعة ما بين بداية العصر الأموي والفترة العباسية المبكرة، وجميع هذه النصوص كتبت لطلب المغفرة والعفو والرحمة والجنة والقبول للشخصيات المسجلة اسماؤها في النقوش.

ومن أهم تلك الشخصيات، صفية بنت شيبة بن عثمان، ومحمد بن عبد الرحمن بن هشام[١٩].

١٣ ـ نقوش قديمة:

تقع في مكان يُعرف باسم الدَّودية أو الدُوَيَّدة



- نقوش اسلامية عثر عليها بالعسيلة.



- نقوش قديمة عثر عليها بالنويدة.

على الطريق المؤدي الى الجعرانة، وتبعد عن الخط السريع بحوالي كيلين على يمين الداخل الى شعيب ضيق، ويحتوي هذا الجبل على نقوش قديمة لحيوانات وكتابات بخط يشبه خط المسند الشمالي ونقوش اسلامية بالخط الكوفي.

قمت بزيارة لهذا المكان لأول مرة بتاريخ ١٤١٥/١٠/٤هـ مع مجموعة من أبناء القبيلة.

١٤ ـ النورة تبني الكعبة:

النورة عبارة عن حجارة بيضاء تستخرج من مناجم جبلية تشرف على وادي سرف (النوارية) ثم تطحن حتى تصبح ناعمة، وتستخدم في اعمال البناء مثل الإسمنت، ويقال أنه بنيت بها الكعبة في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان، ويمكن مشاهدة ذلك في الخطوط البيضاء التي بين حجارة الكعبة، في حين أن أغلب بيوت مكة القديمة بنيت منها.

الهوامش:

(١) جمهرة أنساب العرب، لابن حزم، ص ١٩٦ ـ ١٩٧.

(٢) معجم قبائل العرب، عمر رضا كحالة، ج/٣، ص ١٠١٠.

(٣) الانباه على قبائل الرواه، ابن عبد البر القرطبي ص ٧٣.

(٤) معجم قبائل المملكة العربية السعودية، حمد الجاسر، ق/٢، ص ٦١٠ ـ ٦١١.

(٥) معجم قبائل الحجاز، البلادي، ج/٣، ص ٤٢٧ ـ ٤٢٨.

(٦) معجم معالم الحجاز، البلادي ج/١، ص ١١٠ ـ ١١٢.

(٧) معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، البلادي، ص ١٨٨ ـ ١٨٩.

(٨) راجع الرحيق المختوم، المباركفوري، ٤١٩.

(٩) راجع معجم معالم الحجاز، البلادي، ج/٢، ص٨١.

(١٠) راجع على طريق الهجرة، البلادي، ص ٩ ـ ١٠.

(١١) أخبار مكة، الازرقي، ٢٨٩/٢.

(١٢) روى لي هذه القصة الشيخ/ حماد بن محمد الضبيبي اللحياني.

(١٣) أي جيوش فتح مكة.

(١٤) المناسك، تحقيق الشيخ/ حمد الجاسر، ص ٤٦٤.

(١٥) راجع الرحيق المختوم، المبار كفوري، ص ٤٢٢.

(١٦) معالم مكة التاريخية والأثرية، البلادي، ص ٢٧٠.

(١٧) المناسك، تحقيق الشيخ/ حمد الجاسر، ص ٤٦٧.

(١٨) المناسك، تحقيق الشيخ/ حمد الجاسر، ص ٤٦٦.

(١٩) كتابات اسلامية من مكة المكرمة، الراشد، ص ١٥٧ ـ ١٥٨.

إضاءة

عقيد/ مساعد بن منشط اللحياني

١ ـ عضو الجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية بالرياض.

٢ ـ عضو متعاون مع هيئة التدريس باكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية بالرياض.

٣ ـ عضو الاتحاد الدولي لرجال الاطفاء المتطوعين باليابان.

٤ ـ عضو الجمعية الوطنية للحماية من الحريق بالولايات المتحدة الامريكية.

* المؤلفات:

١ ـ التطوع في الدفاع المدني ١٤١٤هـ.

مشاهدات في فيتنام

بقلم الشيخ
محمد بن ناصر العبودي
الامين العام المساعد لرابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمة

الحلقة الأخيرة

عدنا إلى الفندق بعد الخامسة بقليل، وقد غربت الشمس أو كادت فانطفأت الكهرباء منه، وتعطلت الحركة فيه لأنهم لم يعملوا كما تعمل الفنادق في البلدان الحرة حيث يكون فيها مولدات كهربائية خاصة أو حتى شموع أو مصابيح كهربائية يدوية يكتفي بها عن التيار العام حتى يعود.

الخروج بدون نقود:

ولبثنا في حبس مظلم مدة ساعتين لم نستطع الحركة ولا الكتابة ولا الاستفادة من الوقت، ثم عادت الكهرباء بعد ذلك فسألنا فتى في مكتب الاستقبال من الفندق عما إذا كان الخروج آمناً في الليل إذ نحب أن نتمشى فقال: إنه لا بأس بذلك بشرط أن تتخلوا عن ساعاتكم اليدوية وأن لا تأخذوا معكم نقوداً ذات بال.

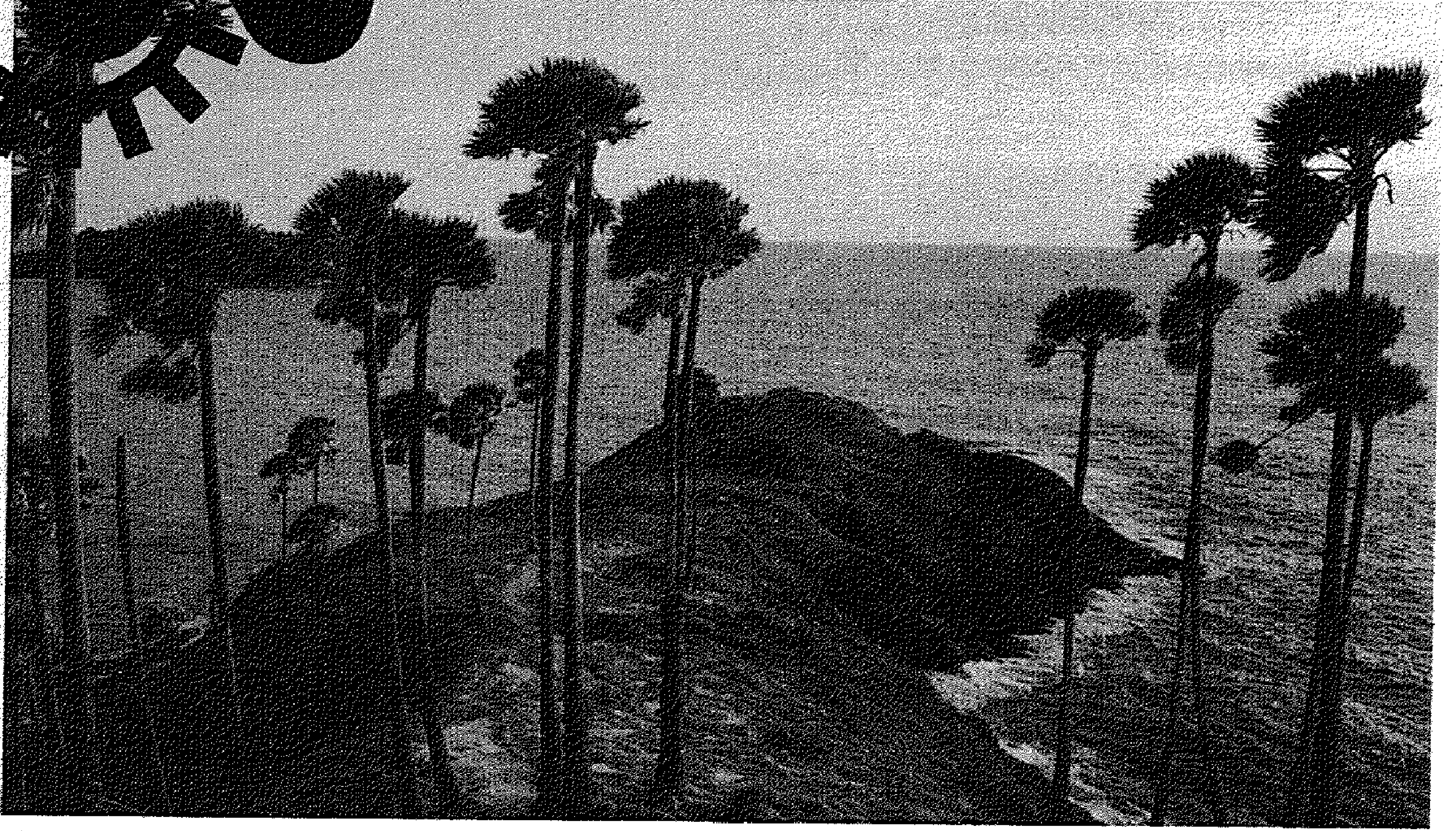
وخرجنا بالفعل ولكننا وجدنا ما حول الفندق مظلماً، وكأننا في منتصف الليل مع أن الساعة تقارب الثامنة. وذكرنا فندق (ركس) في سايقون وكيف أن الميدان الذي يقع عليه الفندق ويسمى (ميدان ركس) أيضاً يظل الناس فيه إلى قرابة نصف الليل وهم في ليل كالنهار إذ يجدون مقاعد حجرية يستريحون عليها والأنوار كافية.

ولما لم نجد ما يحسن الإطلاع عليه عدنا إلى الفندق وقصدنا المطعم الذي كان قليل الرواد، رغم ضخامة الفندق وكثرة نزلائه ولكن ربما كان أكثرهم يتعشون مبكرين. فطلبنا الأرز بالإربيان وهو صغار السمك الذي تسميه العامة عندنا (الروبيان) وهو في مصر (جمبري) فجاؤا بالإربيان كبير الحجم، لذيذ الطعم.

ولما جاء العامل بالقائمة كان قد كتب فيها ٣٠ ألف دونغ فظننته كتب ثلاثين دولاراً وهو يساوي هذا الثمن وأكثر منه في أوروبا، ولكن تبين أن الثمن هو ٣٠ ألف دونغ ويساوي ذلك دولارين اثنين فقط على وجه التقريب.

وهذا رخص متناه، والواقع أن فيتنام تعتبر جنة للسائح غير المترف الذي يريد أن يمتع بصره وفكره بالمعلومات وبطنه بما يوجد فيها من طعام حلال له، كالسمك والإربيان إلا إذا وجد مطعماً





الخضرة وجمال الطبيعة

إسلامياً كما وجدناه في (سايقون)، فإنه سوف يأكل طعاماً لذيذاً ذا نكهة خاصة بما يشبه المجان.

أما في (هانوي) هذه فإنه لا يوجد فيها مطعم للمسلمين وذلك لقلة المسلمين فيها من أهلها وقلة من يترددون عليها من المسلمين من غيرهم، أما العاملون المسلمون في سفارات الدول الإسلامية فإن لهم في طعامهم حديثاً قد يأتي بعد ذلك.

أفطرنا في مطعم الفندق هذا الصباح، وقال لنا الموظف: إن الطعام مجاني داخل ضمن أجرة الغرفة التي هي ٣٥ دولاراً أمريكياً.

وجاء به خبزاً وبيضاً صليقاً أي مسلوقاً وزبداً وشاياً. واعتذر بأنه لا يوجد لديهم الإفطار الأوروبي الذي أهم ما فيه (الهام) وهو لحم الخنزير الصغير. فقلنا: ما رأينا إحساناً يُعتذر منه كهذا.

في السفارة المصرية:

ذهبنا إلى السفارة المصرية في هانوي وقابلنا السفير الأخ/ مصطفى شنيف، ويعرف عنه اهتمامه بالشؤون الإسلامية هنا وبخاصة العناية بجامع هانوي فهو رئيس لجنة المسجد المؤلفة من سفراء الدول الإسلامية. وقد وجدنا أنه بالفعل مهتم بأمور المسلمين قائم بما يستطيعه من ذلك.

جمعية المسجد:

لا يوجد تجمع للمسلمين من أهل فيتنام في هانوي كما تقدم، لذلك لا توجد لهم جمعية إسلامية رسمية ولا جهة منهم تتولى شؤون جامع هانوي الذي هو المسجد الوحيد المفتوح في هذه المدينة الكبيرة.

وقد ألف العاملون في سفارات الدول المسلمة جمعية فيما بينهم هدفها القيام على شئون الجامع والعناية به. فعينوا أحد الإخوة المسلمين الفيتناميين لحراسة المسجد، وأعطوه مسكناً من غرف ملحقة به مبنية مع بنائه القديم إلا أنها هيؤها، وصاروا يتناوبون فيما بينهم إمامة المصلين يوم الجمعة الذين يتراوح عددهم ما بين ٣٥ إلى ٣٠ مصلياً في المتوسط.

قالوا: وفي يوم الجمعة يفتحون باب التبرع ويتبرع الشخص منهم في المتوسط بدولار واحد، وقد يتبرع باثنين فيتألف من ذلك مبلغ جيد في هذه البلاد يكفي راتباً لحارس المسجد وللكهرباء والماء وللمصاريف القليلة الأخرى، وذلك لغلاء العملة الأجنبية أو إن شئت قلت لانحطاط قيمة عملتهم الفيتنامية.

وقد أخبرونا أن أرضية المسجد تحتاج إلى إصلاح فقررنا أن ندفع لهم ألفي دولار أمريكية لهذا الغرض، إلا أننا لم نجد منهم من يحب أن يتسلمها، على اعتبار أنهم (دبلوماسيون) يجب أن يقتصر عملهم الرسمي على ما يتعلق بوظائفهم ولأنه لا توجد جمعية رسمية مسجلة للعناية بالمسجد.

الأديان في فيتنام:

لمناسبة الحديث عن قلة عدد المسلمين هنا يمكن تلخيص الوضع الديني في فيتنام بأن عدد السكان يبلغ ٦٨ مليوناً من النفوس ٤٨ مليونا منهم في شمال فيتنام الذي فيه العاصمة (هانوي) و٢٠ مليوناً منهم في الجنوب الذي عاصمته الآن (هوشي منه)، التي كان اسمها (سايقون) عندما كان الجنوب دولة مستقلة تحت رعاية الولايات المتحدة وحمايتها التي لم تغن عنها شيئاً.

ومن السكان ٤٪ فقط من المسيحيين رغم السيطرة الطويلة من فرنسا على فيتنام، وكان المنصرون يجتهدون في نشر النصرانية وكذلك عندما صارت جنوب فيتنام تحت ظل الولايات المتحدة وتحارب الشيوعيين وتنفر من ثقافتهم كان المنصرون نشطين فيها، ولكن جهودهم لم تثمر الثمرة التي كانوا يرجونها. و٧٠٪ من السكان هم من البوذيين و١٪ مسلمون وأديان أخرى و٢٥٪ دين يسمى (كاو داي) وهو دين فيتنامي قديم.

جامع هانوي:

ذهبنا لرؤية (جامع هانوي) مع السفير المصري على سيارة استأجرناها من مكتب حكومي للسياحة وهي حافلة صغيرة قديمة أجرتها ٢٠ دولاراً حتى الساعة السادسة من مساء اليوم.

وهذه أجرة كثيرة بالنسبة إلى أجور السيارات التي كنا ندفعها في (هوشي منه)، وجدنا جامع (هانوي) عظيماً حقاً بمظهره الضخم الرائع ذي المآذن الأربع الشامخة وبنائه الحجري القوي.

وهندسته غريبة ليست مثل هندسة المساجد في جنوب فيتنام، حيث يغلب هناك المساجد على الطريقة الملايوية. ولا هو بطراز المساجد على الطريقة الهندية المتأثرة بالطراز المغولي الهندي للبناء.

وقيل لي: إنه بني على طراز محلي وطني عريق في البناء قد بنيت عليه المعابد القديمة وإن كان بانوه أبرزوا ما يظهر أنه مسجد مخالف لتلك المعابد.

ويصح أن يقال: إن المسجد يتألف من عدة أبنية أهمها المصلى وهو المسجد الرئيسي وهو متوسط السعة ذو أعمدة ضخمة قد كتبوا على محرابه الشهادتين بالعربية (لا إله إلا الله، محمد

رسول الله)، وتاريخ بنائه، بأرقام عربية ١٣٢٣هـ. وحوله أروقة عديدة وبجانبه مبان ملحقة به يسكن في أحدها الحارس مع أسرته، وبعضها كان يستعمل مدرسة إسلامية قبل أن يغادر المسلمون فيتنام، والآن بقيت معطلة، وقد عرفت بعد ذلك أن الذي قام على بنائه وانفق عليه النفقة العظيمة هم الأخوة من مسلمي الهند الذين كانوا يعملون تجاراً في فيتنام وغادروها بعد أن استولى الشيوعيون على الحكم.



مجموعة من الاطفال مع معلماتهم

وهم بذلك جديرون لما رأيت من عظم المسجد الذي بنوه وهو جامع سايقون أي هوشي منه الذي تقدم ذكره.

ولم نجد حارس المسجد، وإنما وجدنا أخاً له مسلماً اسمه إبراهيم التقطنا معه صورة عند مدخل المسجد.

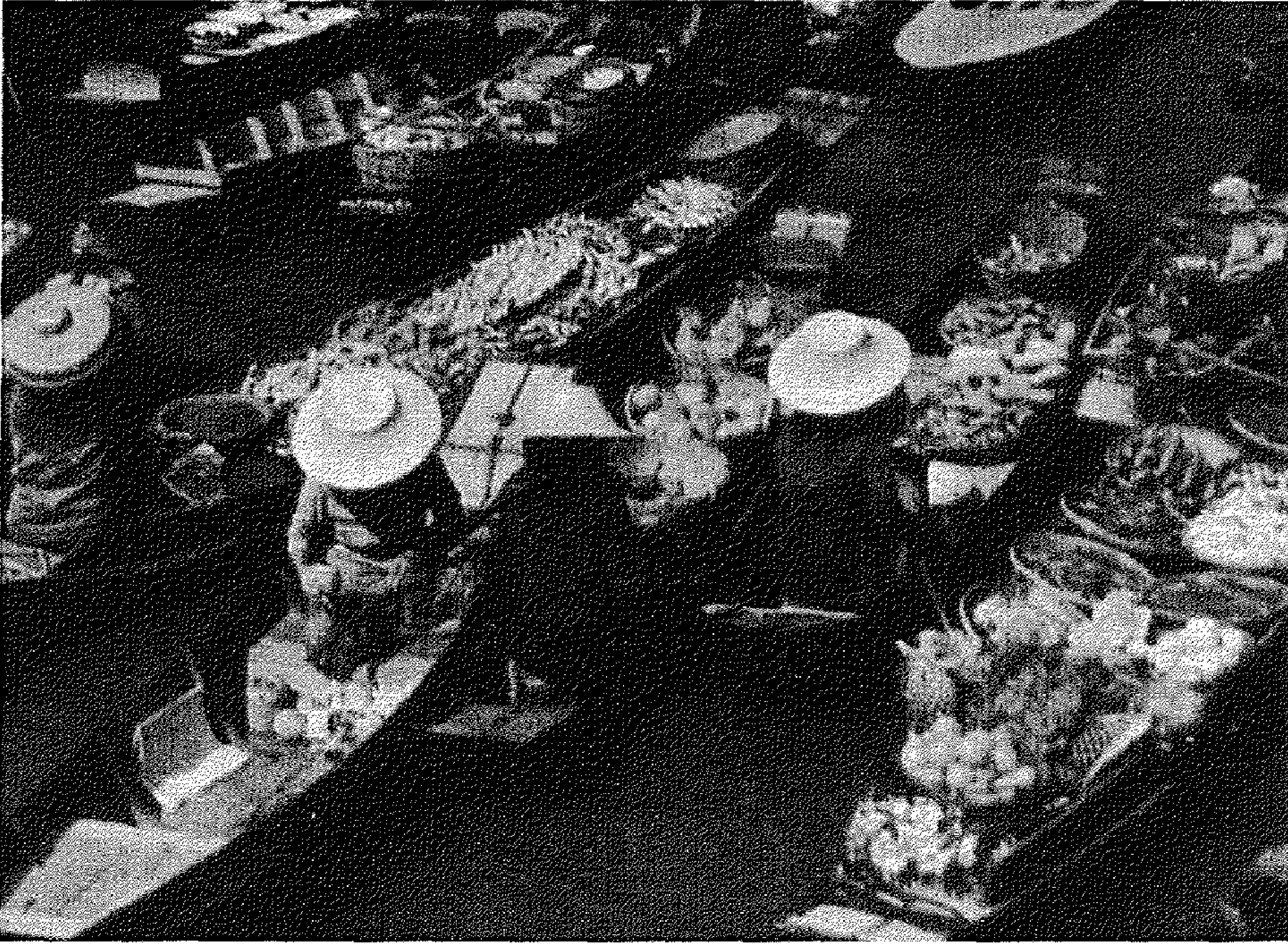
ويقع المسجد على شارع مزدحم اسمه (تانغ هانغ لوك) من محلة اسمها (هانغ ماه). وله أربع منارات شامخة اثنتان منها أكثر ارتفاعاً من اثنتين.

وقد كتبوا على مدخله الخارجي الذي يفضي إلى فناء مكشوف غير واسع جملة (الله أكبر)، وزينوه بوضع شعار المسلمين عليه وهو الهلال الذي تتوسطه نجمة وكل ذلك من الحديد فوق بوابة حديدية.

وانطلقنا مع شارع المسجد الذي أفضى بنا إلى ميدان تتفرع منه عدة شوارع وسط المدينة المزدحم وكله ذو منازل متلاصقة وحوانيت بعضها بجانب بعض. مما يعطي الانطباع بأنها كانت قلب مدينة هانوي التجاري القديم، ولا تزال مزدحمة حتى الآن ولا تزال الحوانيت فيه عامرة بالسلع إلا أنها غير فاخرة ولا غالية.

وقيل لي: إن حكومة فيتنام الشيوعية أبقت على كثير من التجار الذين كانوا يعملون في حوانيتهم، وجعلتهم بمثابة الوكلاء الذين يبيعون لها ما تريد بيعه، بدلا من أن تبيعه بوساطة محلات حكومية فيها موظفون حكوميون كما هو عليه الحال في الدول الشيوعية الأخرى. كما صارت

تغض الطرف عن التجارة التي يمارسها التجار من أنفسهم لأنفسهم، ولكنها لا تغض الطرف أبداً عن تحصيل الضرائب التي تفرضها عليهم الحكومة وهي كثيرة فيما قالوه.



السوق العائم بعيداً عن زحام المدينة

وقد صعدت إلى محل تجاري قديم يصعد إليه في طابق فوق الأرضي مع درج مكشوف واستمتعت برؤية المنطقة من مكان عال، والتقطت لها صوراً من ذلك المكان.

غداء السفير:

دعانا السفير المصري الأخ مصطفى شنيف إلى طعام الغداء في بيته ومثل هذه الدعوة لها معنى خاص، لأن أهل البلاد لا يحل طعامهم لكونهم ليسوا من أهل الكتاب الذين تحل ذبائحهم، ولا سيما أنهم من المشهورين بأنهم من أكلة لحم الكلاب لا يستخفون بذلك ولا يكتمونه، بل يظهرونه للناس.

ولهذا السبب لا يستطيع المرء منا أن يأكل في المطعم إلا إذا كان ذلك سمكاً مشوياً أو مقلياً قد تحقق من الزيت الذي قلي به، لئلا يكون من شحم الخنزير.

وقد تغدينا في بيت السفير وهو جيد واسع، ومؤثث تأثيثاً مناسباً. وكان الغداء منوعاً من الشواء إلى شيء من اللحم الصليق وهو المسلوق، والأرز والخضروات، ثم الحلوى، وأدينا صلاة الظهر مع السفير في بيته ثم جمعنا العصر معها.

جولة في مدينة هانوي:

كانت الجولة على سيارة السياحة التي استأجرناها غير أن سائقها لا يعرف غير لغته ولم يكن في مكتب السياحة من يعرف الإنكليزية لذا أعطتنا السفارة المصرية كاتبة فيها من أهل البلاد تعرف الإنكليزية، وهي فيتنامية أصيلة ضئيلة الجسم، قصيرة القامة، إلا أنها ذكية بل تتوقد ذكاء، وأما مظهرها فإنها كما كان يقال فيمن يكون مظهرها ليس على ما يراد من الجمال، إنها (مستورة) والستر الذي يعني ستر الوجه والكفين بعيد عنها، وما عدا ذلك من جسمها فإنه مستور ما عدا رأسها.

واسمها (فان) وهذا اسمها الأول أي الخاص واسمها الكامل هو (انغوين نغوك فان)، وميزتها

أنها تعرف الإنكليزية ومثقفة ثقافة عامة جيدة.

بدأت الجولة في السوق الذي كنا رأينا بعضه، ولكننا وقفنا عند بائعات خضروات وبيض من أجل رؤية القبعات الفيتنامية الأصيلة وتصويرها فكلمتهن مستأذنة بالتصوير فلم يمانعن.

ثم مررنا بقصر الملك الذي هو ملك فيتنام قبل الشيوعية وقد بني عام ١٨٨٥م، ولم ندخله لأننا نريد الإطلاع على أشياء كثيرة أهم فيما بقي من نهار هذا ا ليوم.

متحف هوشي منه:

هو متحف ذو مبنى ضخم مداخله وأبهاؤه أكبر من حقيقته ومن مستوى معروضاته، بناه الشعب الروسي هدية للشعب الفيتنامي كما كتبوا ذلك عليه وتم بناؤه في عام ١٩٨٠م حيث سلمه الروس إلى الفيتناميين.

واسمه (متحف هوشي منه) اسم على مسمى فقد أسس ليضم بالدرجة الأولى كل ما يتعلق بحياة زعيم فيتنام الذي قادها إلى النصر على الفرنسيين ثم على الأمريكيين وذلك منذ ولادته في عام ١٨٩٠م حتى وفاته في عام ١٩٦٩م.

وكان أول ما نوه به المتحف أن الزعيم (هوشي منه) لم يتزوج، وإنما كان زوجه الشعب الفيتنامي كله بمعنى أنه قد حمل همومه وقاده في الحروب المتواصلة التي خاضها حتى النصر. فشغله ذلك عن الزواج.

كان أول ما فعلوه بإسراف ظاهر وبتفاصيل لا داعي لها هو أن عرضوا بالصور مختلف مراحل حياته منذ أن كان طفلا حتى أصبح شاباً ثم شيخاً وتوفي، ما كان من ذلك مصوراً تصويراً شمسياً (فوتوغرافيا)، وما كان منه مرسوماً رسماً مستوحى من الأحداث التي رويت عنه أو حدثت له في حياته.

ولم يكن ذلك يستهويني كله، إنما كنت توقعت أن أجد في المتحف ما يلقي ضوءاً على تاريخ هذه البلاد الفيتنامية وماضيها البعيد والقريب.



فى فيتنام تكثر المساقط المائية

عاشق الأمة:

من الطريف الذي أوضحوه هنا أن اسم (هوشي منه) ليس هو اسم الزعيم الذي سماه به أبواه، وإنما هو اسم خلعه عليه أصحابه ورفاقه في الكفاح ضد المستعمرين عندما اكتشفوا مواهبه في ذلك وسموه به عام ١٩١٧م عندما كان أمثاله يحبون النساء أو غير النساء من الأشياء التي يحبها الشباب في العادة وانصرف حبه كله إلى الكفاح من أجل الأمة الفيتنامية فسموه محب الأمة، أو عاشق الأمة (هوشي منه).

مخلفات بسيطة:

عرضوا في هذا المتحف جميع ما كان يستعمله الزعيم في حياته من أشياء حتى مالا أهمية له. مثل كرسي رث كان يجلس عليه، وعصا غير معتنى بها.

وإن كان في ذلك أشياء مهمة توضح أدواته وأمثاله في الكفاح ضد سيطرة الأجانب على البلاد عندما بدأ ذلك، فقد عرضوا الأسلحة التي كان يستعملها وهي أسلحة بسيطة في باديء الأمر تألفت من بنادق قديمة وأسلحة يدوية.

والطريف في الأمر أنهم عرضوا المكتب الذي كان يجلس إليه بعد أن أصبح زعيماً فوجدناه من الخشب الخشن يتألف من مائدة خشبية وكراس خشبية خشنة مما يدل على الخشونة والتقشف التي كان عليها هو ورفقاؤه وبعدهم عن التنعم والترف، وما شبهت الكراسي التي في مكتبه إلا بالمقاعد في المقاهي الخشبية الفقيرة في بعض البلدان العربية قبل ربع قرن مثلا.

المعبد البوذي القديم:

جعلوا كل ما حول هذا المتحف حرماً له إلى مسافات واسعة، فنسقوا أشجاره ورصفوا ممراته ومماشيه حتى وصلوا إلى معبد بوذي صغير قديم ذكروا أن تاريخ بنائه لأول مرة يرقى إلى تسعمائة سنة إذ أسس في القرن الحادي عشر الميلادي.

وهو مرفوع عن الأرض بخشب، ولذلك يصعد إليه من درج، ورفع المعابد البوذية أمر متبع حتى إنهم كانوا يبنونها في العادة على قمة تلة أو جبل أو في أحضان جبل إذا لم يستطيعوا أن يصلوا إلى رأس الجبل. ويتكلفون لذلك صعوداً مرهقاً. وقد رأيت ذلك في أماكن عديدة من العالم الذي فيه اتباع لتلك الديانة البوذية أو كانت الديانة البوذية شائعة فيها من القديم مثل نيبال وتايلند وبورما.

مع أن هذا المعبد الذي نذكره هو صغير بل ويكاد يكون رمزياً خلاف المعروف من المعابد البوذية التي تتسم بالكبر والسعة. ما عدا القاعة الرئيسية التي يكون فيها تمثال كبير لبوذا يسجدون عنده ويتضرعون إليه، فتكون متوسطة أو صغيرة.

وكان عند المعبد في حديقة المتحف جمع من الأطفال يلعبون فالتفوا علينا يريدون التصوير عندما رأوني أصور المعبد فصورتهم.

الأطفال الأبطال:

قالت الدليلة وهي تتقد حماساً وتكاد تنفجر غيظاً على الأمريكيين الذين حاولوا إذلال الشعب الفيتنامي وقذفوه بأقوى أسلحة الدمار ـ كما قالت: إنها كانت صغيرة إبان الحرب مع الأمريكيين ولكنها تحفظ أنشودة تمجد أطفال فيتنام، وتذكر مقاومتهم العنيفة للأمريكيين.

وقالت: لقد حاربت النساء كما حارب الرجال وحارب الأطفال حرب الأبطال. وقالت: إن أطفالنا يختلفون عن أطفال الأمريكيين المدللين.

وأنشدت أغنية حماسية باللغة الفيتنامية، قلت لها بالعربية عندما سمعتها تنشدها ما قلته في أمثالها ولم تفهمه وهو أن (تكذب ولا تخاف) لأنني لا أستطيع أن أعرف كذبها أو غلطها ولكنها ترجمت المهم من تلك الأنشودة التي تقول:

أطفالنا أبطال، ونساؤنا جنود وفواكهنا بنادق، ونحلنا سيوف، وفسرت ذلك بأن الأطفال قد ربوا على أن يرصدوا حركات الأمريكيين وتصرفاتهم ويخبروا بها القيادة، والنساء جنود، لأنهن يقاتلن ويترصدن للأمريكيين فيوقعن بهم من حيث لا يحتسبون، وأما الفواكه فإنها بنادق لأن الجنود يعيشون عليها إذا لم يجدوا طعاماً فتكفيهم غذاء، والنحل قنابل لأنه يلسع الجنود الأمريكيين ويمنعهم من الولوج في بعض الأماكن.

المتحف الحربي:

ذهبنا إليه مخترقين شوارع هانوي الواسعة

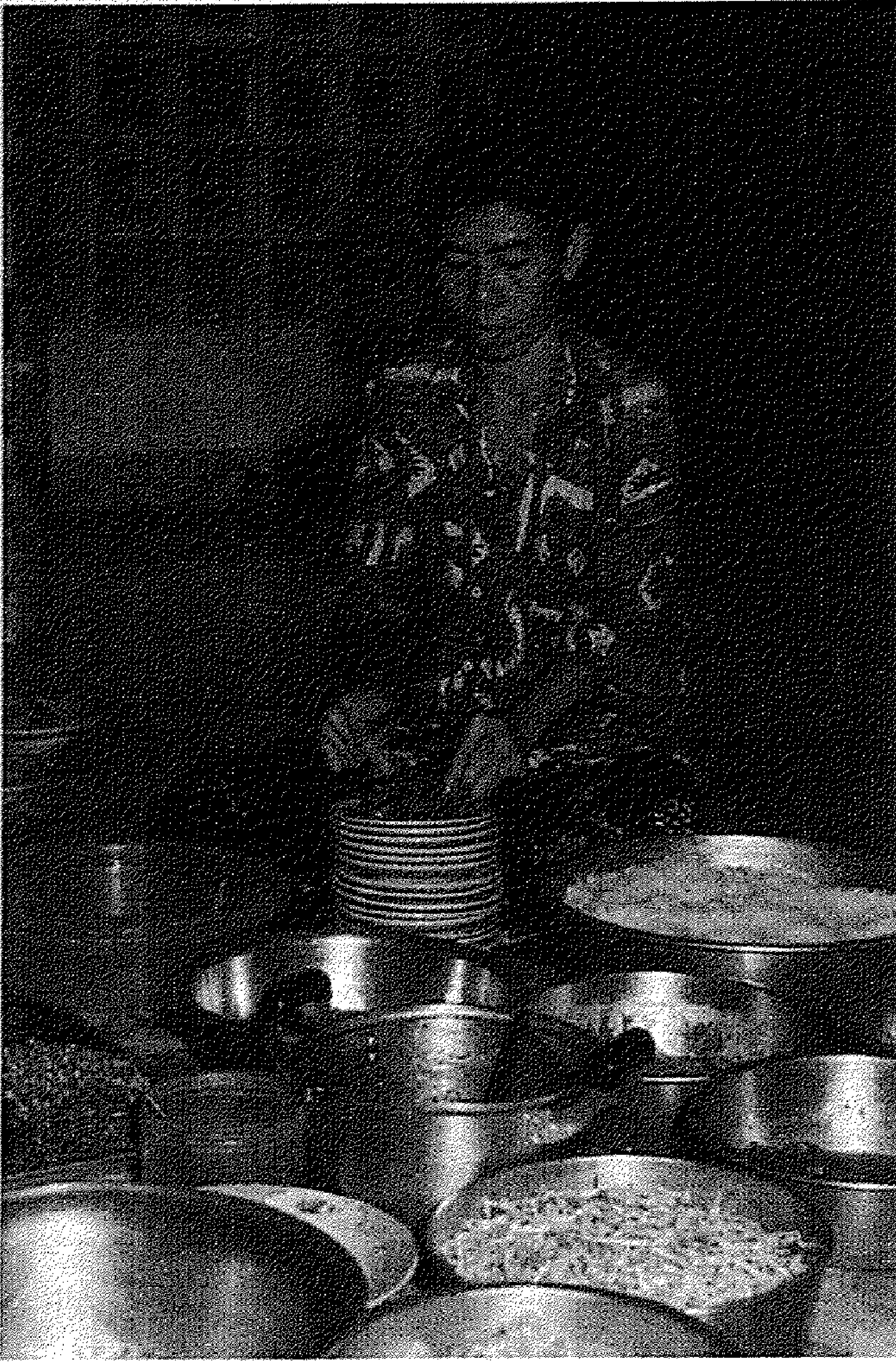
التي ترصع أرصفتها بائعات البضائع البسيطة من الأطعمة القليلة، والفواكه المحلية الرخيصة والبضائع الأرخص والأقل جودة. وإن كان ذلك أقل مما عليه الحال في البلدان غير الشيوعية مثل تايلند حتى بورما.

فوصلنا المتحف الحربي، وكان أهم منظر في ساحته منظر حطام طائرة أمريكية من قاذفات القنابل الضخمة طراز ٥٢ ب قد أسقطها الفيتناميون فوق هانوي لأنها كانت محملة بالقنابل التي اعتادت هذه الطائرات القاءها على فيتنام.

من الطريف في الأمر أن حطام الطائرة الأمريكية الضخمة قد جمعوه وكوموه حتى غدا كحطام بيت كبير، ثم وضعوا فوقه طائرة صغيرة من صنع روسي. هي التي أسقطتها عندما هاجمت هذه الطائرات الضخمة مدينة هانوي في المدة ما بين ١٨ إلى ٢٩ ديسمبر عام ١٩٧٢م.

وتم إسقاط هذه الطائرة التي نرى حطامها الآن بصاروخ محمول على طائرة روسية حربية لا يتعدى حجمها بالمقارنة الى حجم هذه الطائرة الأمريكية الكبيرة العشر منه أي ١٠٪.

وما شَبَّهْت تربع الطائرة الروسية النفاثة الصغيرة وهي سليمة فوق حطام هذه الطائرة الأمريكية العملاقة ٥٢ب، إلا بالمنزلة الرفيعة التي صارت في نفوس العالم لهؤلاء الفيتناميين الصغار الأجسام، الكبار القلوب عندما قهروا الأمريكيين ذوي الأجسام الكبيرة والصناعات الضخمةالتي



جانب من ماكولاتهم

من أهمها أكبر القنابل الموجودة في العالم كله في ذلك التاريخ.

وقد عرضوا غير بعيد من المكان مدفعاً فرنسياً ضخماً كانوا قد غنموه من قلعة (ديان بيان فو) بعد أن انتصر الفيتناميون على الفرنسيين في المعركة البطولية التى دارت حول القلعة الضخمة المذكورة عندما تحصن بها الفرنسيون ومعهم الأسلحة الفتاكة التي لم تغن عنهم شيئاً إزاء عزيمة الشعب الفيتنامي، وتصميمه على النصر وتقبله للتضحيات الجسام التي لاتبد من القبول بها لمبتغى النصر في

الحروب. وكان استسلام الفرنسيين لهم في عام ١٩٥٤م.

وكان يسير معنا في المتحف ضابطان فيتناميان من الشبان عليهما لباس نظيف جميل، عندما عرفا أننا من العرب سلما وأحفيا السلام ثم تطوعا بتعريفنا على هذه المعروضات المهمة التي تدل على أمجادهم البطولية.

وقد طرأ على ذهني وأنا أرى هذه الشواهد على بطولة هذا الشعب بيت عربي قديم كان العرب القدماء ينشدونه في مثل هذه الحالة وهو:

هذي المكارم لا قعبان من لبن

شيبا بماء فعادا ـ بعد ـ أبوالا

والقعبان: تثنية قعب وهو الإناء الذي يشرب به اللبن ونحوه من السائلات، وشيبا بماء: خلطا بالماء كما عرضوا بجانب ذلك قنابل أمريكية ضخمة بعضها طوله أكثر من مترين من التي لم تنفجر. وفي النهاية التقطنا صوراً تذكارية مع الضابطين الفيتناميين اللذين كان أحدهما يحمل ٤ نجوم والثاني نجمتين.

وبجانب المتحف برج قديم يسمونه برج العلم يلفت النظر بطراز بنائه القديم ذكروا أنه مبني منذ القرن التاسع الميلادي، ولم يكن برجاً للعلم عندما بني وإنما كان لغرض المراقبة ولكنهم حولوه إلى برج رفع عليه العلم الوطني بعد ذلك.

وعليه مكتوب جملة كانت شائعة عندهم وهي: (إذا لم تر برج العلم لم تزر هانوي)، أي كأنما أنت لم تر شيئاً في هانوي فأنت كمن لم يزرها. وقد قلل من أهميته في نفوسنا أنه كان قد تهدم بفعل القنابل الأمريكية، ثم أعادوا بناءه الحالي على طراز بنائه القديم.

المدينة الخضراء:

واصلنا الجولة في هانوي فذهبنا إلى مناطق بقلب المدينة التجاري فكان أكثر ما فيها الحدائق ذات الأشجار الباسقة وفيها بحيرات متعددة تكون عليها الميادين وترفرف على حواشيها أشجار من أشجار الظل المغروسة في نظام بديع، وقد سلكنا شارعاً جيداً يفصل بين بحيرتين اثنتين من هذه البحيرات الواقعة في المدينة، وعلى ذكر البحيرات والمياه يحسن أن ننوه بأن في هانوي أربعة أنهار.

البحيرة الغربية:

وهذه البحيرة واسعة قد جملوا حواشيها التي تلي المدينة أو على الأدق تلي القسم الذي وقفنا به من جهة المدينة عندها معبد بوذي معتنى به، ومطعم يوصل إليه بطريق مدفون في الماء التقطنا له عدة صور.

عود الى وسط المدينة:

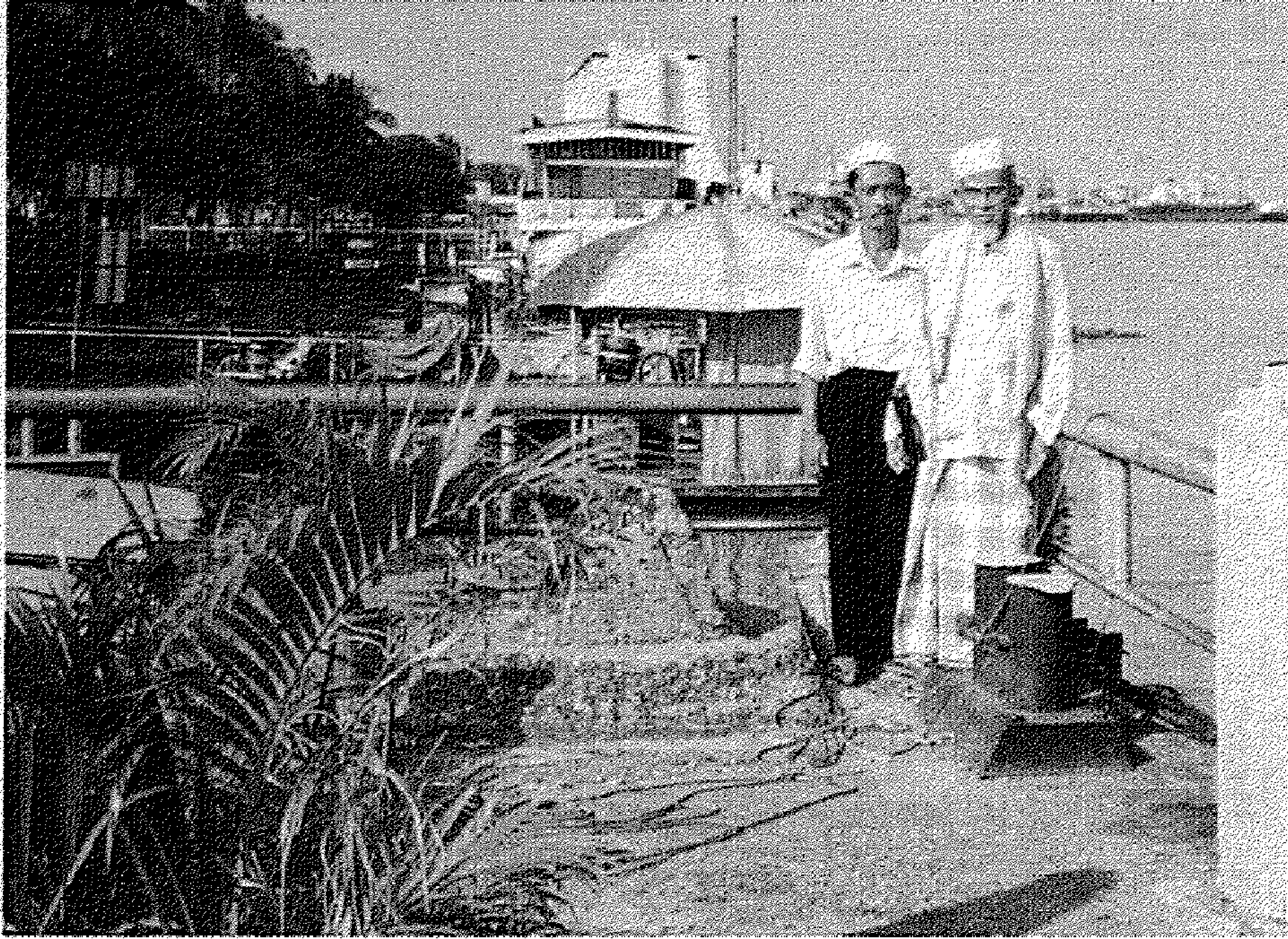
من غرب هانوي حيث البحيرة الغربية عدنا إلى وسط هانوي القديم حيث المنازل المتلاصقة والحوانيت المتراصة، ومن طريف ما رأيتهم صنعوا في الحوانيت أن جعلوا باعة كل صنف من البضائع مجتمعين أي في حوانيت بعضهم قريب من بعض.

فمثلا: هناك حوانيت تبيع القدور وأواني طبخ الطعام وإعداده، ومجموعة أخرى من الحوانيت وهي (الدكاكين) لا تبيع إلا الآثاث الخشبي وهي مجتمعة في سوق واحد.

وهكذا أكثر السلع وحتى النظارات رأيناهم جمعوا كل باعة النظارات في المدينة في حوانيت متجاورة، وقد أخبرتنا موظفة السفارة (فان) أن الحوانيت هذه خاصة لأهلها أي ليست مملوكة للدولة ومع ذلك لم نعدم في أي مكان حللناه هنا أن نرى ما سميته قديماً بحوانيت الأكتاف وهي أن يكون مع البائع بضاعة في وعائين معلقين بخشبة

يضعـهـا على كتـفيـه ويسـيـر يبـتـغي من يشتري منه.

وهؤلاء كلهم من البـاعـة المتجولين وغالباً مـا تكون بضـائعـهم هنا من الفاكهة التي تنتجـهـا هذه البـلاد، أو من الأطعمة البسيطة أو من البـضـائع الرخيصة.



الشيخ محمد يوسف ومعه أحد المسلمين

وأكثـر مـا ترى حـوانيت الأكتـاف هذه مع النساء، فعمل النساء في فيتنام شائع مثلها في ذلك مثل تايلند وسائر البلاد الصفراء أو التي تسمى بذلك نسبة إلى ما زعم بأنه اللون الأصفر الذي يميز أهلها.

ومظاهر الفقر والعوز كثيرة ظاهرة، وان كانت مظاهر العزة والترفع واضحة مثل قلة التسول، أو متابعة الغريب طمعاً فيما قد ينال منه، وحتى الباعة الصغار لم أرهم يحاولون أن يأخذوا من الغريب ثمناً أكثر من المعتاد لبضائعهم.

وأكثر وسائل المواصلات هنا هي الدراجات الهوائية المعتادة وهناك الدراجات النارية ولكن بقلة. وإنما الكثرة الكاثرة منها في جنوب البلاد وبخاصة في مدينة (هوشي منه) عاصمة الجنوب كما تقدم.

مزيد من البحيرات:

مررنا ببحيرة أخرى في المدينة عليها البيوت كما تكون على شاطئ النهر وقد رصفوا الشارع الذي يليها وزينوه بالأشجار الخضر. ثم ذهبنا إلى بحيرة أخرى اسمها (هو كوف كين) وقفنا عندها والتقطنا صورا جميلة على شاطئها.

ميدان المصارعة ضد الأعداء:

لم نتوقف عند هذه البحيرات الجميلة التي تزين المدينة، وإنما أسرعنا بالذهاب إلى ميدان مهم في المدينة اسمه (قوان تونغ هوان كيا) يعني ميدان المصارعة ضد الأعداء، ولا شك بأن الشخص الذي في ذهنه صبر هؤلاء الفيتناميين على الحروب ومصابرتهم لقراع الخطوب حتى لبثوا في حروب متصلة مدة تزيد على أربعين عاماً لم يتوقفوا فيها إلا عندما انتصروا لا يعجب إذا رأى ميداناً مهماً في عاصمتهم اسمه (ميدان المصارعة) وإن كانت ضآلة أجسامهم وضعفها لا تمكنهم من ادعاء البطولات في حلبات رياضة

المصارعة في العالم فقد اكتسبوا البطولات الجمة في ميادين المصارعات الحقيقية.

وقالت المرافقة (فان): إن هذا الميدان وما حوله يعتبر (كبد) هانوي بمعنى قلبها المهم فيها وهو مزدحم جداً بالمشاة وراكبي الدراجات، وأما السيارات فإنها موجودة ولكن على قلة.

حديقة الحيوان:

تركنا (كبد) هانوي متوجهين إلى حديقة الحيوان وقد كتب عليها ذلك فوجدناها كانت حديقة للحيوان ولكنهم أنشأوا حديقة حيوان كبيرة في مكان بعيد من المدينة نقلوا إليها الحيوان وأبقوا فيها عدداً قليلا من الحيوان المعروف ولكنهم جعلوها بمثابة المنتزه لمن يريد أن يخلو مع أسرته وبنيه فغرسوا أشجاراً متعددة جديدة فيها إضافة إلى الأشجار الباسقة الموجودة منذ عهد قديم.

دفعنا رسم دخول الحديقة (٢٠٠) دونغ للشخص الواحد ويساوي ذلك قرشاً سعوديا لأن الدولار بخمسة عشر ألف دونغ كما سبق، ولم نطل اللبث في هذه الحديقة وهي تصلح للجلوس الطويل، وإنما وقفنا على شاطئ بحيرة مقابلة لمدخل الحديقة من جهة الشمال الشرقي اسمها (هالي) وهذا اسم لها فرنسي، أما اسمها عند الفيتناميين فهو (ثوتون قوانغ).

إلى النهر الكبير:

طلبت أن أرى النهر الكبير الذي رأيته عندما دخلنا المدينة وهو على مدخل مدينة هانوي لمن يقدم من جهة المطار.

وأوقفنا السيارة جانباً فوق الجسر الكبير الذي أقاموه عليه من أجل التقاط صورة له من فوق الجسر. فأسرع شرطي مرور لمتابعة السائق على ذلك يريد معاقبته، ولكن المرافقة أفهمته أننا سياح من العرب نريد أن نلتقط صورة نادرة، فتركه.

واسم هذا النهر الكبير (سونغ هونغ) بمعنى النهر العكر، وكنت سميته النهر الكبير وهو واسع المجرى، جم المياه، ولكن مياهه حمراء مما يعطيه بالفعل لقب النهر العكر. وهو يأتي من الصين إلى هذه البلاد.

أما الجسر الكبير الذي أقيم عليه وهو حديدي ضخم واسع فإنه حديث لم يكتمل بناؤه إلا في عام ١٩٧٨م، وهناك على النهر جسر قديم بناه الفرنسيون إبان استعمارهم للبلاد ويقع جهة الشمال من هذا الجسر الكبير، وعلى ذكر النهر أقول: إن البحر يقع على بعد ١٥٠ كيلومترا من هانوي.

وعدنا إلى الفندق مع غروب الشمس في حوالي الخامسة والنصف فأعطيت السائق والكاتبة من الحلوان (البقشيش) ما أرضاهما حتى انحنيا بالتحية وبالغا في الانحناء.

يفضلون لحوم الكلاب:

سمعنا من السفير المصري وغيره من الإخوة المسلمين أنهم يلاقون مشقة في الحصول على اللحم الحلال وأنه من الصعب على المسلم أن يأكل في المطاعم الفيتنامية الوطنية وذلك لكونهم لا تحل ذبيحتهم للمسلم ولكونهم يأكلون لحم الكلاب بكثرة.

والليلة زارنا الأخ (ماهر فؤاد مكي) من السفارة المصرية من أجل البحث في كيفية تقديم المساعدة للمسجد ووسائل تشجيع الدعوة الإسلامية من دون أن يكون للسفارات دور ظاهر، لئلا تتهمها حكومة فيتنام بالتدخل في الشئون

الداخلية، والاتصال بطائفة من المواطنين من غير طريق الحكومة.

وقال الأخ ماهر: إننا قد اعتدنا على أن نشتري عجلا صغيراً نتقاسم لحمه فيما بيننا أو يذبح الواحد لنفسه عنزاً ويضع لحمها في الثلاجة.

وذلك لكون الماعز هو الوحيد من الغنم الموجود للبيع في هذه البلاد وأما الضأن فإنهم لا يبيعونها ولم يكونوا يعرفونها ولا يأكلون لحومها، وإن كانت موجودة على قلة ويشتريها الأجانب أمثالنا. وإنما الشائع عندهم أكل الخنزير وأكل السمك، وهناك نوع من اللحم يفضلونه وهو أغلى اللحوم عندهم وهو لحم الكلاب. ولكنه ليس لحم أي كلب وإنما هنالك كلاب قصيرة الأرجل تسمن بسرعة يربونها للحم، أي من أجل ذبحها وأكل لحمها، وتباع علناً في السوق بثمن غال، أما البقر فإنه موجود ولكنه قليل، وتبيعه الحكومة، ولكنه ليس متوفراً في كل آن، كما أنه لم يذبح ذبحاً شرعياً مع أن ذبح الوثني ولو كان ظاهره شرعياً فإنه لا يجوز أكله، لأنه ليس من أهل الكتاب. وذكر أنهم يشترون الخروف بسعر ٩ آلاف دونغ للكيلو وهو حي لأنهم هكذا يبيعونها وزناً وهي حية و٩ آلاف هي أقل قليلا من ثلثي دولار أمريكي فيساوي الخروف في المتوسط حياً ١٥٠ ألف دونغ وذلك حوالي عشرة دولارات.

وأما لحم البقر فإنهم يشترون الكيلو منه بخمسة آلاف دونغ من الأشخاص الذين يبيعونه لأنفسهم وذلك يساوي أقل من نصف دولار أما اللحم الذي تبيعه الحكومة من لحم البقر فإن سعره أقل من ذلك بمقدار الثلث.

ومع هذا الرخص المتناهي للحوم بالنسبة إلى الأجنبي الذي يقدم معه بعملة صعبة فإنه غال جداً بالنسبة إلى المواطنين لقلة أجورهم وضعف دخولهم وأغلبهم لا يستطيع الحصول على شيء من اللحم، وإنما الوجبة الرئيسية المعتادة لهم هي الأرز المأدوم بشحم الخنزير.. والأرز رخيص جداً عندهم كما سبق. ويكفي الشخص الواحد من هذه الوجبة الرخيصة حوالي (١٠٠٠) دونغ ويساوي ذلك ربع ريال سعودي.

والسمك متوافر ورخيص وذلك لكثرة البرك والأنهار والبحيرات، إضافة إلى ما يصطادونه من البحار التي تقع عليها بلادهم وهي شواطئ طويلة واسعة غنية بالأسماك.

وإذا تجاوزنا اللحم والحديث عن الطعام عندهم نجد أنهم شعب غير متدين، وليست له مثل مرعية متوارثة، وما كان من تأثير الدين لديهم قد قضت عليه أو على أكثره الدعاية الإلحادية الشيوعية.

ولذلك يعجب المرء من صبرهم على متاعب الحياة التي من أكثرها ظهوراً ضيق المنازل وقلة الدخول، وقد يساعد على ذلك انغلاق فرضته عليهم الحكومة الشيوعية فلا يصل إليهم تلفاز أجنبي ولا صحف أجنبية. ولا يسمح لأحد أن يسافر إلى خارج البلاد إلا إذا كان في مهمة حكومية.

مغادرة هانوي:

دفعنا لفندق (هاوبنه) أجرته بالدولار ونقص ذلك فرضوا بأن ندفع التكملة بالدونغ الذي هو عملتهم المحلية. وقد دفع كل واحد منا ٦٩ دولاراً أجرة غرفة منفردة لليلتين مع فطور ليومين ووجبة عشاء واحدة من السمك والإربيان، وهذا منتهى

الرخص، والأهم من ذلك لدينا حسن معاملة القائمين على الفندق وسهولة الدخول والخروج عندهم.

وغادرنا فندقنا (فندق هاو بنه) الساعة السابعة على سيارة أجرة كانت إدارة الفندق قد أعدتها لنا البارحة وهي سيارة صغيرة لا بأس بها.. فكان الزحام الشديد في الشوارع في هذه الساعة المبكرة من الصباح، وذلك لكون العمل يبدأ عندهم مبكراً مثلما أنهم ينامون في العادة مبكرين.

ومن أكثر الناس ظهوراً في هذه الساعة الفلاحون الذين معهم ما جلبوه من خضار وفاكهة محلية محدودة النوع والمقدار وإنما الخضار كثير كالقرع الذي هو الدباء والفاصوليا والكرنب والخيار والطماطم. وأغلب الناس هنا من الفلاحين والقرويين عليهم القبعات الفيتنامية العريضة المتميزة عن غيرها من القبعات، ولكن مظاهر الجميع تدل على الفقر والعوز يظهر ذلك في ثيابهم وما يحملونه كما تظهره علامات نقص التغذية أو سوؤها على وجوههم.

الجوازات في الرصيف:

وصلنا المطار فوجدنا مكتباً للجوازات على رصيف مبنى المطار يمر به الراكب المسافر للخارج قبل أن يدخل مبنى المطار ويملأ استمارات موجودة باللغة الفيتنامية والإنكليزية وفعلنا ذلك، ولكن الضابط نظر إلى جوازاتنا وسألنا لماذا لم تسجلوا جوازاتكم في الشرطة، إنه مكتوب عليها أنه يجب عليكم أن تفعلوا ذلك خلال ثلاثة أيام، فأجبناه صادقين بأننا لم نفطن للكتابة، وأنه لم يقل لنا أحد ذلك صراحة، فأدخلنا إلى ضابط أعلى رتبة منه في داخل المكتب، ثم حضر ضابط كبير، وقال: إننا سنأخذ ما ذكرتموه من عدم معرفتكم بوجوب تسجيل جوازيكم بعين الاعتبار، ونرجو ألا يتكرر منكم ذلك إن قدر لكم أن تعودوا إلى فيتنام فشكرنا له قوله وفعله.

قال: وجوازك السياسي ليس عليه غرامة، وأما جواز رفيقك وهو (علي عيسى) الذي يحمل جواز سفر تايلندي معتاد فإنه يجب أن يدفع خمسة عشر دولاراً أمريكية غرامة عدم التسجيل.

دفعنا الغرامة وتجاوزنا مكتب الجوازات هذا العجيب، ثم دخلنا مع مدخل عليه موظف يأخذ رسماً على كل حقيبة تدخل إلى المطار من حقائب الركاب وهو رسم قليل إلا أنه عافاني منه قائلا إن الجواز (الدبلوماسي) ليس عليه رسم.

وتجاوزناه داخلين إلى داخل مبنى المطار فوجدنا أنفسنا في مكتب في قاعة الترحيل عليه امرأة دققت في الجوازات والحقائب وأخذت خمسة دولارات على كل جواز وذلك رسم مغادرة المطار الموجودة في أكثر المطارات للرحلات العالمية.

ثم أخذنا حقائبنا إلى موظف أدخلها فاحصاً آلياً وأحالها إلى موظف الترحيل المعتاد الذي قطع التذكرة فدخلنا إلى قاعة المغادرة مارين بموظف الجوازات الذي يختم عليها.

وكانت هذه إجراءات صعبة لم نر مثلها عندما دخلنا فيتنام عن طريق مطار مدينة هوشي منه (سايقون) قديماً في جنوب فيتنام، ثم غادرنا هانوي قاصدين مدينة (فينتيان) عاصمة لاوس والحديث عن لاوس ومن بعدها كمبوديا في سلسة أخرى عنوانها (المسلمون في لاوس وكمبوديا).. والله المستعان.

إله العرش

شـــعر:
أحمد صدوق صافي
– الكويت –

إله العرش يا قصدي وسؤلي!
ويا نجواي في قول وفعل!
هرعتُ إليك كي يصفو جناني
وحار الخلق في هم وشغل
تداعوا للصغائر واستبدت
بهم أهواؤهم في كل حقل
وجئتُ إليك لا أرجو سؤالا
سوى قربي من النور الأجل
ملأت خزائن الأكوان خيراً
يراه كل ذي قلب وعقل
هناك .. هناك؛ آيات عجاب
لتبهرُ في التأمُّل والتجلي
هناك .. هناك يأخذني انعتاقي
لآفاق من الألق المُطل
ولي في العالم الأسمى شعاع
به أسمو إلى نسبي وأصلي
وقفتُ ببابه طمعاً وشوقاً
لعلي أرتقي حباً .. لعلي
وما أنا بالمُضيع فضل قُرب
فأقنع من وصالي بالأقل
أبوحُ لخالقي والبوح سترٌ
فيا غيمات رحمته أظلّي
وما ذُقْتُ الهناءة في انشغال
لهذا القلب عن قُرب ووصل
وما أجني سوى عمر جديب
إذا خفت اليقينُ ، وسوء فأل
إذا ما شدَّت الدنيا زمامي
جنحت إلى فراغ دون حل
سراب ما نُنادي إنْ بقينا
كيان الخلق دون الحق نُعلي
إلهي قد قصدت رضاك فارحمْ
ضعيفاً ناء في الدنيا بحمْل
ولا تكل العباد إلى عباد
فأنت اليمن .. أنت الخير تُملي

الجدل العلمي القائم على قواعد التقصي والتحقيق والدراسة بعيداً عن هوى النفس، والراغب في اظهار الحقيقة جدل مرغوب فيه، لأنه يضيف علماً، ويؤسس فضلا.

لكل هذا يجد القارئ ان مجلة المنهل قد فتحت صفحاتها لأصحاب الجدل العالم، الذكي، اللماح..

والمنهل يشكر الجميع على تواصله العلمي.

فضلا عن .. ودليل التصحيح أولا

قال أبو عبد الرحمن: اطلعت على مجلة المنهل العدد ٥٤٢ المجلد ٥٩ العام ٦٣ الربيعان عام ١٤١٨هـ، فوجدت في ص ٤ ـ ٥ تعليقاً لأخ كريم رمز لاسمه بأبي عبد الرحمن السالمي، وقال إنه من مصر يتعقب بحثي في تخطئة قولهم: «لا يملك درهماً فضلا عن دينار».. وقبل المناقشة للأخ الكريم أحب أن أسوق تحقيقي لهذه المسألة بكتابي «مبادىء في نظرية الشعر والجمال» المطبوع بنادي حائل الأدبي هذا العام.. قلت: «وفي كتابي هذا عن النظرية الشعرية والجمالية أوردت قول أحمد عبد المعطي حجازي: «كما تمدنا الحضرة الصوفية».. فعلقت بقولي: **«هذا التعبير دليل على تغلغل قدسية التصوف في نفوس المثقفين فضلا عن العامة».**

ولم أتنبه إلى أعجمية هذا الأسلوب، فكتب أخي الهدلق يقول: **«قال العدناني:** «ويقولون: فلان لا يملك ديناراً فضلا عن فلس.. والصواب: فلان لا يملك فلساً فضلا عن دينار؛ لأن كلمة (فضلا) تستعمل في موضع يستبعد فيه الأدنى الذي يجب أن يأتي قبلها؛ لذا تقع (فضلا) بين كلامين متغايري المعنى، وأكثر استعمالها بعد نفي كما يقول القطب الشيرازي.

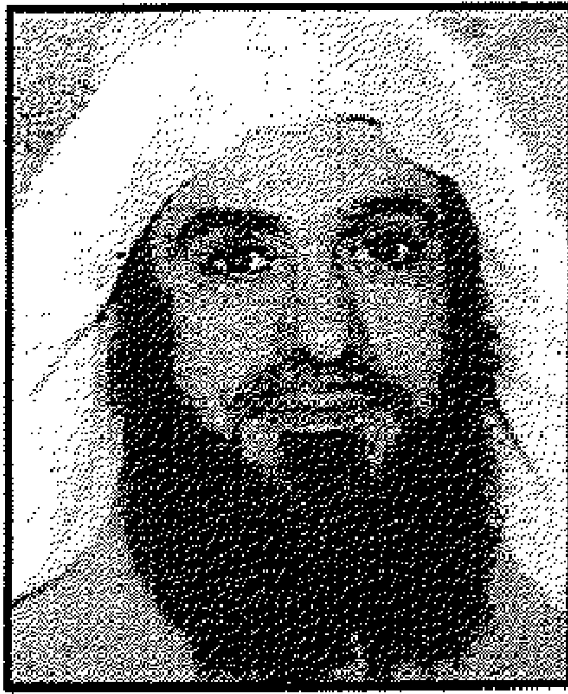
وعندما نقول: فلان لا يملك كوخاً فضلا عن قصر: نعني أنه لا يملك كوخاً ولا قصراً، وعدم ملكه للقصر أولى بالانتفاء، فكأننا قلنا: لا يملك كوخاً فكيف يملك قصراً؟

قال أبو حيان التوحيدي: «لم أظفر بنص على أن مثل هذا التركيب من كلام العرب».

ولست أرى بأساً باستعمال هذا التركيب، وإن كنت أرى أن قولنا: «لا يملك فلساً بَلْه ديناراً» أبلغ»[١].

فصحة العبارة إذن: «هذا التعبير دليل على تغلغل قدسية التصوف في نفوس العامة فضلا عن المثقفين»اهـ.

قال أبو عبد الرحمن: وحرصت أن أتمحل لتعبيري بوجه يخرجه



بقلم الاستاذ:
أبو عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري
ـ الرياض ـ

من اللكنة حفظاً لسمعتي العلمية، ولكنني وجدت العبارة فاسدة على كل تقدير، وليس العيب أن الأدنى لم يرد قبلها لنفي الأعلى الذي يأتي بعدها، فنقول كما **قال العدناني:** «لست أرى بأساً باستعمال هذا التركيب».

وليس الخلل في كون هذا التركيب لم يسمع من العرب، فقد برهنت في مباحثي أن التركيب عمل عقلي لا نقلي يشترط سماعه، وإنما المشترط صحة المفردة لغة، وصحة التركيب نحواً وبلاغة.. ولو كان وجه الخلل ذلك؛ لأخذنا استقراء أبي حيان على البال.

وإنما الخلل في كون كلمة «فضلا» لا تنتج لغة هذا المعنى الذي فهموه من هذا التركيب الأعجمي.. أي لا تنتج نفي الأعلى الذي بعدها، فقد استقرأت معانيها في المعجم، فلم أجد من بينها هذا النفي.. لهذا أعتبر هذا التركيب عامياً لا يليق بالفصحاء، ولهذا أيضاً ألغيت عبارتي في التعليق على حجازي، ووضعت بديلا خيراً منها.

ولقد بيَّن ابن فارس أن الأصل في مادة الفاء والضاد واللام زيادة في شيء[٢].

وقال الراغب: «الفضل الزيادة عن الاقتصار، وذلك ضربان: محمود كفضل العلم والحلم، ومذموم كفضل الغضب على ما يجب أن يكون عليه.. والفضل في المحمود أكثر استعمالا، والفضول في المذموم.

والفضل إذا استعمل لزيادة أحد الشيئين على الآخر فعلى ثلاثة أضرب: فضل من حيث الجنس كفضل جنس الحيوان على جنس النبات.

وفضل من حيث النوع كفضل الإنسان على غيره من الحيوان.. وعلى هذا النحو قوله سبحانه وتعالى: {ولقد كرمنا بني آدم} (سورة الإسراء/٧٠) إلى قوله: «تفضيلا».

وفضل من حيث الذات كفضل رجل على آخر.. فالأولان جوهريان لا سبيل للناقص فيهما أن يزيل نقصه، وأن يستفيد الفضل كالفرس والحمار.. لا يمكنهما أن يكتسبا الفضيلة التي خص بها الإنسان.. والفضل الثالث قد يكون عرضياً فيوجد السبيل على اكتسابه، ومن هذا النوع التفضيل المذكور في قوله سبحانه وتعالى: {والله فَضَّل بعضكم على بعض في الرزق} (سورة النحل/٧١)، وقوله سبحانه: {لتبتغوا فضلا من ربكم} (سورة الإسراء/١٢).. يعني: المال وما يكتسب»[٣].

قال أبو عبد الرحمن: الأصل في المادة الزيادة المحمودة، ولهذا أخذ من المادة الوصف للمدح كفاضل، والتسمية للتيمن كالفضل، ثم توسع بها لكل زيادة وإن كانت غير محمودة.والبقية تسمى فضلة وهي الأقل، وإنما روعي في تسميتها أنها بقيت زيادة عن الحاجة.

ونقل الزبيدي عن التوقيف للمناوي أن الفضل ابتداء إحسان بلا علة[٤].

قال أبو عبد الرحمن هذا الاصطلاح مبني على الحقيقة اللغوية، إذ الأصل الزيادة المحمودة.. وما زاد عن حاجة الكريم يتصدق به، فسمي فضلا؛ لأنه زيادة، ولأنه زيادة ممدوحة.

وقال الزبيدي: «والفضولي بالضم المشتغل بما لا يعنيه.. وقال الراغب: الفضول جمع الفضل.. وقد استعمل الجمع استعمال المفرد فيما لا خير فيه؛ ولهذا نسب إليه على لفظه، فقيل: فضولي لمن يشتغل بما لا يعنيه؛ لأنه جعل علماً على نوع من الكلام فنزل منزلة المفرد.. والفضولي في عرف الفقهاء من ليس بمالك ولا وكيل ولا ولي؟.. **زاد الصاغاني:** وفتح الفاء منه خطأ»[٥].

قال أبو عبد الرحمن: نلخص من معاني فضل دورانها على الزيادة، والبقية.. وقولهم: «فلان لا يملك درهماً فضلا عن دينار»: لا ينطبق على معنى فضل لغة؛ لأنك إن جعلت فضلا بمعنى الزيادة كان المعنى: فلان لا يملك درهماً زيادة عن

دينار.. وليس معنى الجملة نفي ملكه للدرهم والدينار معاً، بل المراد نفي ملكه للدرهم تنصيصاً، ونفي ملكه للدينار بالأولوية.

وإن جعلت فضلا بمعنى البقية كان المعنى: فلان لا يملك درهماً بقية عن دينار.. وليس معنى الجملة نفي ملكه للدرهم.. وبعد هذا فلا معنى لكون الدرهم بقية من دينار؛ لأن الدرهم جزء من الدينار، ولا يوصف بالبقية إلا في سياق خاص، كأن يكون في جراب دينار مصروفاً دراهم، فتجد في الجراب درهماً، فيقال لك: هذا بقية الدينار.

قال أبو عبد الرحمن: وبعد هذا التحرير - خلال رحلتي لتونس في الأسبوع الأخير من شهر شعبان عام ١٤١٧هـ - وجدت رسالة خطية **لابن هشام** بدار الكتب الوطنية التونسية برقم ٢٦٣٦ أجاب فيها على أسئلة نحوية أولها إعراب «فلان لا يملك درهماً فضلا عن دينار»[٦] وقال في هذه الرسالة: «وهذا التركيب زعم بعضهم أنه مسموع، وأنشد عليه:

فلا يبقى على هذا الغلق

صخرة صماء فضلا عن رمق».

ثم قال: «وانتصاب فضلا على وجهين محكيين عن الفارسي:

أحدهما: أن يكون مصدراً لفعل محذوف، وذلك الفعل نعت للنكرة.

والثاني: أن يكون حالا من معمول الفعل المذكور».

ثم قال: «يقال: فضل عنه، وعليه.. بمعنى زاد.

فإن قدرته مصدراً فالتقدير: لا يملك درهماً يفضل فضلا عن دينار.. وذلك الفعل المحذوف صفة، بل يجوز أن يكون حالا».

ثم ذكر أن وجه الصفة أقوى؛ لأن نعت النكرة يكون أقيس.

وإن قدرته حالا فصاحبها يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون ضمير المصدر محذوفاً[٧].. أي لا يملكه الملك.

الثاني: أن يكون درهماً حالا.. وسوغ مجيء الحال من النكرة أنها في سياق النفي، فخرجت النكرة من حيز الإبهام إلى حيز العموم، وسوغه أيضاً ضعف مجئ الوصف هاهنا».

ثم قال: «فإن قلت: «هلا أجاز الفارسي في «فضلا» كونه صفة لدرهم: قلت: زعم أبو حيان أن ذلك لا يجوز؛ لأنه لا يوصف بالمصدر إلا إذا أريدت المبالغة».

ثم رد على **أبي حيان** وناقشه، ثم حكم أن تنزيل وجوه الإعراب تلك على المعنى المراد عسر، ثم قال: «والذي يظهر لي في توجيه هذا الكلام أن يقال: إنه في الأصل جملتان مستقلتان، ولكن الجملة الثانية دخلها حذف كثير وتغيُّر حصل الإشكال بسببه.. وتوجيه ذلك أن يكون هذا الكلام في اللفظ أو في التقدير جواباً لمستخبر[٨] قال: أيملك فلان درهماً؟.. أو رداً على مخبر قال: فلان يملك ديناراً.

فقيل في الجواب: فلان لا يملك درهماً

ثم استؤنف كلام آخر.. ولك في تقديره[٩] وجهان:

أحدهما: أن يقدر: أخبرتك بهذا زيادة عن الإخبار عن دينار استفهمت عنه - أو زيادة عن دينار أخبرت بملكك له - ثم حذفت جملة «أخبرتك بهذا» وبقي معموله وهو «فضلا».

والثاني: أن يقدر فضل انتفاء الدرهم عن فلان على انتفاء الدينار عنه.. ومعنى ذلك أن يكون حالة هذا المذكور في الفقر معروفة عند الناس.. والفقير إنما يُنفى عنه في العادة ملك الأشياء الحقيرة لا ملك الأموال الكثيرة[١٠]، فوقوع نفي ملك الدرهم عنه في الوجود فاضل عن وقوع نفي الدينار عنه. أي أكثر منه».

قال أبو عبد الرحمن: الشاهد أورده ابن هشام

بصيغة «زعم» ولم يُعز إلى قائل، ولم يُحقق ثبوته عن العرب، ولعله - إن صح - عن راجز بعد فساد السليقة، وهو لا يوافق معاني «فضل» في لغة العرب، وهذا يكفي في رده؛ لأن المعجم المنقول أثبتُ وأوجب مما ينافيه من دعوى شاهد لم يحقق.

وأما إعراب فضلا مصدراً فتقديره: لا يملك درهماً يفضل فضلا عن دينار. وهذا الوجه الإعرابي الصحيح لا يطابق معنى الجملة المراد، وهو أنه لا يملك درهماً فكيف يملك ديناراً.

والإعراب يوهم أحد معنيين هما:

١ - أنه لا يملك درهماً يفضل عن دينار .. أي لا يملك درهماً يفضل عن ملكه ديناراً .. ومعنى الجملة: لا يملك ديناراً من باب أولى.

٢ - أنه لا يملك درهماً يفضل عن دينار .. أي يفضل عن جملة الدينار المكوَّن من دراهم .. فهو لا يملك جزءاً من دينار.

وهذا يحقق بعض معنى الجملة وهو انتفاء ملكه لجزء من دينار وهو الدرهم، ولا يحقق بقية معنى الجملة وهو أنه لا يملك كل الدينار من باب أولى.

وهكذا إعرابه حالا تقديره: لا يملك درهماً حالة كونه فاضلا عن دينار.. وهو يحتمل الاحتمالين المذكورين آنفاً عن الإعراب بالمصدر، ويخالف المعنى المستعمل لجملة «فلان لا يملك درهماً فضلا عن دينار».

ووجه المخالفة في كل ذلك أن فضلا لغة لا تدل على معنى أولوية المنفي في الجملة المذكورة.

وأما تقدير ابن هشام على الوجه الأول فيصح لغة ونحواً ما بقي المقدر ظاهراً، أو ما بقيت الجملة في سياق يشعر بأن المقدر زيادة الخبر أو الإخبار.

أما جملة «فلان لا يملك درهماً فضلا عن دينار» فالمعنى الذي تستعمل له لا يقتضي تقدير زيادة الخبر أو الاستخبار، وإنما يقتضي نفي الملك للدرهم، ونفي الملك للدينار على سبيل الأولوية.

ودعوى التقدير بهذا الطول - على فرض صحتها - تفسر استعمال هذه الجملة بهذا المعنى غير المطابق لمعاني فضل اللغوية، ولا تسوغ مشروعية استعمالها؛ لتغيُّر فضلا من معنى الزيادة إلى الأولوية.

ولو فتح باب دعوى التقدير بمثل هذا - دون برهان - لما ساغ وجود خطأ أو عامية.

وأما تقدير ابن هشام الثاني فينحو إلى استعمال فضلا بمعنى البقية، وهذا صحيح في لغة العرب، والمعنى حينئذ: فلان لا يملك درهماً، وهذا المنفي فاضل عن نفي الأكثر وهو الدينار.. وهذا المعنى الصحيح لغة لا يكاد يظهر وجهه نحواً، وعلى توجهه فالمنفي إنما هو الأقل الفاضل عن نفي الأكثر.. وإنما جاء هذا بدلالة خارجية هو أن الفقير يُنفي عنه الحقير من الأشياء.. وهذه الدلالة غير مسلَّمة؛ لأن الفقير ما كان فقيراً إلا بنفي ما يسد خلته من الضروري لا من الحقير.

وعلى التسليم بهذه الدلالة فلا يكون معناها كما قال ابن هشام «وقوع نفي ملك الدرهم عنه في الوجود فاضل عن وقوع نفي الدينار عنه»، وذلك لسببين:

أولهما: أن الناس - في دعوى ابن هشام - نفوا الحقير ولم ينفوا الكثير .. فصار نفي الكثير من باب أولى.. لا أن الحقير الذي نفوه عقيدة فاضل عن الكثير الذي لم ينفوه إلا بدلالة العقل بدلالة الأولوية.

وثانيهما: ليس نفي ملك الدرهم فاضلا عن نفي ملك الدينار؛ لأن من لا يملك الدينار قد يملك الدرهم.. وإنما نفيُ ملك الدينار حاصل من نفي ملكية الدرهم.. وقد عبَّر عن هذا المعنى بكلمة لا تدل عليه وهي «فضلا» ومعناها الزيادة أو البقية،

وقد استعملت بمعنى الأولوية، وليس ذلك من معانيها»[١١].

قال أبو عبد الرحمن: هذا نص تحقيقي للمسألة ثم أعود إلى كلام الأستاذ السالمي بالتفصيل على هذا النحو:

١ ـ **ذكر الأستاذ السالمي** صعوبة البحث اللغوي لشكلات قال: إنها تحتاج إلى بحث مفرد.. وإنما ذكر اتساع مجال البحث، ثم فسر اتساع مجال البحث بتشعب المصادر، وتعذر استقصائها، وإحجام دور النشر عن طبع الموسوعات مثل تهذيب الأزهري، وعباب الصاغاني، وجاسوس الشدياق.. ويااليته ذكر ولو مجرد عناوين عن المشاكل التي انتجت صعوبة البحث اللغوي.

قال أبو عبد الرحمن: ها هنا وقفات:

الوقفة الأولى: أن اتساع مجال البحث غير مشكلة اتساع المصادر وتشعبها.. فالمشكلة الأولى حرية إرادية يجددها الباحث حسب قدرته وإمكاناته، والثانية قسرية مفروضة عليه.

والوقفة الثانية: أن الإحاطة بالمسألة اللغوية، ومعرفة القطع والرجحان والاحتمال الذي يستوي طرفاه: غير متعسر ولا متعذر وإن تعذرت الإحاطة بكل مصدر مفقود ومخطوط ومطبوع؛ لأن جمع المادة، واستنباط الأصول والقواعد ليس جهد فرد؛ ولكنه جهد علماء خلال أربعة عشر قرناً.. فالمادة بهذا الزمن وبتلك الجهود مما يقبل الحصر، وقد ظل العلماء يروون وَيُقَعِّدُون منذ عصر السليقة إلى عهد الزبيدي وشيخه آخر القرن الثاني عشر الهجري.

والوقفة الثالثة: أن من اللغة معاني كثيرة ومفردات قليله لم تدون وبقيت بالتوارث مشافهة كما بينت في مقدمتي لكتاب الفصام عن أشعار الدواسر، وفي مباحث نشرت لي بهذا الصدد.. إلا أن هذا القدر الموجود واقعاً المعطل تدويناً لا يعطل العلم بما علم من جمهرة اللغة مادة وتدويناً.

والوقفة الرابعة: أن الجاسوس طبع وصور مرات، ولا يترتب على فقده ضياع شيء من اللغة وأصولها.. وتهذيب اللغة طبع مرتين، ومادته في تاج العروس وغيره.. والعباب لا يوجد كاملا، ولا يوجد غير قليل منه.. مع أن كل مادته مدونة في التاج وغيره.

٢ ـ **يرى الأستاذ السالمي** أنني لم أستوعب النظر في المعجمات المشهورة، وأنه فاتني ما ذكره الفيومي عن القطب الشيرازي.

قال أبو عبد الرحمن: لا والله ما فاتني ما ذكره من كلام القطب، ولا مالم يذكره ككلام أبي علي الفارسي وغيره.. كما مر من تحقيقي للمسألة، وما نشرته بالمنهل لم يكن نقلا مقتصداً، ولم يكن نقلا ينحو إلى الاستيعاب، وإنما كان نشراً للجانب الفكري في المسألة.. أما الجانب النقلي فماثل أمام المهتمين وأهل الاختصاص، وقد أسلفت الاستيعاب النقلي في مناسبة سابقة.

٣ ـ **قال الأستاذ السالمي:** «ولكننا نلمح في أثناء كلامه ما يدل على أنه يذهب إلى لحن هذا الاستعمال في العربية؛ لإصراره على رد كل الوجوه الإعرابية في كلام ابن هشام: إما لأنها بعيدة وإما لأنها لا تطابق مراد المتكلم، وهذا صواب، ولكنه ينسحب على مراد المتكلم، وهو «الأولوية» أيضاً، فكل تقدير تقدره ـ على أن معنى (فضلا) هو الأولية ـ سيكون بعيداً مثل بعد التقديرات المذكورة»».

قال أبو عبد الرحمن: هذا كلام يُعوز فهمه، ولكنني ألخص ما سبق لي من رأي وأزيده إيضاحاً وفق هذه الوقفات، ثم أعود إلى هذه الجملة من كلام السالمي.

الوقفة الأولى: أن هناك مراد المتكلم، وهناك مدلول اللغة، وهناك دلالات التركيب نحواً

وبلاغة.. كل هذا موجود في جملة «فلان لا يملك درهماً فضلا عن دينار».

فأما مراد المتكلم فواضح، وهو نفي ملك الأقل لنفي الأكثر.. ولكن ليس كل كلام متكلم عرف مراده يكون موافقاً للغة العرب، بل يعرف مراد المتكلم بكلمة ملحونة، وبتركيب عامي.

وأما مدلول اللغة فليس لكلمة «فضلا» مدلول لغوي عربي صحيح غير الزيادة حسياً أو معنوياً، وغير البقية مجازاً.. والأصل فيها الزيادة عن الحاجة.. وكل هذه المعاني غير متحققة لكلمة فضلا في قولهم: «فلان لا يملك درهماً فضلا عن دينار» كما أسلفت بيان ذلك.. إذن هذا الاستعمال غير صحيح عربياً؛ لأنه يقتضي معنى لكلمة «فضلا» غير معناها اللغوي الفصيح.

وأما دلالة التركيب نحواً أو بلاغة فلها تقديرات كل منها يصح لغة وبلاغة .. ولكن ليس كل جملة يصح تركيبها نحواً أو بلاغة تكون صحيحة المفردات لغة، فقد أقول: «كنهم قطاوة تنفص عيونها» فأعرب قطاوة بالرفع خبراً لكأنهم، وأعرب عيونها مفعولا لتنفص، وتكون الجملة صحيحة نحواً.. ولكن اللغة لا تمدني بصحة كن بمعنى كأن، ولا بالقطاوة جمعاً للقط، ولا بالتنفيص بمعنى بروز العيون.. وإن كان للمعنى الأخير وجه من المجاز.

والوقفة الثانية: رددت كل التقديرات الإعرابية لا من ناحية صحتها نحواً؛ بل لأنها لا تطابق معنى «فضلا» لغة .. وكل باحث في المسائل العويصة لابد له من حدة الملاحظة، ودقة التمييز بين الفروق الخفية المؤثرة.

والوقفة الثالثة: قوله «فكل تقدير تقدره على أن معنى «فضلا» هو الأولوية سيكون بعيداً مثل بعد التقديرات المذكورة».

قال أبو عبد الرحمن: هذه غفلة صلعاء، فليست الأولوية معنى لفضلا لغة، وليست الأولوية معنى للجملة مقدراً نحواً .. إنما الأولوية هي مراد المتكلم بقوله: «فلان لا يملك درهماً فضلا عن دينار» .. المعنى ما دام لا يملك درهماً فمن باب أولى أنه لا يملك ديناراً؛ لأن نفي ملك الأقل يقتضي حساً وعقلا بحتمية ضرورية نفي الأكثر .. وهذا المعنى للجملة عند مستعمليها محل إجماع لم يختلف فيه مجيزو الجملة لغة، ولا المانعون منها لغة.. وهذا المعنى معقول الكلام وضرورته وليس تقديره.. وهذا المعنى المفهوم من مراد المتكلم ضرورة هو محل هاهنا: هل يجوز التعبير عنه لغة بكلمة «فضلا عن» أو لا يجوز؟.

٤ ـ **قال الأستاذ السالمي:** «وكذلك فهناك تقديراً آخر فات ابن هشام، وهو الذي أفهمه من قول القائل «فضلا عن»، وهو لا يملك درهماً فضلا عن ذكر الدينار.. أي «لا يملك درهما» ثم يقول: أكتفي بقولي «درهماً» عن ذكر الدينار وليس هذا التقدير بمتكلف، ولا هو بمناف لهيع كلام العرب، بل كلامها مليء بمثل هذا التوسع في القول».

قال أبو عبد الرحمن: هذا التقدير لم يفت ابن هشام ، بل بسطه غاية البسط، فقال: «أن يقدر: أخبرتك بهذا زيادة عن الإخبار عن دينار استفهمت عنه ـ أو زيادة عن دينار أخبرت بملكك له .. ثم حذفت جملة «أخبرتك بهذا» وبقي معموله وهو «فضلا» فكلمة ابن هشام «أخبرتك بهذا» هي نفسها ـ على سبيل المرادفة ـ كلمة «ذكر».

قال أبو عبد الرحمن: وها هنا أمور:

أولها: أن المنفي حقيقة الملك لا مجرد ذكر الدينار.

وثانيها: أنه على فرض صحة هذا التقدير فالجملة تقتضي تقديراً آخر هو: فضلا عن ذكري ملكه لدينار.

وثالثها: على فرض صحة التقدير فإنما يعني صحته نحواً، ولا يعني أن فضلا تناسب هذا

السياق لغة؛ لأنك؛ أذا رجعت إلى معنى لـ (فضلاً) لغة فستقول: فلان لا يملك درهماً زيادة عن ذكري ملكه ديناراً، أو بقية عن ذكري ملكه ديناراً٠٠ ولا معنى لـ (فضلاً) لغة غير هذين المعنيين٠٠ وهذان المعنيان غير معنى نفي ملكه الأكثر من باب أولى ٠٠ وهذه الأولوية هي المجمع على أنها معنى الجملة عند من استخدمها ورضيها٠٠ إذن التقدير النحوي الصحيح لم ينتج معنى لغوياً صحيحاً لمفردة «فضلا»٠

٥ ـ **قال الأستاذ السالمي:** «ولم يبين الشيخ ـ ربما لضيق المقام ـ تاريخ استعمال هذا ا لتركيب٠٠ مع أن البحث عنه في كلام الأدباء قد يلقي الضوء على بعض وجوه صحة المعنى والمبنى، فربما وجد له شاهد يحتج به أو يستأنس به على أقل تقدير٠٠ لا سيما إذا لم يعرف عن علماء اللغة أن أحدهم أنكر مثل هذا التركيب٠

وقد اجتهدت في البحث عن هذا التركيب في كتب الأدب فوجدت ما يشهد له، فقد قال ابن المقفع: «وألا تكون دبَّاغاً ولا حجاماً لعامي فضلا عن خاص خدمة الملك»٠

وابن المقفع متوفى سنة ١٤٥هـ أي في عصر الاحتجاج اللغوي!!٠٠ بل إن ابن خالويه قال في كتاب ليس: «حدثنا ابن دريد: عن أبي حاتم: عن الأصمعي قال: قرأت آداب ابن المقفع فلم أر فيها لحناً إلا قوله: العلم أكثر من أن يحاط بالكل منه، فاحفظوا البعض»٠ وهذا سند صحيح عن الأصمعي، ويؤخذ من ذلك شيئان:

الأول: أن كلام ابن المقفع صحيح لغة٠٠ أو على الأقل يستأنس به في اللغة؛ لأن الاستثناء يخرج الكلام عن كونه مجاز تغليب٠

الثاني: أن الأصمعي متشدد في اللغة؛ لأن هذه المسألة الوحيدة التي أنكرها على ابن المقفع أجاز استعمالها كثير من العلماء»٠٠ قال الأزهري: النحويون أجازوا الألف واللام في بعض وكل، وإن أباه الأصمعي»٠٠ ثم ذكر شواهد لصحة الكل إلى أن قال: «وهناك شاهد شعري من العصر العباسي، وهو قول صريع الغواني مسلم بن الوليد:

أطرق لما أتيت ممتدحاً

فلم يقل لا فضلا على نعم

وليس مرادي من ذكر هذه الشواهد إثبات صحة هذا التركيب بالقطع، ولكني إنما أعرض ما بلغه جهدي من البحث»٠

قال أبو عبد الرحمن: هذا شغب على المنقول والأصول، وإبطاله من وجوه:

أولها: لا خلاف بين اللغويين في تبيان معاني مادة فضل، ولم يدَّع أحد من نقلة المعجم أن فضلا بمعنى «من باب أولى»٠٠ إذن لا حاجة للاستقراء عن أهل السليقة؛ لأن التعب في تحصيل الحاصل سفه٠

وثانيها: أن الخلاف في معنى جملة، وليس في معنى مفردة٠٠ والجملة المركبة عمل عقلي لا نقلي إلا من جهة النحو والبلاغة٠٠ وليس الخلاف في التقدير الإعرابي، ولا في الإيحاء البلاغي، وإنما الخلاف في معنى نفي الأكثر من باب أولى الذي هو معنى الجملة عند مستعمليها٠٠ ووجه الخلاف أن هذا المعنى لا تدل عليه كلمة «فضلا» بمعناها اللغوي٠

وتركيب الكلام قُررت ـ بصيغة الفعل المبني للمجهول ـ قواعده بالاستقراء من كلام الفصحاء وقت السليقة، فلا يحتاج إلى استقراء بعد فساد السليقة؛ لأن الاستقراء بعد فساد السليقة: إما أن ينتج صحة القاعدة، وهذا تحصيل حاصل لا فائدة له إلا البرهنة على حفاظ المكتسبين للغة تعلماً على ما ورثوه من عرب السليقة٠٠ وليست هذه البرهنة محلا للنزاع هاهنا٠٠ وإما أن ينتج الاستقراء فساد المثال، وهذا عناء لا فائدة، له إذ المتَّبع لسان العرب لا ما دخل عليه٠٠ ولا فائدة

لهذا الاستقراء إلا البرهنة على أن غير أهل السليقة يخطئون.. وليست هذه البرهنة محلا للنزاع هاهنا.

وثالثها: كون ابن المقفع في وقت الاحتجاج باللغة لا يعني أن كل أهل الوقت حجة.. بل الحجة في البادية أهل السليقة.. وابن المقفع المستعرب من أهل الاكتساب وليس من أهل السليقة.

ورابعها: لو صح أن كلام الأصمعي استقراء لكل كلام ابن المقفع، وحكم بصحته حرفاً حرفاً، وحكم بصحته مفردة لغوية لا مجرد حكم بخلوه من اللحن النحوي.. لو صح كل ذلك: لكان غفلة منه عن الخلل في «فضلا عنه»؛ لأن المضنون فيه أن يحتكم إلى نقل أهل اللغة وهو واحد منهم.. وها هي كتب اللغة المدونة منذ أبي مسحل والخليل والأصمعي والكسائي إلى الزبيدي وشيخه لم تذكر الأولوية معنى للفضل.. والاستقراء الاشتقاقي المعنوي لمادة «فضل» لا يحقق ذلك.

وخامسها: بيت صريع الغواني كمنثور ابن المقفع، وكلهم من غير أهل السليقة.

وسادسها: أن علماء كباراً استخدموا هذا المعنى العامي؛ لأنه شاع استعماله، وسياقهم ليس في مجال التحقيق اللغوي لمادة «فضل».. من أولئك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، فإنه قال: «فلابد له من مرجح فضلا عن تقرير هاتين المقدمتين»[١٢].. ولكن المرجع إلى اللغة وقت السليقة.

وسابعها: عجيب قول الأخ الكريم السالمي عن الجملة محل البحث: «لم يعرف عن علماء اللغة أن أحدهم أنكر مثل هذا التركيب»..

قال أبو عبد الرحمن: إذن ما معنى قول أبي حيان التوحيدي: «لم أظفر بنص على أن مثل هذا التركيب من كلام العرب»؟.. كما أن ابن هشام في رسالته المطولة حرص أن يجد لها مخرجاً ولم يستطع إلا بتقديرات مضاعفة تحيل بنية الجملة، ولوح إلى هذه النتيجة في صدر رسالته.

٦ ـ قال الأستاذ السالمي: «وختاماً أقول إنه كان ينبغي للشيخ أن يذكر بديلا عن التركيب الذي أنكره، وقد فكرت طويلا في هذا البديل حتى وجدته، وهو كلمة «بله» بمعنى «دع»».

قال أبو عبد الرحمن: على المحقق أن يبين ما وجده خطأ.. أما البديل الصحيح فقضية أخرى لا لوم عليه إن تركه، وإن تناوله فهو متطوع.

على أن هذا البديل ذكرته بعينه في بحثي المذكور آنفاً.. وليس من بنات أفكاري، وليس نتيجة التفكير الطويل الذي ذكره الأستاذ السالمي عن نفسه، فقد اختار العدناني في الأخطاء الشائعة كلمة «بله» كما اخترت في بحثي المذكور كلمة «فكيف يملك فلساً».

... والله المستعان ..

الهوامش:

(١) الأخطاء الشائعة ص ١٩٥.. قال أبو عبد الرحمن: وعبارة القطب الشيرازي نقلها عنه الزبيدي من كتابه شرح المفتاح، وذلك بتاج العروس ٥٨٢/١٥.

(٢) مقاييس اللغة ص ٨٣٨.

(٣) المفردات ص ٦٣٩.

(٤) تاج العروس ٥٧٨/١٥.

(٥) تاج العروس ٥٨١/١٥.

(٦) تقع في مجموع، ومقدارها خمس عشرة صفحة، وهي كثيرة التصحيف والتحريف، وقد أوردها السيوطي بكتابه الأشباه والنظائر ١٣٠/٦ ـ ١٦٩، ولم يعلق عليها بشيء، وكذلك محقق الكتاب الدكتور عبد العال سالم مكرم لم يعلق بشيء على مسألة «فلان لا يملك درهماً فضلا عن دينار».

(٧) في الأصل: محنوف.

(٨) في الأصل: لستخير.

(٩) في الأصل: تقريره.. والسياق يقتضي ما أثبته، وهو المثبت في أشباه النظائر.

(١٠) في الأصل الكثير.

(١١) مبادىء في نظرية الشعر والجمال ص ١٧ ـ ٢٤.

(١٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١١/٢.

أعلام .. وأعمال:

محمد الصالح رمضان: ورحلته (سوانح وارتسامات)



بقلم: د. عمر بن قينة
معهد اللغة العربية وآدابها
- الجزائر -

عرفت من بُعد الأستاذ (محمد الصالح رمضان) كاتبا وشاعرا، ولم أكد أشرع في الاقتراب منه حتى اكتشفت فيه الإنسان الأديب المتواضع الذي يغمرك بمعارفه وودّه البريء من الرياء، كما لا يبخل عليك إن كنت باحثا بما يتوفر عليه من معلومات ومصادر ومراجع، قد تضيع منه لدى بعض أحيانا.

عرفت هذا وغيره في الرجل ولم أعرفه كاتب رحلة شغوفا بالسفر إلا منذ نشر رحلته «سوانح وارتسامات عابر سبيل» في حلقات بجريدة (الشعب)[1] الجزائرية سنة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م وبقيت الصورة في حاجة الى صقل شرع يتم حين بدأت تتواتر جلساتي الأدبية معه في بيته بحي (ابن عمر) في (القبة) بمدينة (الجزائر) ابتداء من سنة ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

من هنا انطلقت أعيد قراءة الرجل من أكثر من جانب، وكان أول ما حاز اهتمامي أدبيا في هذه الفترة رحلته هذه التي يدرك فيها القراء كثيرا مما لم تبح به سائر آثاره الأخرى: كاتبا وشاعرا، وقد اتحد الكاتب والشاعر في هذه الرحلة أيما اتحاد، شعورا وإبداعا، فتناغمت اللوحة النثرية مع الصورة الشعرية تناغما عذبا لذيذا.

وإن كان الأستاذ (محمد الصالح رمضان) في غنى عن التعريف بالنسبة للحركة الأدبية الجزائرية فإن ذلك ضروري عربيا وإسلاميا وأجنبيا، فهو من رجال الحركة الفكرية والتعليمية والإصلاحية الحديثة.

ولد سنة (١٩١٤م) في (القنطرة) من ولاية (باتنة) بالشرق الجزائري، درس في مسقط رأسه، وعلى يد (عبد الحميد بن باديس) وقد عينه هذا معلما في (مدرسة التربية والتعليم) سنة (١٩٣٧م) ومرشدا لفوج (الرجاء) في (الكشافة الإسلامية الجزائرية) ثم معلما في مدرسة (جمعية العلماء) بمدينة (غليزان) ومديرا لمدرسة (دار الحديث) في (تلمسان).

وبعد الاستقلال (١٩٦٢) عين مديرا للتعليم الديني في (وزارة الأوقاف) ثم التحق في (١٩٦٤م) بوزارة التربية الوطنية أستاذا في اللغة العربية، حتى أحيل على المعاش سنة (١٩٨٠م) وهي السنة التي صار فيها عضو (المجلس الإسلامي الأعلى) بعد تأسيسه.

له عدة أعمال، مطبوعة ومخطوطة، من المطبوع (جغرافية الجزائر والعالم العربي) ١٩٦٤م، (ألحان الفتوة) - شعر - ١٩٥٣، (الخنساء) - مسرحية - ١٩٨٦ (ط٢) فضلا عن عشرات البحوث والمقالات.

أما رحلته (سوانح وارتسامات عابر سبيل) فقد نُشر قسماها: الأول والثاني في حلقات بجريدة (الشعب) سنة (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م) ولم ينشر القسم الثالث لاعتبارات عديدة صحفية وسواها فيما يبدو، لكنها في مجموعها تخاطب عقل القارىء ووجدانه، تفيده وتمتعه.

وهي رحلة الى (بولونيا) سنة (١٩٥٥م) أعتبرها في مقدمة نماذجه النثرية، وقد تألق الأديب فكرا وأسلوبا في فقرات عديدة، في صلته بالناس والطبيعة، ورد الفعل تجاه موقف أو حركة أو منظر من صور الطبيعة: في حلة رومانسية زاهية على الأرض الفرنسية.. والسويسرية وسواها، أو صورة الحياة الزاخرة المشعة بشرا وأملا تنهض من خراب ودمار تركته مدافع النازية وقنابلها في (فرصوفيا) مرورا في كل ذلك بالتوق الوطني الحالم باستقلال (الجزائر) المأمول؛ لتكون حرّة كسائر الدول ذات التاريخ العريق.

كانت الرحلة في وفد رسمي، تعدد أفراده، واختلفت مشاربهم وغاياتهم عنوانها «سوانح وارتسامات عابر سبيل» متلوّاً بعنوان فرعي «رحلة الى مهرجان الشباب في فرصوفيا ١٩٥٥م» وعلى هامش ذلك عنوان دالّ يقول نصّاً: «نبضات قلب في كلمات، وخطرات فكر في صفحات، وتأملات شاعر في وقفات».

وقد (أعدّ) الكاتب - منهجيا - رحلته هذه في ثلاثة أقسام؛ هي: (الرحلة الى بولونيا) (فرصوفيا مدينة المهرجان الخامس) (من وحي الرحلة).

ففي القسم الأول شرع الكاتب يصف السفر بحرا فبرا من (الجزائر) الى (بولونيا) ابتداء من يوم (٢٥ يوليه ١٩٥٥م) وقد لاح له (البحر الأبيض) حاجزا طبيعيا، تاريخيا وجغرافيا بين (الجزائر) المجاهدة يومئذ و(فرنسا) المستعمرة.

لكن الأرض الأوروبية: تاريخا وألوانا طبيعية وأنماط حياة سرعان ما تشرع تمارس هيمنتها وسحرها في فكر الكاتب وعلى عاطفته، ابتداء من الساحل اللازوردي (La Cote d'Azure) على الأرض الفرنسية، مرورا بالريفيرا الايطالية، وطبيعة الحياة في (فيينا) بالنمسا و(تشيكوسلوفاكيا) حتى (بولونيا) وحط الرحال في (فرصوفيا) خمسة عشر يوما ليعيش أجواء مهرجان دولي يحضره واحد وثلاثون ألف مشارك، من وفود عالمية مختلفة.

وقد آثر الكاتب في نهاية هذا القسم الأول أن يحدثنا عن العودة ومسارها، في الرابع عشر من شهر أغسطس مؤجلا تفاصيل انطباعاته الى القسم الثاني، حيث ذكر خط الرحلة من (بولونيا) الى (تشيكوسلوفاكيا) فالنمسا و(سويسرا) التي خصها بحديث تاريخي وجغرافي لينتهي منها الى الحديث عن الطريق الى (ليون) الفرنسية ثم (مارسيليا) للعودة منها جواً هذه المرة الى (الجزائر).

أما القسم الثاني (فرصوفيا مدينة المهرجان الخامس) فقد افتتحه الكاتب بنبذة تاريخية عن فكرة المهرجان الوليدة (سنة ١٩٤٥م) المجسدة لأول مرة في المهرجان الأول (١٩٤٧م) في (براغ) والثاني في (بودابست ١٩٤٩م) والثالث في (برلين الشرقية ١٩٥١م) والرابع في (بوخارست ١٩٥٣م).

ثم ينصرف الى وصف أجواء (المهرجان الخامس) الذي ملأ الحياة في (فرصوفيا) بشرا وحبورا، وحول المدينة الى (عاصمة) عالمية للشباب، تعج بالمرح والحياة والتوادد، وهي الفرصة التي استدرجت وضع الشاب الجزائري في وطنه تحت نير الاحتلال الفرنسي، فتقتحم الذاكرة صور المجازر الاستعمارية الفرنسية، خصوصا تلك التي جرت في (١٩٤٥م) ولم تكن مفصولة في جوهرها عن مجازر (ستالين) خلال (٣٦ - ١٩٣٧) ومجازر (هتلر) في (١٩٤٣م) وقبلها وبعدها.

في هذا الجو الزاخر: ألقا وبشرا وحبورا: كان الكاتب وصديقه المرافق في الرحلة (حفناوي هالي) يعبان من جمال الطبيعة والبشر وصور الأمل والتوق العنيد، وقد توفرت عناصر بهجة تزيل كدرا وتمنح دفئا وسلاما «الماء والخضرة والوجه الحسن» فقادتهما أقدامهما الى (حديقة الحيوانات) على ضفاف (الفستول) فأمتعا النظر والقلب بمشاهد الطبيعة الزاخرة: أشجارا وطيورا، وماء وحيتانا، وما كادا يتوقفان أمام بركة يتأملانها حتى اقتحمت عليهما عالمهما (شقراوان)

«كأنهما توأمتان» رافقتاهما، وتبادلتا معهما الحديث (بلغة فرنسية) فكان لسحر جمال وعذوبة لفظ، وحركة وشعور فعل عاصف، تصوره صاحب الرحلة يجتاح كيان رفيقه (هالي) فأنجب خيال الكاتب الشاعر (رمضان) قصيدة عذبة عن صاحبه بعنوان: «شيخ من صحراء الجزائر في مهرجان الشباب بوارسو سنة ١٩٥٥م» بعد تلك الأمسية، وقد خيل للشاعر في تلك الليلة أن صاحبه يعاني في نومه.. ما اجتاح نفسه من أشواق روح وجسد، حتى هرع الى الله ملاذا، أملا في عفوه ومغفرته.

تحدث الكاتب في هذا القسم عن الأرض والإنسان في واقع جديد بعد حرب مدمرة، حيث ينشط الإنسان العامل المستبشر، فقدم انطباعات غزيرة مختلفة، انطباعات رحالة فعلا، لا رجل تاريخ وجغرافية ولا باحثا في علم اجتماع، ومن ذلك حديثه عن (قصر الثقافة) العملاق، من دون إقصاء للصور السلبية وهي تقتحم الذاكرة في (حمامات الدماء) التي ارتكبتها (الدكتاتوريات) في كل العصور، ومنها (دكتاتورية) الحكم الفرنسي في (الجزائر) حيث القيمة للأوروبي ولو كان منبوذا في (غابة) ولا قيمة لشعب كامل كالشعب الجزائري - بمنطق الاستعمار - ولو كان شعبا عظيما بتاريخه، وهو منطق الحقد والعنصرية:

«قتل امرىء في غابة جريمة لا تغتفر»
«وقتل شعب كامل مسألة فيها نظر»

لذا سرعان ما تتراجع الصور المبهجة في فقرات من هذا القسم حين تغمرها الذكرى بصور الجرائم الاستعمارية في المعمورة كلها، وفي مقدمتها جرائم الاحتلال الفرنسي في (الجزائر).

ويتوج الكاتب رحلته بقسم ثالث عنوانه: (من وحي الرحلة) وقد جاء في شكل تعقيب وتعليق، عن تواريخ، وقضايا، ومواقف، وفيه أدرج الكاتب قصيدتين مطولتين له، أولاهما في (١٠٠ بيت) بعنوان: «فرصوفيا المحطة» صوّر فيها أحاسيسه ومشاعره عن ألوان الدمار الشامل الذي أصاب المدينة (في الحرب العالمية الثانية) ثم صورة المدينة الجديدة الناهضة من الحطام والخراب.

أما القصيدة الثانية فقد صور ما تخيله من مشاعر وهموم وأشواق باتت رابضة على قلب رفيقه (الحفناوي هالي) بعد اللقاء بالفتاتين، فيختلق خيال الشاعر حجة للغوص في عالم صاحبه الخفي بالنفس بعدما أخلد هذا للنوم، على اثر تلك الأمسية: فيزعم (الكاتب) أنه اخترع (جهازا) يجس به ما كان يدور في نفس صاحبه، بعدما «استسلم للنوم» و«بدأ يحلم ويستعرض ما مر عليه في تلك العشية، ركبت له الجهاز ليسجل ما يدور بخلده، يهفو له قلبه، وتتطلع اليه نفسه من أمان عذاب» وكانت القصيدة بعنوان: «شيخ من صحراء الجزائر في مهرجان الشباب بوارسو سنة ١٩٥٥م) كما سبق:

أمسية ما إن رأيت كمثلها
فيما مضى من سالف الأزمان
وشربت من ماء الحياة فأينعت
أوراق حبي الذابل الأغصان
فالماء يحيي الأرض بعد مماتها
والحب يحيي الروح في الانسان[٢]

وهي قصيدة عذبة، بلغة موحية، وبمضمون إنساني رفيع، تقع في (١٠٢ بيتا) يختتمها النائم الحالم تحت «جهاز المراقبة» لصاحب الرحلة بقوله:

خمسون عاما من حياتي تنقضي
بتعلم وتفهم القرآن
واليوم تعصف بي عواصف فتنة
هوجاء من نفسي على إيمان
رحماك ربي لا تؤاخذ من صبا
رحماك، كم للحبِّ من سلطان
رحماك إني إن صبأت فلم أرد
غير الصبابة للصبا الريّان
أنت الجميل وكلّ ما أبدعته
حقا جميل فاتن أغراني[٣]

وقد أدرج صاحب الرحلة في هذا القسم تعريفا ببولونيا، ذا طابع تاريخي، جغرافي، اجتماعي، سياسي، اقتصادي، سياحي أيضا. كتب بعضه إبان الفترة التي كتب فيها الرحلة، وكتب أهمه متأخرا بعد السبعينيات لقرينة مرجع استعمله، فبدا هذا الموضوع مكملا من الزاوية العلمية، وليس من الناحية الأدبية الفنية الخالصة في الرحلة.

من هنا تنبغي الإشارة السريعة الى منهج الأستاذ (محمد الصالح رمضان) الرحالة في

كتابته هذا الفن الأدبي؛ فقد بدا ساعيا بين القدامى في حرصهم على الجانب التعليمي: تاريخا وجغرافية واقتصادا وسواها وبين أسلوب الرحالة الحديث خصوصا الأديب في حرصه على تسجيل مشاعره وانطباعاته المختلفة: سلبا وإيجابا، من دون تقيد بما يمكن أن يثبت أو ينفي صورة سلبية أو إيجابية، لأن ذلك موقوف على تجربة الكاتب وعلاقته بالمحيط، وطبيعة الاحتكاك بالناس، وظروف الصلة التي غالبا ما تكون عرضة للخطأ والصواب.. فتترتب عنها أحكام وانطباعات قد تكون صائبة في موضع وزمان، وخاطئة في زمان آخر، وربما في نفس الموضع.

لقد بقي (محمد الصالح رمضان): المعلم - أكثر من أربعين سنة - والمؤلف الجغرافي حاضرا في هذا التقسيم فالنزعة التعليمية والتاريخية الجغرافية وراء ذلك، وهي التي جعلته يقول عند الحديث عن العودة «لم أعرف بفرنسا كما فعلت بالدول التي مررنا بها لأنها معروفة لقرائنا أكثر من تلك الدول»[٤] وهذا مما يجنح به الى المدرسة القديمة في أدب الرحلات التي لا تقنع بالانطباع العام أو المحدود في الاحتكاك المباشر بوجوه الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية، بل تنحو نحوا يجعل من الرحلة عملا تاريخيا، لا مجرد وثيقة، كنوع أدبي مساعد، مثل الأنواع الأدبية الأخرى، كما بقي أيضا (محمد الصالح رمضان) الأديب الفنّان متواجدا عبر ذلك كله في الأسلوب الأدبي، في نقل الصور الفنية الدقيقة، وإعلان الانطباعات الموحية التي لا يخطها إلا قلم أديب .. مبدع، دق إحساسه، واتسع خياله وامتلك أداة تعبيره.

لقد عبرت هذه الرحلة عن تجربة انسانية ذات عمق مختلف الأبعاد: شخصية وعامة، ورغم حرص الكاتب في رحلته إفادة قارئه بمعلومات علمية: تاريخية وجغرافية وسياسية واقتصادية وثقافية واجتماعية فان ذلك لم يجعل منها نصا تاريخيا جافا، كما لم يحل بينها وبين الظلال الإنسانية التي حفلت بها كرحلة معاصرة مثلما لم يحل بينها وبين الطلاوة المرغوبة في كل رحلة أدبية معاصرة، في الجزئيات الصغيرة نفسها، والكاتب يلوذ بالتأمل في منظر طبيعي، أو في حركة إنسانية، أو في عناق حميمي بين زرقة البحر، واخضرار الطبيعة على الساحل، وما يتخلل ذلك من مغان جميلة ساحرة، أو من علاقات إنسانية ودودة في سمو رفيع، أو من انسياب القطار في السهول والجبال في الظلمة الحالكة كخيط ضوء دقيق يشق العتمة في صمت مطبق.. يعطي اللحظة نكهتها، وجلالها وجمالها.

والرحلة بذلك وبسواه، مما قيل ومما لم يقل: معلم من معالم الرحلة الجزائرية الحديثة في القرن العشرين التي اتجه أصحابها الى أوروبا؛ فلم يعلن صاحبها انبهارا تاما بحضارة، ولا دعوة الى مذهب وإن أشاد بقيم الجد والعمل، بل صور واقعا وبلدانا حرة أو متحررة حديثا وفي نفسه آمال وأشواق الى تحرر وطنه من الاحتلال الفرنسي؛ فعكست الرحلة في جميع الحالات شخصية صاحبها كأديب أو كاتب - عموما - مهموم بقضايا أمته العربية الجزائرية، كما تأخذ بلبه المواقف الإنسانية الإيجابية والصور الجميلة، مثلما يترع قلبه الشوق الى الخير والحب يملأ عالم الناس، وقد اغتسلوا من أدران الحقد وإرادة الإبادة والدمار.

خلال ذلك وهذا وغيره في هذه الرحلة يكتشف القارىء في (محمد الصالح رمضان) شغف الرحالة، وعقل المؤلف ونزوع الجغرافي، وتفكير المعلم وأسلوبه، وروح الأديب وأداته، معظم ذلك بلغة الأديب وأسلوبه يطربه المنظر، وتهز وجدانه الصورة الموحية، واللفتة الدالة؛ فيصور ذلك بلغة أنيقة حتى وهو يقدم حقيقة علمية أو صورة طبيعية مألوفة، وهو مما يجعل هذه الرحلة إضافة نوعية في مسار أدب الرحلة الجزائرية خلال هذا القرن الذي ينتظر مزيدا من جهد الباحثين واجتهادهم.

الهوامش:

(١) نُشرَ من الرحلة قسمان في الجريدة، من دون القسم الثالث، ابتداء من العدد ٧٣٩٦، في ٥ ذي الحجة ١٤٠٧هـ (١ أوت ١٩٨٧م) وانتهاء بالعدد: ٧٤٢٣، في ١٣ من المحرم ١٤٠٨هـ/ ٧ سبتمبر ١٩٨٧م).

وقد تكرّم الأستاذ (محمد الصالح رمضان) علي بنسخة مخطوطة، مرقونة في ثمان وتسعين صفحة، ضمت الأقسام الثلاثة فاعتمدتها أول مرة في كتابي (اتجاهات الرحالين الجزائريين في الرحلة العربية الحديثة)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، يولية ١٩٩٥م إضافة الى اعتمادي ما نشر في الجريدة.

(٢) سوانح وارتسامات، محمد الصالح رمضان، مخطوط، ص ٨٧.

(٣) المصدر نفسه، ص ٩٢.

(٤) المصدر نفسه، ص ٤٣.

في ميدان الكلمة

التجربة الإبداعية عند البريكي

في لقائنا هذا نستضيف أحد الشعراء السعوديين الذين ساهموا في إثراء المشهد الشعري بهذا الوطن المعطاء وهو الأستاذ محمد سعيد البريكي.

ولد في مدينة القطيف عام ١٣٦٣هـ (١٩٤٣م) بالمنطقة الشرقية، درس علوم اللغة العربية والفقه على يد والده المرحوم الشيخ ميرزا حسين البريكي، أتم تعليمه الإبتدائي والثانوي بالمملكة، أجيز في الكيمياء والأحياء الطبية والإدارة التربوية من عدد من جامعات الولايات المتحدة الأمريكية.

ينظم الشعر باللغتين العربية والإنجليزية وقد عمل عضواً في هيئة التدريس بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن وفي معهد بحوثها قبل انتقاله للعمل في مجال الصناعة، وقد صدر له ترجمة كتاب «أدوية ضغط الدم» عام ١٤١١هـ وترجمة كتاب «سلوك المنشقات: البلهارسيا» عام ١٤١٥هـ وقد قدم له بمقدمة علمية وافية عن المرض ومسبباته وتشخيصه وطرق مكافحته وعلاجه، وشارك في العديد من المؤتمرات والندوات العلمية المتخصصة. هذا في الجانب العلمي، اما في الجانب الأدبي فقد نشر له الكثير من القصائد والمقالات في كثير من الصحف والمجلات العربية وشارك في العديد من الندوات الأدبية والثقافية في النوادي الادبية والإذاعة والتلفزيون وشارك في العديد من المؤتمرات الثقافية.

له ديوان شعر معد للنشر وله ديوان شعر آخر تحت الإعداد وصدر له ديوان شعر للأطفال «ربيع الأمل» عام ١٤١٦هـ وقد لاقى استحسان الكثير من الأدباء وله ديوان شعر آخر للأطفال معد للنشر. وله عدد من المؤلفات العلمية والأدبية في مراحل مختلفة من الإعداد.

ونحن من خلال هذا اللقاء نحاول أن نسلط الضوء على تجربة الشاعر الإبداعية في عالم الأدب مع التطرق لمراحل حياته العلمية والأدبية ومشواره الإبداعي.

حوار: **عقيل بن ناجي المسكين**
– الرياض –

المنهل:

«الأكاديمي» و«الوجداني» يبدوان شخصيتين منفصلتين لكل منهما مكوناته الخاصة به.. ترى إلى أي حد استطعت الجمع بينهما؟

** يعود الفضل في اهتمامي باللغة العربية والأدب والشعر والثقافة بوجه عام إلى البيئة التي نشأت بها. فقد كان والدي - رحمه الله - عالما دينيا ومعلّما وكانت له مكتبة تحتوي على كتب متنوعة الموضوعات. وكان يهتم كثيرا بتدريسي اللغة العربية وعلومها، وعلى يديه درست الفقه والنحو والصرف والبلاغة وغيرها من أساسيات اللغة

العربية وكان منزلنا يضم الأدباء والعلماء بشكل مستمر، وكنت أقع تحت طائلة الإمتحان في هذه العلوم ممن يضمهم مجلس والدي ومنه أيضا، وكان يشجعني على الكتابة والخطابة لذلك فقد كتبت الشعر وأنا في بداية دراستي المتوسطة. ولابد من الإشارة إلى أن البيئة المحلية التي نشأت بها كانت نشطة من الناحية الأدبية كما أنها تتمتع بمظاهر طبيعية تحفز على الإبداع فهناك البحر والنخيل والحدائق والينابيع الطبيعية من جهة والصحراء من جهة أخرى.

وعلى الرغم من هذا الجوّ الأدبي البحت فقد نمت ميولي للعلوم الطبيعية في مرحلة مبكرة من مراحل تحصيلي الدراسي، قرأت شيئا من العلوم الطبيعية في بعض الكتب التي ضمتها مكتبة والدي، وعشقت متابعة الكائنات الحية في بيئتها الطبيعية ومارست تشريح الحيوانات ونقلها مشرحة إلى المدرسة. وعندما تخصصت في العلوم الطبيعية كان الشعر والأدب هو جهة التنفيس في جو العلوم حيث الدقة في التعبير وحياد الكلمات هو النمط المقبول وقد واصلت دراستي الأدبية أثناء دراستي العلمية فدرست الأدب الإنجليزي والشعر وكتبت الشعر باللغة الإنجليزية، كما درست اللغة الفرنسية وقرأت لبعض أدبائها بالفرنسية وشاركت في نشاطات أدبية عربية أثناء دراستي العلمية الجامعية.

وإذا تعمقنا في الموضوع فإن العلوم الطبيعية والشعر والفن تلتقي في كونها مدعاة للتحليق إلى أجواء بعيدة عن المألوف والإنعتاق من عالم الرتابة وبدون هذا العنصر لا يوجد الإبداع في العلوم أو الآداب، وقد يفسر وجود هذا العامل المشترك بين العلوم الطبيعية والآداب والفنون قدرة المرء على التوفيق بينها.



محمد سعيد البريكي

المنهل:

الابداع: ماذا يعني عند الأستاذ البريكي؟ وما هي طقوسه الخاصة بك؟..

** مفهوم الإبداع يعني لي ذلك النتاج الذهني المبتكر، الذي يوجه الأنظار إليه تميزه - في بابه - عما هو ظاهر ومألوف ومبتذل، ويندرج تحت هذا التعميم نشاط الإنسان في العلوم الطبيعية، والعلوم الإنسانية والفنون التشكيلية والغنائية، وكذلك الحرف، بالنسبة للطقوس الخاصة بالإبداع الخاصة بي ككاتب وشاعر (أي أين ومتى أكتب وما هي الظروف المناسبة) فإن أهم العناصر الضرورية لي لإنتاج أي عمل ذهني ذي قيمة هو التوجه النفسي لإنتاج مثل هذا العمل وصفاء الذهن. أما أين ومتى أكتب فذلك يختلف باختلاف نوع العمل الإبداعي.

> ** العلوم الطبيعية والشعر والفن، مدعاة للتحليق بعيداً عن المألوف والانعتاق من عالم الرتابه
>
> ** التوجه النفسي والصفاء الذهني فيهما مساحة واسعة للإبداع

ففي حالة الشعر مثلا لا يوجد مكان أو زمان لا يصلح للكتابة ما دام عنصرا التوجه النفسي والصفاء الذهني متوفرين، أما في حالة النتاج الفكري الذي يحتاج الى بحث وتمحيص فإن خير مكان لإنتاجه هو المكان الذي تتوفر فيه وسائل البحث العلمي ويتوفر فيه الهدوء المناسب.

المنهل:

تجربتك الشعرية نمت في بيئة علمية وأجواء ثقافية منذ أيام والدك المرحوم الشيخ ميرزا حسين البريكي (رحمه الله) وهو أحد علماء الدين، كيف كانت افادتك من علوم والدك ودروسه؟ وكيف كانت طريقته في تنشئة أولاده وتربيتهم لتصبح كما أنت عليه الآن من مستوى مرموق في الساحة الثقافية محلياً وعربياً؟

** كانت طريقة الوالد - رحمه الله - في تربية أولاده مزيجا من الحزم والحرّية. فكان يحب مجالسة الأطفال والحديث معهم ومرافقتهم في مجالسه ومصاحبتهم في رحلاته واستثارة فضولهم الذهني بالأسئلة العلمية في المجالات التي له علم بها كالفقه واللغة والأدب والمنطق والتاريخ، ولم يقتصر تأثيره على التوجيه فقط وإنما على التعليم المنتظم بما لا يتعارض مع التعليم المدرسي ولا يرهق الطفل ولا يحدّ من حريته في اللعب، وكان على صلة وثيقة بالمدرسة التي يتعلم بها أي من أبنائه وكان الأساتذة يزورون منزله ويحضرون مجلسه ويثير معهم كثيرا من مسائل اللغة ويناقشهم في التاريخ. وكان يشدد على عملية الإستمرار في عمل ما حتى درجة الإتقان ويكثر من متابعة تحصيل المتلقي بالإختبار، وهو الذي علمني الخطابة.

المنهل:

منذ طفولتك يقال إن والدك بنظرته الثاقبة وحبه للعلوم والتطور بعثك إلى مدرس لغة انجليزية لتتلقى على يديه قواعدها تحدثاً ونطقاً وكتابة، وهذه النظرة خارجة على المألوف في ذلك الزمان حيث كانت طرق التدريس تقليدية وبأساليب قديمة، فكيف تكونت هذه النظرة المستقبلية عند والدك؟

** تكونت النظرة المستقبلية عند والدي عن طريق الثقافة فقد كانت مكتبته تضم كتبا في علم النفس والتربية قديمة وحديثة وكذلك كتب العلوم الطبيعية، وكان قد درس الفلسفة القديمة والمنطق، كانت له نظرة تعتبر متحررة بالنسبة لموقعه الإجتماعي وبالنسبة للبيئة التي عاش بها.. أما فيما يتعلق بالأطفال فكان يسمح لي بالمشاركة في الكشافة بلباسها الغريب في حينه وكذلك في التمثيل المسرحي والرحلات، وكان يفصل لي ملابس تتمثل في القميص والسروال القصير وكان يرى أن هذا اللباس اسهل للجري واللعب من الثوب الفضفاض. وكان دائم التأكيد على أننا لا نربي الأطفال ليكونوا نسخة أخرى منا لأنهم

**** في مجلة الخليج العربي كانت بداياتي (يتيم في يوم العيد)**
**** الانفعال في الآخر ميزان القصيد.**
**** أحببت الطفل فأهديته قصيدي.**

**** الإبداع عندي، هو النتاج الذهني المبتكر**

**** والدي .. كثرة قراءاته واتساع مداركه جعلته أبعد رؤية**

**** لا تكن نسخة من أحد .. هكذا علمنا الوالد**

**** مفردات الموروث الشعبي إلى جانب أسلوب الطرح تضيف إبداعاً إلى ابداع**

سيؤدون دورا مختلفا عن دورنا وفي حقبة زمنية يؤمل أن تكون أكثر تقدما وهذا ما حدا به إلى الإهتمام باللغة الإنجليزية ووجهني لدراستها.

المنهل:

نشأت في بيئة عريقة في التاريخ غنية بمظاهر الطبيعة الخلابة كالبحر والنخيل، الى أي حد وظفت هذا الموروث في أدبك؟.

** تأثري بالبيئة التي بدأت بها حياتي وعدت اليها بعد طول غياب واضح في شعري على ما اعتقد، وأود أن أشير إلى أن البيئة التي عشت فيها طرفا كبيرا من أيام شبابي أيام الدراسة خارج المملكة كانت امتداداً للبيئة التي بدأت فيها فهي غنية بالأنهار والغابات والزهور والتنوع الإجتماعي.

هذا بالإضافة إلى تأثير الآداب الأخرى، والتأثير المقصود هنا ليس فقط اكتساب المفردات الخاصة بالموروث الشعبي والمواضيع التي يطرحها الكاتب وإنما في مجمل تفكيره وطريقة معالجته للمواضيع المطروحة.

المنهل:

الصحافة .. ومدى علاقتك بها..؟
كيف كانت علاقتك بالصحافة والنشر؟
ومتى نشرت أول عمل أدبي؟

** نشرت وألقيت كثيرا مما كتبت منذ البداية، فقد شاركت في تحرير عدد من صحف المدرسة التي كانت في حينه أكثر احتشادا بالمعلومات والكتابة الأصلية (غير المنقولة) ونشرت أول قصة في مجلة الخليج العربي التي كانت تصدر في عام ١٩٥٧ وكان يصدرها الأستاذ عبد الله شباط وكانت القصة بعنوان «يتيم في يوم العيد» وكنت حينئذ في مراحل التعليم الأولى كما نشرت قصائد في جريدة «أخبار الظهران» التي كانت تصدر في أوائل الستينيات وكنت حينئذ في مرحلة الدراسة الثانوية وكنت ألقي الشعر بشكل منتظم (اسبوعي) في لقاءات المدرسة المتوسطة والثانوية وكانت لقاءات جادة وكنت أشارك بشعري وكتاباتي في المناسبات العامة ومنها حفلات الاحتفاء بذوي المكانة الأدبية والاجتماعية. ونُشر شيء من شعري في كتاب المرحوم المسلم «ساحل الذهب الأسود» قبل تخرجي من المدرسة الثانوية ثم في كتاب الشيخ على المرهون «شعراء القطيف» في عام ١٩٦٤م.

انقطعت عن النشر سنين طويلة مدة الدراسة خارج المملكة متوجها حينئذ إلى الكتابة العلمية والتحصيل. ثم عدت للنشر بعد ذلك، نشرت في

العديد من المجلات والصحف، ولي ثلاثة أعمال مطبوعة ومنشورة.

المنهل:

القصيدة، أصبحت مثار جدل بين قديم وحديث .. على أي مدرسة تراها..؟

** القصيدة الشعرية التي تحافظ على أصالتها العربية مع التزامها بالتجديد والتطوير سواء في القوالب والمضامين حرية بالقراءة والاستقبال. وأودّ أن أقول هنا أن مثل هذه القصيدة ينبغي أن تكون مفهومة، أي أن تحدث أثرا لدى المتلقي ولا يشترط إحداث الأثر لدى جميع المتلقين. ويقصد بالأثر إحداث الإنفعال الذي هو ناتج عن إحداث تغيير في نسق أحاسيسه المألوفة، ذلك لأن الشعر الجيد هو شكل من أشكال الإبداع ولا ينطبق لفظ الإبداع على عمل ما لم يحدث هذا التأثير.

المنهل:

صدر لك عام ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م ديوان «ربيع الأمل» وهو ديوان شعر للأطفال، وقد لاقى هذا الديوان استحسان الكثير من الأدباء والمتخصصين محلياً وعربياً وقد كتب عنه الكثير وآخرها ما كتبه الدكتور غازي القصيبي في مجلة «المجلة العربية» بأحد أعدادها الأخيرة، ما هي قصتك مع أدب الطفل؟ وما الذي دعاك لخوض مثل هذا التخصص الذي أبدعت فيه؟ وما هي نظرتك عن مستوى أدب الطفل في الوطن العربي عموماً والمملكة بشكل خاص؟

** قصتي مع أدب الطفل تبدأ من طفولتي، فقد عشت حياة طفولة مليئة بالمرح والنشاط واحترام عقليتي كطفل والاهتمام بها من قبل والدي - رحمه الله - والمتعة التي كنت أجدها في القراءة من قصص الأطفال الموجودة حينئذ، كنت أحب الأطفال عندما كنتُ مثلهم طفلا، ثم أحببتهم عندما كبرت، وقد أردت أن أعطيهم شيئا جميلا ومفيدا ومتمشيا مع الفترة الزمنية التي نعيشها يتوازن فيه الخلق القويم والطموح والنظرة العلمية، وهي محاولة أرجو أن تكون موفقة وحافزة للآخرين.

الطفل عالم من الذكاء والابداع.. وهكذا ينبغي ان تكون الكتابة له

دخلت عالم الترجمة لدافعين، علمي وقومي

أما فيما يخص مستوى أدب الطفل في الوطن العربي عموما فهو لا يزال قاصرا عن مواكبة الزمن مثقلا بتركة التقليد، ومع ذلك فإنه لا ينبغي إغفال الخطوات الجادة والمهمة التي خطاها أدب الطفل العربي بوجه عام والمحاولات المبذولة لتطويره، أعتقد أن المشكلة الأساسية في قصور أدب الطفل هو القصور في الاهتمام بالطفل وتقدير مدى إدراكه، إذا لم نفهم الطفل ونحبه ونقدر مدى إدراكه فإننا لن ننتج ثقافة للطفل ذات قيمة، والأدباء العرب لا تنقصهم القدرة على الكتابة كما أن تقنية إنتاج المواد المقروءة والمصورة والمرئية متوفرة ولكن معظم الإنتاج الأدبي مهتم بالعاطفة والتنظير الفكري والعقدي والسياسي،

وقليل منه موجه للتطبيق العملي أو البناء الأساسي للشخصية الذي يندرج تحته أدب الطفل.

المنهل:

ماذا عن ممارستك للترجمة العلمية؟ وما مساحتها في إبداعك وإنتاجك الأكاديمي في مجال تخصصك العلمي؟ وهل هناك مشاريع علمية أخرى بعد صدور ترجمتك لكتاب «أدوية ضغط الدم» وكتاب «البلهارسيا»؟.

** ولجتُ عالم الترجمة العلمية بدافعين، دافع علمي ودافع قومي. مصدر الدافع العلمي هو محاولة نشر المعرفة العلمية بلغة يحسنها الناس في الوطن العربي الكبير. سيما المعرفة التي تضمها الرسائل العلمية المختلفة التي كتبها العديد من أبناء الوطن والتي كتبت بلغات أجنبية تقف عائقا دون اطلاع من لا يحسنون تلك اللغات عليها. وأما مصدر الدافع القومي فهو الرغبة في توجيه الأنظار بطريقة عملية إلى أن اللغة العربية يمكن أن تكون أداة فعالة كأهم اللغات المعروفة لنا في نقل النتاج العلمي الحديث.

وقد ترجمت رسالتين علميتين: «أدوية ضغط الدم» و«سلوك المنشقات: البلهارسيا» وكتبت للأولى مقدمة عن المرض وكتبت للأخرى مقدمة عن بيولوجيا المرض وتشخيصه وعلاجه وطرق مكافحته. وهناك مشاريع أخرى للترجمة.

المنهل:

يعرف عنك في الأوساط الثقافية بالمنطقة بأنك أحد المشجعين للأدباء الشباب ومن الذين يأخذون بأيديهم الى الجادة، ما هو انطباعك العام عن «أدب الشباب» في بلادنا وفي المنطقة بشكل خاص؟ وكيف ترى اهتمام المؤسسات الثقافية في بلادنا بهذا الجانب؟

** يوجد عند الشباب توجُّه نحو الإنتاج الثقافي سيما الشعر والقصة والتراجم والتوثيق والفنون التشكيلية مع إهمال تام للعلوم التطبيقية والإجرائية وما أقرؤه يظهر بوضوح حاجتهم إلى الأسلوب العلمي في الكتابة وأقصد «بالعلمي» توفر عناصر الحياد في التعبير والتعريف الدقيق للمفاهيم التي تطرح وتسلسل التفكير والمنهجية في البحث. وقد حان الوقت لأن يتعلم الكتاب هذه المتطلبات ولا ينتظروا تعلمها في الدراسات العليا.

اهتمام المؤسسات الثقافية في بلادنا بهذا الجانب «أدب الشباب» يختلف باختلاف المؤسسات. ولكن الكثير من المؤسسات سيما الصحافة تهتم به وتفسح له المجال، القصور في البحث عن أدب الشباب هو جزء من القصور العام لدى المؤسسات الثقافية في البحث عن المواهب والإتصال بها وتشجيعها على الظهور فمعظم المؤسسات الثقافية تنتظر من يأتي اليها.

المنهل:

كلمة أخيرة تحب أن توجهها الى قراء مجلتنا الأم «المنهل» الغرّاء؟

** الكلمة التي أحب أن أوجهها لقراء «المنهل» الغراء أن يستفيدوا من منهل المعرفة الذي تصب أنهاره من أنحاء المعمورة وأن يحتملوا شيئا من الأذى في الوصول إلى المعرفة وأن لا يقنعوا بالسهل الضحل وأن يُسْمِعوا ويَسْمَعوا. والله ولي التوفيق.

رجال في الذاكرة (٤٢)

الامام محمد زاهد الكوثري

في شارع الصنادقية بميدان الأزهر - وهو يشبه الحارة الضيقة، تقوم على جانبيه حوانيت صغيره، أكثرها تمتلىء بالكتب الأزهرية القديمة من متون وشروح وحواش، في هذا الشارع شاهدت شيخاً ربعة أشرب وجهه بالحمرة، وله شيبة ذات وقار، يرتدي كاكولة متواضعة، عمامة ذات طبقات أكثر مما نعهد، وأمامه مجموعة من الكتب يقرأ بعضها في صمت، فوقفت أرصده عن كثب، ولكنى وجدت رجلا من العامة يدنو منه، ويحدثه، فخطوت لأسمع سؤالا عن الطلاق المعلق يلقيه السائل في وجل، منتظراً الإجابة من الشيخ، ثم أدهشنى أن يحكم الرجل في إصرار بوقوع الطلاق، مع أنى أعلم أن قانون المحاكم الشرعية الذي صدر في مصر سنة ١٩٢٩ يمنع وقوع هذا الطلاق استناداً إلى أئمة من غير أصحاب المذاهب الأربعة، وهم فقهاء أجلاء ذوو شأن في التشريع، وقد أراد القانون بذلك أن ييسر على من يحلون روابط الأسرة ذات الأولاد في ساعة غضب ليتمكن الزوج من التئام الشمل رحمة بأفلاذ الأكباد، فرأيت أن ألحق بالسائل لأقول له إن الأمر في مصر يجري على غير ما قال هذا الشيخ، وأظنه محدود الاطلاع فلا تركن له، وقد استبشر الرجل بما قلت، وأخذ يدعو الله أن يجزيني بالخير!

مضت أيام، وذهبت لزيارة أستاذي الجليل الشيخ محمد الطنطاوى أستاذ النحو بكلية اللغة العربية فوجدت منزله عامرا ببعض الزوار من العلماء، وهم يتحدثون عن شيخ جليل انتقل إلى رحمة ربه، هو الشيخ خليل الخالدي مفتي القدس، وأحد الوجهاء الكبار ممن تولوا المناصب الدينية الكبيرة في عهد الخلافة العثمانية، وقد أجمعوا على تضلّعه المتين في معرفة المخطوطات العربية في شتى فروع الثقافة الاسلامية، إذ زار أكثر العواصم الإسلامية - والأوربية أيضا - ليقرأ ما تضمه المكتبات الشهيرة من المخطوطات، وله خبرة بخطوط العلماء، ومعرفة دقيقة بأحوالهم المعيشية، ومذاهبهم الفقهية، وآرائهم المختلفة في شتى فروع الثقافة، حتى صار المرجع الأول في بابه! هكذا قال القوم، ولكن الأستاذ الطنطاوي صاحب المنزل عقب على هؤلاء قائلا، إن الأستاذ الكبير الشيخ محمد زاهد الكوثري وكيل المشيخة الاسلامية في تركيا من قبل، ونزيل القاهرة الآن يفوق



بقلم :
أ. د. محمد رجب البيومى
- المنصورة -

الشيخ خليل الخالدي في إلمامه بالتراث الإسلامي، لأن الشيخ الخالدي قد اقتصر على المؤلفات العربية وحدها أما الشيخ الكوثري فيقرأ التركية والفارسية والجركسية والعربية. وقد هضم كل ما قرأ وأصبح المرجع الأول في هذا المجال، وعليه يعتمد ناشرو المخطوطات، ومصححوا الموسوعات شرقاً وغربا، وله باع طويل في المناقشات العلمية، وقد وقف على نشر كثير من أمهات الكتب معلقا ناقدا مصحّحا والشيخ الخالدي - على فضله المشكور، - لم يخل مكانه بعد، إذا أطال الله في عمر الكوثري.

سمعت ما دار من الحديث عن الخالدى والكوثرى، فاشتقت إلى رؤية الكوثرى، وانتظرت حتى انقطع الحديث عن الرجلين، فسألت الشيخ الطنطاوى كيف أحظى بمجالسة الكوثرى، فابتسم، وقال في دعابة، لا يفوتك شيء يارجب، إن الشيخ الكوثرى رجل متواضع على جلالة فضله، وهو دائما يصلي الجمعة في مسجد محمد أبى الذهب الذى يقابل الأزهر، فإذا صليت الجمعة به، فستجد جوار المحراب شيخاً وقورا يتحلق حوله الكثيرون، وكل يسأل عن معضلة، فهذا باحث فقهي، وذاك عالم أصولي، وذلك رجل منطق وجدال، وكلهم يسأل عن المراجع، أو يطلب الفتوى، والشيخ يجيب كل سائل بما يشفى غلته، ويظل في مجلسه حتى تحين صلاة العصر، فيؤديها وينصرف سعيدا وقد قام بمجهود عدة أساتذة ذوى اختصاص، إنه بحر لا ساحل له، فاذهب إليه إذا أردت.

دفعني حديث الأستاذ إلي رؤية العلامة الكوثرى، وكانت دهشتى عظيمة حين وجدت الكوثرى هو بعينه صاحب فتوى الطلاق في شارع الصنادقية، فتذكرت أنى قلت عنه من قبل: إنه محدود الاطلاع جهلا منى بمنزلته وقلت في نفسي، أيبلغ بي الغرور أن أحكم على إمام كبير بما يخالف الواقع، مع أنى لا أبلغ مبلغ تلميذ صغير من تلاميذه! إن للرجل الكبير رأيه الخاص، ولا يتقيد في فتواه بقانون لا يراه صائبا من وجهة نظره، ثم تذكرت أنه صاحب كتاب الإشفاق في أحكام الطلاق وقد كتبه ردا على الأستاذ الفقيه الشيخ أحمد شاكر حين انتحى غير منتحاه! فإذا كان قد أفتى بوقوع الطلاق المعلق فهذا ما قامت لديه البراهين على صحته، فهو إذن إمام غير مأموم!!


محمد زاهد الكوثري

حرصت على أن أصلى الجمعة كثيرا بمسجد أبي الذهب، حبًا في رؤية الشيخ ومن حوله من السائلين، وقد لحظ اهتمامي بما يقول، وإكبابي على تسجيل بعض آرائه في كُنّاشة أعددتها لمجلسه، فبادرنى متفضلا بالسؤال عن اسمى، وماذا أعمل، فعرّفته بأنى طالب في كلية اللغة العربية بالسنة الثانية فقال في ملاطفة، وفقك الله، ثم سأل: لماذا تحضر دون أن تسأل! وكنت حينئذ مشغولا ببحث أعده عن الشاعر المغني العباسي جحظة البرمكى، فتجرأت على أن أسأله عن مراجع جحظة، فسكت هنيهة، ثم نظر إليّ ليقول في قوة، بُنَيَّ ماذا يعجبك في أمثال جحظة! إنه مطرب شارب خمر، وواصف مجون؛ له ترجمة كبيرة في معجم الأدباء، وأولى بك أن تبحث عن أصحاب الاتجاه الخلقي الرفيع من الأدباء أو العلماء! يا بني إن الشعراء - وجلّهم غير ملتزم - قد أخذوا نصيبا كبيرا من اهتمام

الباحثين في مصر، وأنا لا أمنع أن نبحث عن شاعر قوي الأسلوب، متعدد الأنحاء، ولكن أمنع أن نبحث عن الصغار ممن لا يزيدون الناس إحساساً أو فكرا، بل يدعون إلى منكرات يشمئز منها المؤمن الملتزم! إن كتاب الأغاني قد سيطر على الأدباء أكثر مما يلزم، مع أن طالب الأزهر لو قرأ كتاباً مثل طبقات الشافعية لابن السبكي لوجد من الأعلام من يفوق مائة شخص من أمثال جحظه البرمكي، لا تغضب عليّ يا بني فأنا أقول ما اعتقد!

سكتّ قليلا، فقال الشيخ هل تُسمعني شيئا مما أعجبك من شعر جحظة ، فقلت، يعجبني مثل قوله:

وَرَقّ الجوُّ حتى قيل هذا

عتابٌ بين جحظة والزمان

فابتسم الشيخ وقال بيت حسن ، ولو ترك الشاعر مجونه ، وأتى بهذا الطراز لكان موفقا، لقد قلت لك رأيي يا بني!

واتفق أن قابلت الأستاذ محمد الطنطاوي بعد محاورتي مع الشيخ، فذكرت له كل ما دار بيني وبينه، فسأل الشيخ الطنطاوي كالمتعجب: أقال الكوثري لك ما يدل على ارتياحه لطبقات الشافعية؟! قلت نعم.. فقال: كم يمتلىء السجن بالمظلومين، إنهم يأخذون على الكوثري تعصبه الشديد لفقهاء الأحناف، وها هو ذا يمدح طبقات الشافعية أولو كان متعصبا أما اختار كتاب (طبقات الحنفية)؟! قلت يا سيدي: لا شبهة هنا في التعصب، أنا مثلا شافعي المذهب، أفئن أفتيت بما أعرفه من فقه الشافعية أكون متعصبا لهم، أم أكون مجيباً بما أعلم! قال الشيخ: هذا حق، كلام الناس كثير ولا معنى له.

وكان النبهاء من رجال الأزهر في الأربعينيات يلتفون حول جماعة المفتي الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم وهم من صفوة المفكرين من العلماء وفي طليعتهم الشيخ محمود شلتوت والدكتور محمد البهي والأستاذ محمد محمد المدني ولهم باع طويل في البحث التجديدي، ومناقشة القديم الذي تبدو به مظاهر الضعف، ولكن الأستاذ محمد زاهر الكوثري قد وقف من هذه الجماعة موقفا معارضا، ينقد في شدة، ويهاجم في ضراوة، ويرجع باللائمة على الإمام محمد عبده والإمام المراغي إذ هما في رأيه مصدر الفتاوى الجريئة، وأذكر أن المفتي الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم قد استُفْتِيَ في لباس (القبعة) فأجازها معتمدا على نصوص استمدها من كتب السابقين، وموافقا ما سبق أن قرره الإمام محمد عبده من قبل، فثارت ثائرة الشيخ الكوثرى وكتب مقالات حارة لسنا ننقده من أجلها، ولكن حدتها البالغة وجنوحها إلى التهجم الواضح جعلها تحيد عن المجادلة بالحسنى، بل إن الأستاذ الكوثرى قد تورط في استدلاله بالآية الكريمة {ومن يتولهم منكم فإنه منهم} مستنبطاً أن لبس القبعة من بعض مظاهر هذه التولية المنهي عنها، ولم يحصر الهجوم على مقال المفتي الأكبر فحسب، بل تناول الشيخ شلتوت والشيخ المدني، مع أنهما لا صلة لهما بهذه الفتوى! كما تناول الإمام محمد عبده بالتخطئة الصريحة، وتوالت مقالات الكوثرى في مجلة الإسلام لترمي شواظها المحرق، وكأنه يهاجم أعداء لا زملاء في جهة واحدة، فساءني كل الإساءة أن يبعد الكوثرى في غلوّه هذا البعد، وهو مَنْ هو، رجاحة عقل، وبعد نظر، فصممت على أن أسأله العدول عن الهجوم الجارح، وجئت إلى مسجد أبى الذهب متحمسا، وبدأت القول قبل أن يسأله أحد من تلاميذ الحلقة المعهودة، فذكرت فضل المفتي وشيعته، ونظر الاستاذ اليّ في غضب مكتوم، ثم واجهني بقوله: أنت يا بنى طالب صغير في كلية تدرس علوم اللغة لا علوم الدين، ويجب أن تصبر طويلا حتى تفهم ما أعنيه، إن مجلة الرسالة التى تنشر للمفتى ولشلتوت لا تنوي الخير للمسلمين، فتسرعت قائلا: سيدي إن الرسالة هي المجلة الرفيعة المستوى التى تفوح بعبير الإسلام، ولها

صوتها المسموع، وأنت حين تحاربها متكلما وكاتبا إنما تحاول أن تهدم قلعة من قلاع الإسلام! فحول الأستاذ وجهه عني، والتفت إلى القوم يغير مجرى الحديث.

وقد انقطعت عن المسجد بعد ذلك محاذرا أن أثير غضب الرجل الكبير، ثم عرض لي أن أشتري بعض الكتب من مكتبة الأستاذ حسام الدين القدسي، بجوار دار الكتب المصرية، فما كاد الأستاذ حسام يراني حتى صاح بي، لماذا انقطعت عن مجلس الإمام الكوثري، إنه سأل عنك كثيرا، وكان الأستاذ حسام الدين ممن يحرصون على حضور مجلس الجمعة، وقد سمع محاورته لي من قبل بشأن (جحظة البرمكي) ومن التوافق أني نشرت بالرسالة بحثا عن جحظة وقرأه الاستاذ حسام قبل أن أزوره، فقال متضاحكا، لعلك نشرت مقال جحظه لتجهر بمخالفة الأستاذ؟ فقلت كلا، والله، المقال قد شغل تفكيري وسهلت عليّ صياغته فبادرت بنشره، دون أن أتذكر كلام الأستاذ!

كان في الأستاذ حسام الدين القدسي أنس وملاطفة، فأشار عليّ أن أجلس معه بعض الوقت ليحدثني عما أجهل من أمر الكوثري، ولازلت أذكر من حديثه الجيد أن الرجل زاهد كاسمه، وأن الأستاذ محمد أبو زهرة قد لمس ما يعانيه من ضيق في الرزق فسعى اليه كي يكون أستاذاً للشريعة الاسلامية بقسم الدراسات العليا لطلبة كلية الحقوق بالقاهرة كي يتسع له المورد على نحو كريم! والأستاذ الكوثري جدير بأن يفيد الطلاب، وأن ينشيء جيلا من الباحثين، ولكن الشيخ قد اعتذر لأنه يعاني آلام الشيخوخة، ولا يستطيع أن ينهض بالتدريس كما يحب، وطال رجاء أبي زهره وطال امتناع الشيخ، لأنه لا يريد أن يقصر في الشرح! هكذا تخيل الرجل مع أن مظنة التقصير متوهمة لا حقيقه لها، ولكن تقدير المسئولية العلمية حال دون التنفيذ.

ثم قال الأستاذ حسام، وشيء آخر أذكره عن الكوثري، لقد قام بتصحيح مجلدين كبيرين من كتب التراث وكتب لهما مقدمة حافلة، مع تعليقات كثيرة تأخذ نصف الصفحة في كل أوراق الكتاب، فرأى الناشر الأستاذ عزت العطار أن يعطي هذا المحقق ما يعادل ثمن خمسين نسخة من الكتاب كبعض ما يستحق من الأجر، ولكن الأستاذ الكوثري - رغم حاجته الشديدة - قد رفض في تصميم، وقال: إذا أخذت الأجر الدنيوي فسيضيع الثواب الأخروي، وكيف استبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير؟ وواضح أن الأجر الدنيوي لا يمنع ثواب الله، إذ أن الأعمال بالنيات، ولكنه الاحتراز.

وثالثة قالها القدسي، وهي ذات مرارة موجعة - فقد ذكر أن الكوثري منذ عامين أخذ يبيع مطبوعات مكتبته ومخطوطاتها بثمن بخس، ليجد ثمن الدواء له ولزوجته المريضة، وقد عرض عليه الأستاذ أحمد خيري وهو من أعيان البحيرة أن يقوم بشراء ما يلزم من الدواء، فرفض مصرّا مستنكرا، وقال أن ذلك سيرهقه نفسيا فيزيد المرض!

سمعت هذه النوادر من الأستاذ حسام، فكنت بين الإعجاب بترفع الشيخ، والأسف الحار لضياع إمام كبير، هاجر من بلده فارا بدينه من طغيان مصطفى كمال، ثم لا يجد الراحة في شيخوخته الواهنة وتذكرت أن ما عند الله أوفى وأجل ولن يضيع أجر المحسنين، فكان هذا عزائي..

تصحيح

في العدد رقم (٥٣٥) وصلت الحلقات المنشورة من (رحلة في الذاكرة) الى الرقم (٣٩).. والتسلسل الطبيعي للترقيم أن تكون الحلقة التالية في العدد رقم (٥٣٦) برقم (٤٠) بدلا عن (٣٠).. وعليه يكون رقم حلقة هذا العدد (٤٢).

رسالة من ابن عباد .. الى السيدة الجميلة

الأسرة العربية والفتاة الحديثة

استمرارية الحياة

تربية الأبناء مسئولية الآباء

نهايتان (قصة قصيرة)

مجلة شهرية ذات
أداء متخصص تخاطب
عقل المرأة ووجدانها



استمرارية الحياة

هل من المُسَلَّم به ان يكون العطاء بلا حدود وبلا مقابل؟ هل من الواجب أن يقبل كل منا أن يعطي بسخاء ويتجاوز عن ما يمكن أن يكون أحقيته في الأخذ؟ هل من الممكن أن نخضع مفاهيمنا لهذا الافتراض أو هذا التساؤل؟.

الى أي مدى يمكن أن يكون عطاؤنا مستمراً في الوقت الذي نحتاج فيه للأخذ، لردة الفعل، لانعكاس هذا العطاء.. كيف نغدق مشاعرنا ونبذل اخلاصنا وتحترق أفئدتنا ونحن نقبل سلبيات باردة تطفيء حرارة هذه المشاعر وتطعن عمق الإخلاص وتتجاهل أحاسيسنا.. كيف؟ لن تقوم الحياة على السلبيات وإن استمرت لفترة فهو خطأ لا يبرره استمرار الخطأ.

كيف يمكنني ان أعطي مشاعري ووقتي وجهدي وكياني لمن حولي أيا كانوا لفترة طويلة بفدائية وتفان ثم نكتشف اننا مطالبون بمزيد من العطاء ومزيد من العناء؟.

عندها تتململ ذواتنا وتبدأ في إزاحة عبء ثقيل ينتج عنه تساؤل حائر مرهق لِمَ نحن فقط من يعطي ويبذل ويتفانى؟ لِمَ لا يكون هناك احتواء ايجابي «ومقابل» متكافيء تجاه ما نقدمه ونبذله! هل من الواجب المحتم ان تظل نفوسنا تعطي الآخرين وتتجاوز عن المطالبة بالأخذ أيا كانت مواقعنا ومسؤولياتنا ومراكزنا من هذا المجتمع.

لابد أن يكون هناك استثمار لهذه المشاعر وردود فعل إيجابية لكل هبة، لكل عطاء يمكن ان يبذله كل واحد منا لأسرته لعمله لوطنه لكل مجال يتحقق فيه تفاعله كإنسان كبشر، كفرد فعال دون تحديد حتى يمكنه الإستمرار، حتى يمكنه البناء حتى يمكنه إثراء هذه الحياة بكل المعاني الجميلة وتأكيد كل المباديء التى لا تقبل المساومة ولا التجاهل لكي تستمر الحياة بشكل طبيعي وهاديء وكي تزدهر العلاقات الإنسانية وترقى الأواصر بين كل افراد المجتمع أيا كانت مواقعهم وعلى اختلاف نشاطهم.

إنه لمن المؤسف ان يعطي الفرد منا ويقابل باللامبالاة أو التجاهل أو على أدنى التوقعات أن يشعره الآخرون بأن هذا هو المطلوب وأن هذا هو واجبه فلا داعي لشكره أو تقدير مجهوداته!

لن نكون متحضرين بمعنى كلمة حضارة

هند أحمد هرساني
– جدة –

وتفهم لمدلولاتها طالما كنا نجهل قيمة مهمة ومبدأ أساسيا في الحياة هو التجاوب وتبادل المشاعر والعطاء بكل اشكاله وانجاح علاقة كل طرف بالآخر وتحقيق التكامل بين العنصرين العطاء والأخذ، الفعل ورد الفعل.. انعكاس هذه الإيجابيات يوصلنا بالتالي إلى ايجابيات جديدة وتفاعلات ناجحة تغمرنا جميعاً بالرضى والامتنان وتشد من بنائنا النفسي ليقرب بعضنا من بعض.

من حق هذه المشاعر أن تربت عليها أيادي الشكر والتقدير وتدفئها كلمات الحب والمودة، انها لن تكلفنا الكثير ولكنها تتحدانا فيمن يبدأها منا أولا؟ ومن يبادر الى اتخاذها مظهراً سلوكياً وواقعاً محسوساً في محيطنا مع من تربطنا بهم علاقتنا البشرية السامية.

ليس هناك اي نقص لقدر وهيبة المديرين في احتواء موظفيهم ومن يلونهم رتبة في العمل والحياة من أن يقدم لهم الشكر والتقدير مقرونا بالمودة الفعلية بكل اشكالها المحسوسة والمعروفة طالما أن هناك جهداً قد بُذل وتفانيا قد أدى.. ما المانع في أن نستحث في هذا الموظف البسيط ما بداخله من عطاء ونشعره اننا ننتظر بكل امتنان المزيد من هذا الجهد وهذا الإخلاص والوسائل الى ذلك كثيرة ومناسبة لكل منا.

هذا هو المبدأ البديهي البسيط الذي يمكن ان نطبقه في مجال العمل والتقائنا بالآخرين سواء كان هذا المجال المصنع أو المدرسة أو دائرة رسمية أو أي شكل من اشكال التواجد البشرى المرتبط بقوانين تنظيم علاقتنا بالآخرين.

ولنبدأ من أقرب مجال اجتماعي ينظم التقاءنا بعضنا البعض من الأسرة:

من الزوج لزوجته من الأبناء للوالدين.. بين الأفرادككل يجب أن يكون هناك ود.. استرخاء للعواطف احتواء عطوف للقلوب المعطاءة كي لا تكل من العطاء المفتقر الى الود والرد بالمثل.

من حق الأم المثقلة بمسؤولياتها وواجباتها.. فترة راحة إجازة بعد عن مجال عملها.. وعطائها.. كي تسترخي نفسياً وجسدياً ولو لبعض الوقت وليتولى الآخرون من زوج وابناء وآباء بعض مسؤولياتها دون أن تظهر في الأفق كل علامات الاستفهام ودلائل التعجب إن لم تكن هناك مظاهر الاستنكار والاعتراض.

إن قيامهم بمسؤولياتها لبعض الوقت لا يعنى انه فرض عليهم ولكنه تقدير منهم لها بما قد انجزته لهم ودوحة وارفة تأوي اليها ولو لفترة قصيرة، تقديراً لها وتحقيق عطاء جديد مصدره هم تقديراً منهم وشكراً عملياً كي تستعيد نشاطها النفسي أولا والجسدي ثانيا لمواصلة عطاء وافر. ليس من الغضاضة في شيء أن يبادر كل منا لإراحة رفيق حياته ودربه بكلمة طيبة وسلوك متميز ورقيق كي يعاود عطاؤه بكل حب من جديد.. على اختلاف الأحوال.

طالما ان هناك من يسهر على راحتنا ويقدر مجهودنا ويدعونا بلطف ومودة الى المزيد لن نندم عندئذ على العطاء.

الأسرة العربية والفتاة الحديثة

لا ريب في أن البيت العربي الحديث، أو الأسرة المتطورة، قد تركت آثرها عميقا بعيدا في فتاة اليوم، وحين اقول كلمة «الأسرة» أجمع حروفها من وجود الوطن وروحه في غابره وحاضره ومصيره، وكم في كلامنا المتداول من الفاظ تنثال على ألستنا واقلامنا دون ان نعطيها القيمة الاجتماعية والانسانية التي تغرس معناها وحقيقتها في النفوس.

فاذا كانت الأسرة قمة السلطة القديمة في عصور الرومان وهي قوام القبيلة والعشيرة في الجاهلية والاسلام، فما أراها على ترادف العصور قد فقدت شيئا من حصانتها وان تزاحمت عليها الخطوب والأخطار التي ولدتها الحضارة.

لقد أصبحت الأسرة الحديثة خاضعة لمقومات جديدة ومؤثرات اقتضاها العصر والمجتمع، ولأن المفاهيم المعاصرة للتربية والنشأة والبيئة قد تبدلت وتطورت وكل اسرة وان توزعت بحسب الدواعي والأسباب فلابد أن تبقى راسخة الفكرة والروح في كل فرد من أعضائها،

بقلم :
وداد سكاكيني
– سوريا –

ولكن لو سألنا الحياة الاجتماعية التي دخل عليها كثير من التغير والتطور ما هو مقدار علاقة الفرد بالأسرة لجاءتنا أجوبة مختلفة متضاربة، فمن كان عهده بالانفصال عن اسرته الأولى فهو على الغالب ما يزال مرتبطا بها، فان الزوجين وان استقرا في بيت يضمهما دون الأهل، فان الصلات والزورات تبقى قائمة متصلة وقد تكون ضمانا لامتداد الأسرة في علاقاتها وتقاليدها.

على ان الفتاة مهما تتطور في نشأتها وثقافتها ومهما يطرأ على حياتها من التجديد كالزواج والوظيفة والاغتراب، فان طبيعتها كأنثى وحنانها الفياض يربطانها دوما بأهلها ووالديها، بينما نرى الفتى اذا تزوج أو اغترب كانت صلاته بأسرته أخف واضعف.

فاذا توضح هذا المرمى رأيت العلاقة بين الفتاة والأسرة متشابكة وثيقة فاذن كان لابد لبناء المجتمع الحديث وحمايته من فقدان مزايا الأسرة القديمة وتراحم افرادها وتعاونهم من ان توجه العناية لإعداد الفتاة الحديثة لتكون محققة للأمل المعقود عليها في بقاء الأسرة والحفاظ على تراثها الاجتماعي بشخصيتها الجديدة وثقافتها التي تقتضيها، ان ترفع مستواها وتزيد في اسباب الترابط والتضامن بين افراد أسرتها، وان لم تجمعهم روح العصر كما كانت تجمع الأسرة الواحدة قبل ان يدركها زماننا بأسباب المعيشة والحضارة.

وقد آن لنا في مفهوم التربية الحديثة والقومية السليمة أن ندرك منزلة الفتاة في الاسرة وتأثيرها في دعمها مهما تجيء بأولاد الأباعد، ولو سألنا الحقيقة لوجدنا الفتاة هي تاريخ الأسرة بعاداتها وحياتها ومدلولاتها للثقافة والتطور، فهي عنوان الأسرة التي تحمل اكثر صفاتها وطوابعها التي لا تزول وان خيل الى الناس أن الأسرة توزعت أو ضاعت.

ان الأسرة العربية الحديثة في مجال تطور كبير وبناء جديد لم تغفل عن رعاية الفتاة بأسباب المعرفة والتوجيه القويم لتضمن في مجتمعنا الجديد روح البقاء للقيم الاخلاقية والروحية في ترابط الفرد بالاسرة والاسرة بالجماعة والجماعة بالشعب، وفي هذا الترابط الوثيق يتحقق التعاون والتراحم في المجتمع المنشود.

تربيـــة الأبنـاء مس

قال تعالى في كتابه الكريم: {يا أيها الذين آمنوا قوا أنفُسَكُم وأهليكم ناراً وقُودُها الناسُ والحجارة} أي اعملوا بطاعة الله ومروا أبناءكم بامتثال أوامره واجتناب نواهيه فذاك وقاية من النار. والإنسان في أول أمره ينشأ على نفس صافية تتأثر بالخير كما تتأثر بالشر، فإن وُجد من يُحسن تربيته كان حسن الأخلاق، وإن لم ينل حظه من التهذيب نشأ فاقد الهمة. قال عليه الصلاة والسلام: «إن الله سائل كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيع حتى يسأل الرجل عن أهل بيته».

والعدل بين الأولاد شرع حكيم، أما تفضيل ولد على آخر فمقت وحرام..

وتربية الأبناء على مبادئ الإسلام من أهم الواجبات، قال تعالى: {يوصيكم الله في أولادكم} وقال عليه الصلاة والسلام: «علّموا أولادكم وأهليكم الخير وأدبوهم».

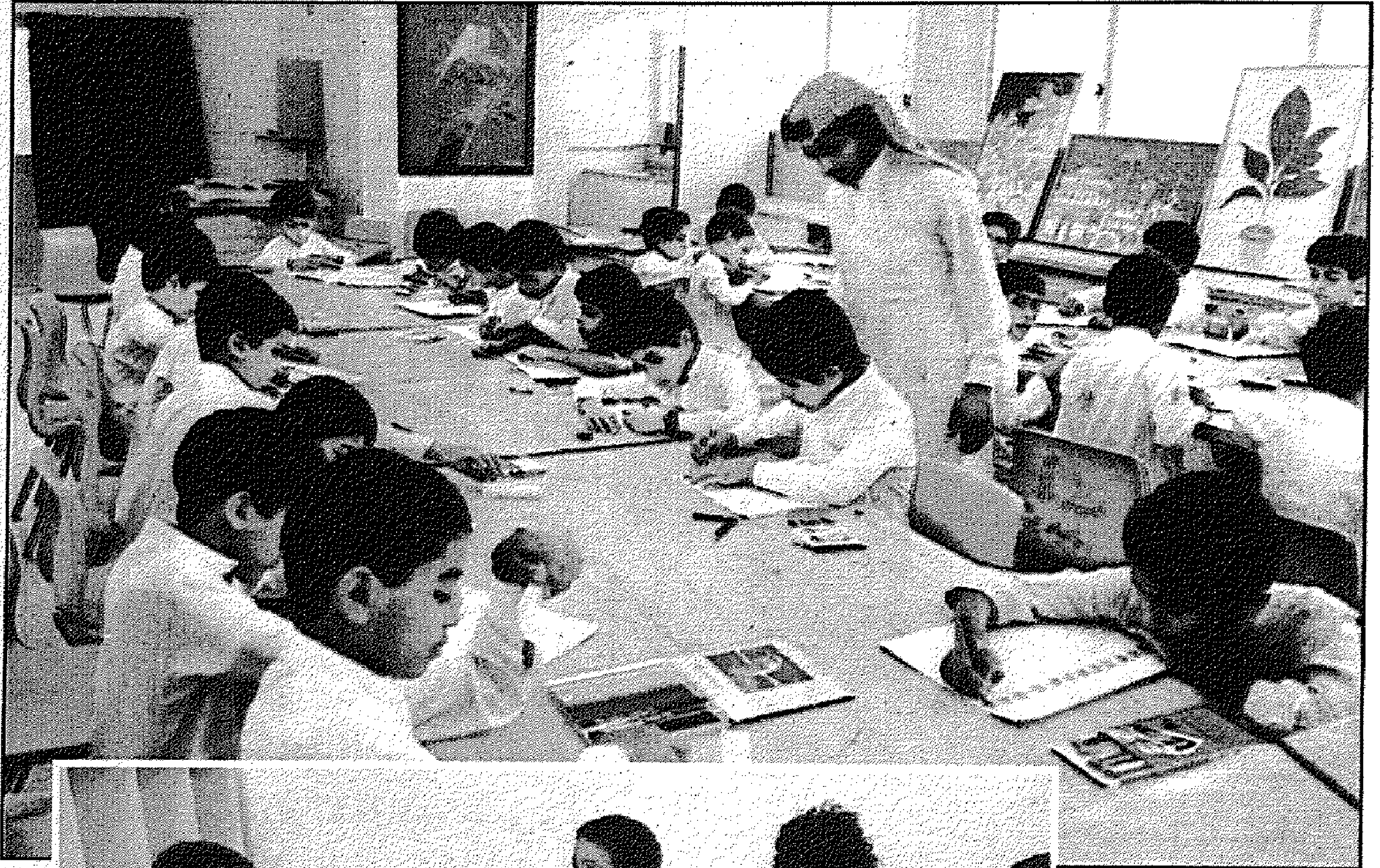
ومما يروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رجلا جاءه يشكو عقوق ولده، قال الولد يا أمير المؤمنين أليس للولد حقوق على الوالد؟ قال بلى، أن ينتقي أمه، ويُحسن اسمه، ويعلمه القرآن. قال الولد أما أمي فمجوسية، وقد سماني جُعلاء ولم يعلمني القرآن، فقال عمر للوالد: لقد عققت ولدك قبل أن يعقّك.

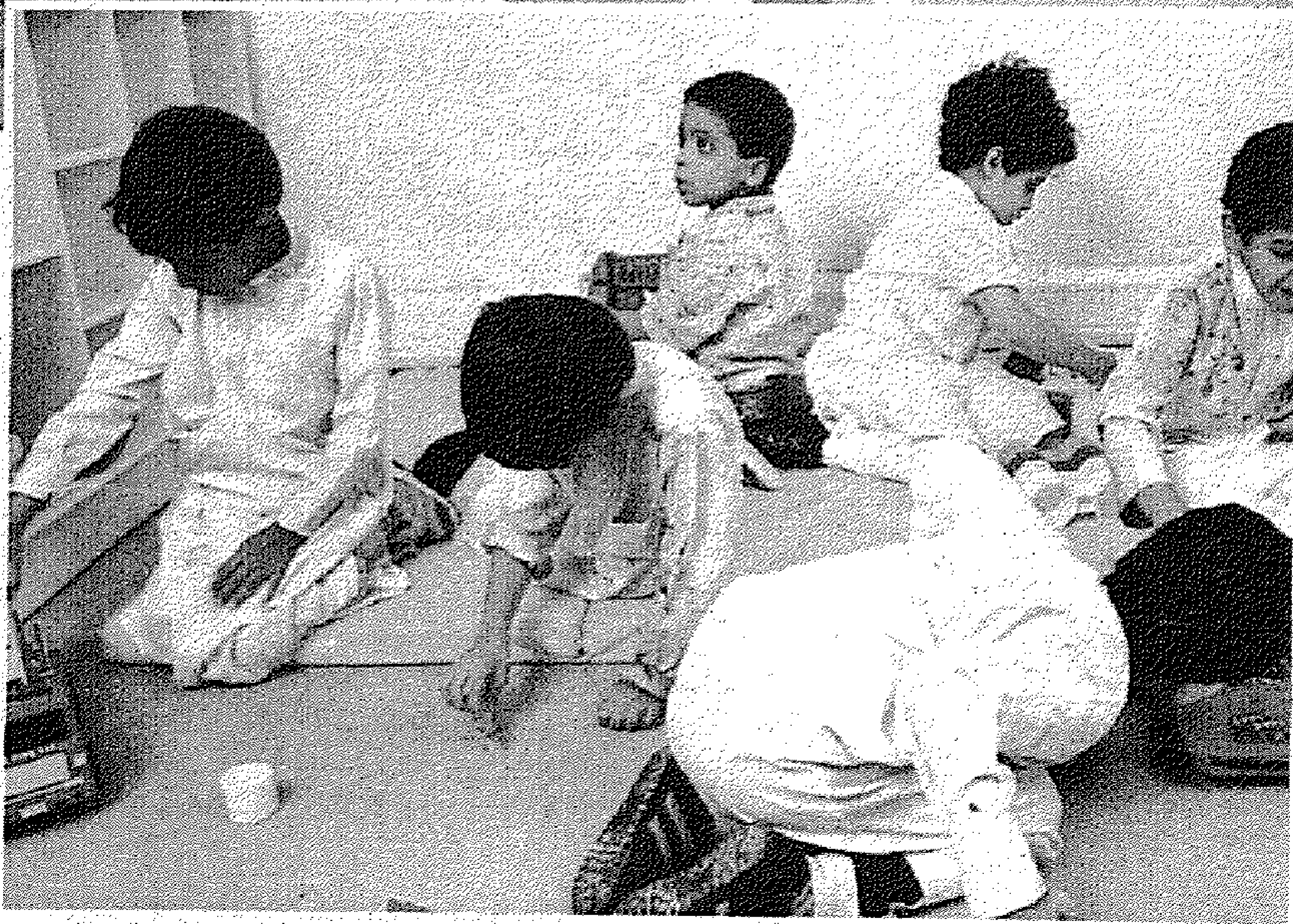
إن الوالد الذي لا يهتم بأبنائه، والأم التي تنسى مالها وما عليها، كلاهما مسؤولان.. فالأبناء أمانة وهم جيل الغد، بهم نبلغ الحضارة في أروع صورها، فلنتق الله في أولادنا، ولنهذب سلوكهم، ولنثقف عقولهم بالرفق والحكمة، فالرفق لا يكون في شيء إلا زانه، والحكمة مفتاح النجاح. قال عليه الصلاة والسلام: «الزموا أولادكم وأحسنوا أدبهم»

وما أروع البيت الذي تزينه المروءة والرحمة، فالمروءة من دواعي المحبة

شيرين محمد شاكر علي
- سوريا -

ـسؤولـيـة الآبـاء





هؤلاء أمانه فى أعناق الجميع

والإيمان، وكـذلك الرحمة.

فلنتـجـه إلى أبنائنا بكل حب وعطف وعناية حتى يفيد الأمجاد ونحمل راية الحق.

صباح الأخضر

أية لغة تحملها الحقائب حين تثب فجأة لتملأ فضاء الأيدي.. إذ تنداح الأسئلة ويتوقف كل حوار، غير حوار العيون وسط ازدحام المقاعد وتقافز الأرقام على الشاشات المقابلة وبريق الواجهات في القاعة الواسعة.

أركز عيني في الكلمات القليلة والأرقام التي تتساقط أمامي على لوحة إعلانات الطائرات المغادرة .. وأتجنب النظر حولي.. أخال علامة استفهام كبيرة ترتسم على كل وجه .. تمتد ما بين عمان وجدّة وتعلن عن رهبة مجهول ينتظره هؤلاء الضجرون على المقاعد.

أمس .. ودعتني الزميلات بدمعات تجاهلتها ومضيت أحمل بين جنبي رجفة أمي ووصاياها.. واليوم لا ألتفت حولي لكي لا أرى ما يخفف حدّة اندفاعي.

أنهض مسرعة صوب المحلات المتناثرة في جوانب القاعة.. أتشاغل ببريقها.. التقط مجموعة الصديقات اللاتي رافقتني عمراً غير قليل .. «المجلة العربية»، «المنهل»، «الفيصل».. أحس بشيء من الاطمئنان حين أتذكر أني الآن في البلد الذي ينثر ورقه في الأرجاء ليقيم منارات علم وثقافة بلا حدود.

أغرق في الصفحات وقتا غير قليل.. ثم أنهض على صوت نداء المغادرين الى «نجران».

نجران .. ! شيء ما يهبط في داخلي .. أحس بقسوة حروف هذا الاسم .. قسوة تشبه تلك التي تنبعث من حروف «عجلون» مدينتي الجبلية الرابضة في حضن الأخضر طوال العام.. أشتاق للأخضر يزهو صيفاً ويتحدى بياض الجبال شتاء.. لو كان للدمع لون!!

صباح الأخضر يا أمي..

هأنذا أحتسي فنجان القهوة «العجلوني» بعد أن نفضت عني غبار السفر.. وأستعد لجديد التجربة، لكن كل ما في هذه المدينة يجدد حنيني.. بدءاً من اسمها وانتهاء ببرد ليلها.

من أقصى الشمال الى أقصى الجنوب .. ألوّن دربي بأخضر عينيك وأمضي يحملني دفء صوتك صباحاً الى قاعة الدرس.. ألملم ابتسامات الوجوه الناظرة الى إشراق جديد .. وأستمد قدرة أكبر على العطاء.. ينسج لي الوقت رداء يخلعه على صدري فأسميه وطناً..

أسميه حنيناً .. أسميه أملا ..

وأسميك أعزّ ناسي.

مريم جبر
– نجران –

قصة قصيرة

نهايتان

صُفَيْحة من ورق أغلقت كل ما بينهما .. كل ما بينهما من حب، وشقاوة، وجدال لا تكاد تنتهي جولة منه حتى تبدأ أخرى.

استجمع كل عناده الذي طغى على ذكريات الأيام السعيدة، وأطلقها صيحة، أعقبها بإجراء قانوني هو تلك «الصُفَيْحة»!

انتابتها عاصفة من الخوف والقلق والاستسلام، طرحتها أرضاً لساعات، أفاقت منها فرأت نفسها وحيدة، مبعدة.

تذكرت طلبها منه أن يتركها، لتسلك طريقاً ويسلك هو آخر، وتساءلت:

- «أي طريق لي بعده؟!» .

صبر يومين كاملين، بكل ساعاتهما ودقائقهما وثوانيهما.

جمع ما يملك من شجاعة، أمسك سماعة هاتف الشارع، ضرب الرقم، انتظر.

ردّت ببقايا صوتها المنثور:

- منْ؟ .. منْ تطلب؟

- حبيبتي هند !

جاءتها عبارته من أعماق الذكرى .. من أيام الخطوبة.

- حبيبي عمار! أين أنت ؟ عُدْ إليّ.

ترك السماعة تتأرجح في غرفة الهاتف، انطلق مستخدماً كل ما يساعده على سرعة الوصول إليها.

قرع الباب، لم تستجب.. زاد من حدة القرع.. لم ترد .. دفع الباب بكل قواه، رآها طريحة الأرض.

حملها .. أسرع بها إلى أقرب مستشفى.

أنعشوها، بعد ساعات عاد وعيها إليها.

قال لها:

- ها قد عدت إليك يا هند .. ها قد عدت!

خرج جوابها من رئتيها:

- نعم، عدت يا حبيبي .. ولكن يبدو أنني أعيش اللحظات الأخيرة من عمري.

رفض أن يتقبل العزاء فيها، وفضل أن ينزوي وحيداً يقلّب صفحات (الألبوم)، الذي سقطت منه صورة هي أصل كل الصور.

هالة جمالي
– سوريا –

نغم .. واحة نغم .. واحة نغم .. واحة نغم .. واحة نغم .. واحة نغم .. واحة نغم ..

رسالة إلى السيدة الجميلة

من ابن عباد

محمد عبد الواحد حجازي
مصر

* من شعراء الأندلس في القرن الرابع الهجري.
* تولى حكم أشبيلية وقرطبة بعد والده عباد الملقب بالمعتضد سنة ٤٦١هـ.
* تسمى باسم محمد الثاني المعتمد بن عباد .. توفي سنة ٤٨٤هـ.
* يرتفع نسبه إلى النعمان بن المنذر اللخمي، آخر ملوك الحيرة.
* تميز شعره بالجزالة والرقة والجمال المعبر عن أحوال النفس والشعور.

حبيبتي زوجتي اعتماد:

الآن يا حبيبة العمر، يا رفيقة الحياة، يا زهرة الدنيا .. قد أفلت شمس عزنا ومجدنا .. وها أنت بعيدة عني في أرض غريبة وكانت بالأمس قريبة حبيبة.. وها أنا في قرية أغمات حيث سامنى أعدائي الخسف وجرعوني غصص الهوان، وكأنهم قد عقدوا حلفاً مقدساً مع شيطان الطغيان فكبلوني بالحديد.. وفي حجرة مظلمة عفنة الرائحة ألقوني في غيابتها وأقاموا علي زبانية أشداء يتراطنون بالبربرية فلا أعرف مما يقولون شيئاً.. إلا واحداً منهم أحسست في نظراته تراحماً خفيا وكان هو وحده الذى يقدم إلي الطعام وقد شجعنى محياه الحنون على أن أفاتحه في أمر رسالتي إليك فقبل المهمة في فرح مكظوم.

نعم أكتب إليك هذه الرسالة لتكون خير عزاء لك بعدي .. ها هي ذي ذكرياتي تتسلل إلى خيالي متثاقلة من خشية السجان.. جاءتني الذكريات لتعزيني لما دهاني وكرثني، بل دهى أمتي ومجدي وبيتي.. ومن عجب أنها افترّت أول ما افترت عن بسمتك الأولى وأنا في أبهة الملك يرافقني ابن عمار شاعر البلاط فبينما أنا وهو نسير على شاطيء نهر مفراح خطر على بالي شطر بيت من الشعر وهو: (صنع الريح من الماء زرد).. ثم لم أستطع إكماله فقلت لابن عمار: «أجز»، فارتج عليه أيضا فسمعت صوتا مليحا من خلف سياج من الياسمين يقول: «أي درع لقتال لو جمد».. فالتفت ورائي فإذا أنت فراعني جمالك وحسن بديهتك. ولما استفسرت عنك عرفت أن اسمك: «اعتماد» فسبحان من آلف بين ابن عباد واعتماد!!

واشتريتك من صاحبك «رميك بن الحجاج» وصرت من يومها الزوجة الوفية فكانت حياتى معك: أجمل حياة.. أسعد

حياة.. أجل أحلى حياة.

فكنت بحق صفوة النساء.. أتذكرين ما قلته لك يا اعتماد ونحن نرفل في أفواف من صفو الشجى الطروب؟ قلت لك في يوم من أيام عبق الجنان التي لن تعود إلى آخر الزمان:

يا غصنة إذا مشت
يا رشا إذا نظر
يا نفس الروضة قد
هبت لها ريح سحر
يا ربة اللحظ الذى
شد وثقاقا إذا فتر
متى أداوي بندا
ي السمع مني والبصر
ما بفؤادى من جوى
بما يفيك من خصر

حبيبتي زوجتي اعتماد:

هل أقول ليتني؟ وماذا تفلح «ليتني» وقد نزل بنا المقدور الذى لم يكن لنا حيلة في رده ولا حيلة في دفعه.. هل أقول في لحظات بأسائى التى اكتوى بسعيرها ليتني أطعت زوجتي اعتماد، فعملت بنصيحتها واستقمت على مشورتها فلم استقدم ابن تاشفين ليدافع عن مملكتنا ضد الخوارج الأفاقين من أمراء الطوائف؟ أولئك الذين لم يكن لهم عمل سوى الإغارة والسلب والنهب والتخريب.. كنت تقولين لي: لا تتقوى بابن تاشفين، إنه حسود حقود يضمر السوء والبغضاء لكل ملوك الأندلس.. إنه لن يلبث أن يطلع على عوراتنا وإنه إذا انتصر على ملوك الطوائف وأمنك فلن يلبث أن ينقلب عليك ويتخلص منك حتى تخلص له الأندلس بأسرها؟

آه يا اعتماد ما أعنف الندم الذي يلفح نفسي: لقد أسكرني النصر المبين الذي حققناه أنا وهو على الملك الأوربي الأذوفنش سنة ٤٧٩هـ.. أسكرني النصر حقا. كانت موقعة «الزلاقة» نصراً مشهوداً حقا.. أسكرني النصر حقا حتى أنني لم أتنبه إلى ما يضمره ابن تاشفين في صدره الحقود، إذ سرعان ما كرَّ علينا بقواته التى انتقاها من البرابرة الأجلاف فانقض علينا في أشبيلية.. ويْلي عليك يا أشبيلية فيما أصابك ودهاك!! لقد خرج أهلها من منازلهم هلعين مذعورين يلتمسون النجاة من بطش البرابرة السفاكين حتى أن بعضهم كان يلقي بنفسه في البحر كأنه ملاذ النجاة لا دوامة الهلاك.

ولا أنكر يا حبيبتي أن بعض رجالي وحكمائي نصحوني بأن أصانع ابن تاشفين وأعلن الخضوع له.. فهل كنت تظنين أنني ممن يخضعون لمتجبر أو يستسلم لطاغية لا يعرف عهداً ولا يخفر ذمة؟

زوجتي حبيبتي اعتماد:

لما تماسكت الدموع
وتنهنه القلب الصديعْ
قالوا الخضوع سياسة
فليبدُ منك لهم خضوع
وألذ من طعم الخضو
ع على فمي السم النقيع

قد رمتُ يوم نزالهم
ألا تحصنني الدروع
وبذلت نفسي كي تسـ
ـيل إذا يسيل بها النجيع
أجلي تأخر لم يكن
بهواي ذُلي والخشوع

زوجتي، يا شريكة عمري..

يا أم الفتح.. يا أم يزيد:

برغمي يا حبيبتي ·· برغمي أنهي إليك فجيعتي ·· نعم، فجيعتك في ولديك فقد قتلهما ابن تاشفين غدراً وغيلة بعد أن خدعني رسله بأنهما إن استسلما ونزلا من قلعتهما فلسوف يضمنان حياتهما ·· ولكنها كانت خدعة إجرامية·

مسكين أنت ياولدي الفتح·· مسكين أنت يا ولدي يزيد

يقولون صبر لا سبيل إلي الصبر
سأبكي وأبكي ما تطاول من عمري
هوى الكوكبان الفتح ثم شقيقه
يزيد فهل بعد الكواكب من صبر
أفتح: لقد فتحت لي باب رحمة
كما بيزيد اللهُ قد زاد في أجرى
هوى بكما المقدار عنى ولم أمت
وأدعي وفيا! قد نكصتُ إلى الغدر
توليتما والسن بعد صغيرة
ولم تلبث الأيام أن صغرت قدري
فلو عدتما لاخترتما العود في الثرى
إذا أنتما أبصرتماني في الأسر

زوجتي، عزائي وسلواي في محنتي:

إن زبانية ابن تاشفين لا يجدون هناءهم وسرورهم إلا في تعذيبي والتنكيل بي ·· لم يكف سيدهم أنني اختفيت من وجهه ولم أعد خطراً يهدده أو وسواساً يؤرقه·· يا عجبا لهذه الدنيا، لمن اشكو؟ ومم أشكو؟ الحق أننى لم أعد آنس بشيء إلا بحديث الأسى إلى قيدى، أحادثه عله يرحمني فيخفف من قسوته على ساقي اللتين لم تسعيا إلا في الخير·· صدقيني يا حبيبتي ولا تظني أنني فقدت عقلي أو أن أعصابي أفلتت مني عندما أقول لك إننى استرحمت قيدي·· قلتُ له راثيا لحال أولادي نائحا من جور الزمان وغلظته:

قيدي: أما تعلمنى مسلما
أبيْت أن تشفق أو ترحما
دمي شراب لك واللحمُ قد
أكلتهُ: لا تهشم الأعظما
ارحم طفيلا طائشا لُبُّهُ
لم يخش أن يأتيك مسترحما
وارحم أخيات له مثله
جرعتهن السمَّ والعلقما
منهن من يفهم شيئا فقد
خفنا عليه للبكاء العمى
والغير لا يفهم شيئا فما
يفتح إلا لرضاع فما

زوجتي حبيبتي:

لا أظنك إلا مُلتاعة الفؤاد مشغوفة بحسرات القلق الأسيان·· وأحسب أن ذلك لضياع ابنتنا بثينة أثناء المعارك·· لكن اطمئني فها هو ذا خبر يثلج صدرك ويطمئن بالك على مصيرها·· فقد وصلتني منها رسالة حكت لي فيها ما وقع لها·· لقد

اختطفها أحد البرابرة وأخذها إلى أحد تجار أشبيلية وقال له: أتشتري هذه الصبية يا سيدي؟ إنها من جواري المعتمد، وما أدراك ما جواري المعتمد، جمال روح، وجمال عقل. فقال التاجر: أتزعم أنها إحدى جواري المعتمد؟ فقال: إي والله، إنها إحداهن أسرتها في هجمتنا عليه. فقال التاجر: إذن أدفع لك فيها ألف دينار. ففرح وقال: خذها بارك الله لك فيها. لكن ماذا يصنع بها رجل ذرّف على الثمانين وأصبحت حياته زهادة وتبتلا؟ لقد وهبها لابنه لكنها رفضت أن تتزوجه قائلة: إنني على هذا لا أحل لك إلا بعقد نكاح إن رضي أبي بذلك، ألا تعرفه؟ إنه المعتمد بن عباد. فقال: وكيف نعرض الأمر على أبيك وأنت تدركين ما أصبح فيه؟ فقالت: أنت تعرف أنه سجين بأغمات وما عليك إلا أن تعمل على أن يصله كتابى هذا إليه.

وكان كتابها قصيدة جاء فيها:

اسمع كلامي واستمع لمقالتي
فهي السلوك بدت من الأجياد
لا تنكروا أني سبيت وأنني
بنت لملك من بني عباد
ملك عظيم قد تولى عصره
وكذا الزمان يؤول للإفساد
لما أراد الله فرقة شملنا
وأذاقنا طعم الأسى من زاد
قام النفاق على أبي في ملكه
فدنا الفراق ولم يكن بمراد
فخرجت هاربة فحازني امرؤ
لم يأت في إعجاله بسناد
إذ باعني بيع العبيد فضمني
من صانني إلا من الأنكاد
وأرادني لنكاح نجل طاهر
حسن الخلائق من بني الأنجاد
ومضى إليك يروم رأيك في الرضا
ولأنت تنظر في طريق رشادي
فعساك يا أبتي تعرفني به
إن كان ممن يرتجى لوداد
وعسى رميكية الملوك بفضلها
تدعو لنا باليمن والإسعاد

فكتبت إليها بيتا واحداً أقول فيه:

بنيتي كوني به برة
فقد قضى الدهر بإسعافه

حبيبتي زوجتي اعتماد:

الآن وقد أصبح المصير مما لا مهرب منه.. فماذا أقول لدهري؟ وماذا أقول لنفسي؟ وماذا أقول لك أنت يا صنو روحي؟

أقول لنفسي:

لنفسي إلى لُقْيا الحمام تَشَوُّقٌ
سوائي بحب العيش في ساقه حجلُ

وأقول لك يا حبيبة العمر:

كتبت وعندى من فراقك ما عندي
وفي كبدي ما فيه من لوعة الوجد
وما خطت الأقلام إلا وأدمعي
تخط سطور الشوق في صفحة الخد

معذرة:
لاحتجاب أوراق زوجية لهذا الشهر، لعدم وصولها.



٢٢٢ خلق نادر:

الانتصار على النفس خلق نادر، ويزداد ندرة حين يكون هذا الانتصار استجابة لعاطفة شريفة تقابل السيئة بالحسنة ويتناسى صاحبها ما قدم إليه من قوارص دامية تترك أثرها البدني في الجسم المعتل، وهذه المنزلة الرفيعة لا يلقاها إلا الذين صبروا، ولا يلقاها إلا ذو حظ عظيم من المروءة والهمة، ومن هؤلاء إمام أهل السنة أحمد بن حنبل رضي الله عنه، فقد تمزق جسده تحت سياط المعتصم في محنة (خلق القرآن الكريم)، ثم كان منه ما نرويه الآن:

روى ابن حبان في كتابه «روضة العقلاء»: قال سمعت اسحق بن أحمد القطان بتستر يقول: كان لنا جار ببغداد كنا نسميه طبيب الفقراء، وكان يتفقد الصالحين ويتعهدهم فقال لي: دخلت يوما على أحمد بن حنبل، فإذا هو مغموم مكروب فقلت: مالك يا أبا عبد الله؟ قال: خير، قلت ومع الخير ماذا؟ فقال: امتحنت بتلك المحنة حتى ضربت ثم عالجوني وبرئت إلا أنه بقي في صُلبي موضع يوجعني، هو أشد عليّ من هذا الضرب، فقلت: اكشف لي عن صُلبك، قال: فكشف لي فلم أر فيه إلا أثر الضرب فقط، فقلت: ليس لي به معرفة، ولكن سأستخير لك، فخرجت من عنده حتى أتيت صاحب الحبس، وكانت لي به معرفة، فقلت له أدخل الحبس في حاجة، قال: ادخل، فدخلت وجمعت فتيانهم وكان معي دريهمات فرقتها عليهم، وجعلت أحدثهم حتى أنسوا بي، ثم قلت: من منكم ضرب أكثر؟ قال: فأخذوا يتفاخرون حتى اتفقوا على واحد منهم أنه الأكثر ضربا، فقلت له: أسألك عن شيء، قال: هات: قلت شيخ ضعيف ليس له صناعة كصناعتكم، ضُرب على الجوع ليُقْتَل سياطاً يسيرة، إلا أنه لم يمت وعالجوه وبرأ، إلا أن موضعاً في صلبه يوجعه ليس له عليه صبر، قال: فضحك، قلت: ما الحيلة قال: يُبَطُّ صلبه، وتؤخذ منه هذه القطعة

د. أبو حسام - المنصورة -

المريضة وترمي، لأنها إذا تركت وصلت إلى فؤاده، فقتلته، قال فخرجت من الحبس، فدخلت على أحمد بن حنبل، فوجدته على حالته، فقصصت عليه القصة، فسأل: ومن يُطبُّني، قلت: أنا؛ فقام ودخل ثم خرج وبيده مخدتان، وعلى كتفه فوطة، فوضع إحداهما لي، والأخرى له، ثم قعد عليها وقال: استخر الله، فكشفت عن صلبه، وقلت: أرني موضع الوجع، قال: ضع إصبعك عليه فإني أخبرك به، فوضعت إصبعي، وقلت أها هنا؟ فقال: نعم وأسأل الله العافية، فوضعت المبضع عليه فلما أحس بحرارة الحز وضع يده على رأسه، وجعل يردد قوله: اللهم اغفر للمعتصم! حتى انتهيت من أمرى وأخذت اللحمة المصابة ورميتها، وشددت العصابة عليه، وهو لا يزيد عن قوله: اللهم اغفر للمعتصم، ثم هدأ وسكن، ومضت فترة، فقلت يا أبا عبد الله إن الناس إذا امتحنوا دعوا على من ظلمهم، وأنت الآن تدعو لظالمك بالمغفرة، فقال: إني فكرت فوجدت المعتصم ابن عم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فكرهت أن آتي يوم القيامة وبيني وبين أحد من قرابته خصومه، فهو مني في حل.

٢٢٣ ـ نادرة أخرى:

لما سقطت الدولة الأموية وتتبع العباسيون فُلولها من الأمراء والولاة والجنود، خاف ابراهيم بن سليمان بن عبد الملك على نفسه، إذ توقع الموت المحتوم، وجعل ينتقل بالليل من مكان الى مكان، ويختبىء بالنهار في منعزل لا يراه به أحد، حتى بلغ الكوفة، ونظر فوجد طائفة من الجند يسيرون بها، فخاف أن يعرفوه، ولم يدر إلى أين يتجه فصادف داراً رحبة فسيحة، فدخلها مذعورا، ورآه صاحبها على حال من الخوف والارتباك، فلم يسأله عن أمره، وفهم أنه مطلوب بثأر، وأدركته الحمية فهيأ له مكانا حسنا، وجعل يتعهده بنعمه، ويجلس معه في أوقات كثيرة، دون أن يسأله عن أمره، وقد لاحظ ابراهيم بن سليمان أن صاحبه يخرج من المنزل مسافرا عدة أيام في رحلات متواصلة ثم يرجع آسفا وكأنه لم يحقق ربحا؟ على أنه يوصي به أهل المنزل ليقوموا باكرامه في غيابه كعادتهم في حضوره، وحين تكرر السفر والمجيء، وأنس كل من الضيف وصاحب المنزل بصاحبه، تقدم ابراهيم إليه سائلا: علام تتركنا هذه الأيام، كأنك ترحل في تجارة، وتعود حزينا ولم أرك مرة مسرورا بعد عودتك؟ فقال: إن لي ثأراً مع بعض الهاربين من رجال بني أمية، حيث أقدم الفاجر ابراهيم بن سليمان بن عبد الملك على قتل أبي دون ذنب، وكان والدى صاحب مروءة يشفع للناس، وينصر الضعيف ويساعد المظلوم، وقد شهد على ابراهيم مناصراً رجلا ضعيفا سلب حقه، فتوعده ابراهيم، وهدده كي يكتم الشهادة،

فلم يعبأ والدى بغير الحق، ولم يدر أن الفاجر ابراهيم قد رصد له كميناً في عودته، حيث خرج أعوانه فقتلوه بليل، وجاءنا من يخبرنا بأمره الفاجع، فلم أملك صبرا، وصممت على الثأر لأبي من هذا الفاجر متى أتيح لي أن أفعل، ثم أذن الله وسقطت الدولة الأموية، وتفرق أمراؤها في الكهوف والمغارات مختبئين، فعزمت على أن أنهض فأبحث عن غريمي ليلقى جزاءه المحتوم قصاصاً مفروضا على يد وليّ الدم، وما كاد الضيف يسمع الحديث حتى بهت، وعلته صفرة أدركه بعدها ارتجاف شديد فتعجب صاحب المنزل وسأله: مالك؟ هل تعرف شيئا عن مكان ابراهيم؟ وهل يعزّ عليك إلى هذا الحد، وهو قاتل آثم؟ فقال الضيف. بعد أن أكرمتني وحفظتني في غيبتك وحضورك، فلا أنكر عليك أنى ابراهيم بن سليمان! ولك أن تقتص مني الآن، فأنت على حق، وقد كنت سفيها طائشا لا أدرى عاقبة ما أصنع، ولكل نفس أجل.

فبهت الرجل، وجعل يقوم ويقعد متحيرا، ثم رجع إلى هدوئه، وتوجه لضيفه قائلا: أما أبي فسيلقاك غداً أمام ربه وسيحاكمك إليه، وهو أعدل حاكم، لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، وأما أنا فلست أخفر ذمتي معك، وقد عاهدتك على الصون، ولكني لا آمن نفسي فى لحظة من لحظات الغيظ، أن أنهال عليك طعناً برمحى هذا، فاخرج لسبيلك، وأراد أن يصله ببعض الزاد فأبى ابراهيم!.

٢٢٤ - من الغَرْب:

كانت (مس أديت) سيدة من عنصر كريم، ولها ثراء موفور يجعلها تعيش عيشة السعداء، وقد فقدت زوجها في غرق باخرة هوت معه في قاع المحيط، فصممتْ على أن تعيش على ذكراه، قانعة بثروتها المالية عن الزواج مرّة أخرى، وكان عطفها على الخدم موضع الحديث الدائم لكل من يتصل بها، إذ كانت تغمر كل من يلوذ بها من هؤلاء بما تحتاجه أسرتها الفقيرة دون نظر إلى الأجر الشهري المعلوم، وقد التحقت بخدمتها شابة شريرة تتظاهر بالبراءه، وتبذل من الإخلاص الظاهري ما يعمي حقيقة مشاعرها الإجرامية، تلك هي الخادم (إديل) ذات الذكاء الذي يستر الملامح المعبّرة عن أحاسيس الشر في أعماقها الدفينة، وصادفت من كرم سيدتها ما كان خليقاً أن ينزع من نفسها بذور الشر إذ كفتها وكفت أهلها المزعومين شر الحاجة، وانتقلت بها من وضع سداه ولحمته الإملاق والعوز الى وضع كريم يجد ما ينفق دون ضيق بل ببذخ وإسراف ولكن الخادم قد وقعت في هوى لص شرير تعوّد أن يتخذها وسيلة للسطو على أموال الأثرياء، إذ يتقدم بها للخدمة عند من يعتقد فيهن الثراء حتى إذا عرفت كل شيء عن منزل المخدومة اتفقت معه على الحضور في ساعة تغيب فيها سيدتها عن

المنزل، كي يحضر فيسرق الجواهر، وكل ما غلا ثمنه، وخف حمله؛ وعلى هذا النمط دأبت (إديل) مع أربع أسر كريمة.. وكانت تتنقل من بلد الى بلد، مع عاشقها الفاجر، كيلا تقع في أيدى الشرطة بعد فرارها مع عاشقها مستولياً على ما يود من النفائس الثمينة.. وسار كل شيء في طريقه الطبيعى اذ عرفت (إديل) مكان الجواهر، واستطاعت أن تصنع مفتاحاً للخزينة تحتفظ به معها، ليسهل الاستيلاء على الثروة دون جهد.. وصادف أن (مس اديت) في اليوم الذي حددته (إديل) لارتكاب الجريمة، دعتها، وأعطتها هدية لأسرتها، وطلبت منها أن تأخذ اجازة هذه الليلة لتسعد بلقاء أحبائها، ولم تكن لأديل أسرة في الواقع ولكنها لفقت لها حديثا مكذوبا عن عائلتها، كى تطمئن على أنها ليست ساقطة تعيش في كنف لص شرير، وحارت الخادم فيما تصنع، فالسيدة لن تخرج من المنزل بعد أن ألغت رحلتها، ثم هي الآن تغمرها بهداياها الزائدة عن الحد المعقول، وذلك ما هزّ نفسها من الأعماق، وصاحبها الفاجر سيحضر الليلة في الميعاد، وقد يجد السيدة وحيدة فيقتلها كما فعل من قبل بثلاث ضحايا!! لقد عاشت الخادم لحظات قاسية لا تدرى ماذا تفعل، ثم همَّت على أن تفضح أمرها للسيدة، حين استدعت البوليس ساعة حضور العاشق بدعوى أنها تلقت مكالمة مريبة توحي بمؤامرة تتعلق بالسيدة، وأسرع البوليس في الحضور، وكان اللص ذكيا إذ رأى من رجال الشرطة ما أفهمه خطورة الموقف، ففر على أعقابه منهزما، ودهشت السيدة، فاستدعت خادمتها لتسألها عن سبب حضور البوليس، فصرحت لها بكل شيء، وذكرت أنها اشتركت من قبل في ثلاث وقائع للسرقة ممن ائتمنوها على ذخائرهم، وكان فى ذلك ما يؤدى بالسيدة الى إبلاغ الشرطة عنها، فإن لم تفعل ذلك، فإلى طردها العاجل من المنزل لأن جراثيم الجريمة تنتشر في أعماقها، ومن الجائز أن تكون وسيلة طبيعية لمؤامرة أخرى، لقد فكرت السيدة النبيلة في كل احتمال، ثم دعت الخادم لتقول لها سأعطيك عشرة آلاف دولار لتعيشى عيشة كريمة بعيدة عنى، وأنصحك ألا تقتربى من اللص مرة أخرى، لأن عائد المبلغ من البنك سيقوم بحاجتك، إذا لم توفقي الى عمل مساعد، وقامت إلى خزينتها فأعطتها الدولارات عن سماح! وهى تعلم أنها اشتركت في جريمة كادت تُؤدي إلى مصرعها! فماذا نقول في هذا؟

٢٢٥ (من شعر الحيص بيص):

ملكنا فكان العفو منا سجية
فلما ملكتم سال بالدم أبطح
وحللتمو قتل الأسارى وطالما
غدونا إلى الأسرى فنعفو ونصفح
وحسبكمو هذا التفاوت بيننا
فكل إناء بالذى فيه ينضح

الرائد لا يكذب أهله :

الأستاذ الرائد عبد القدوس الأنصاري، منذ نشأته لحظ فيه معلموه دلائل النبوغ ورجاحة العقل، إذ كان متقد الذهن، لمّاحاً ذكيا.. لا يغادر كلمة إلا بعد استقصاء مدلولاتها ومعانيها.

لم يتجاوز العقد الثاني من عمره وقد أقلقه ما عليه لغة الكتابة والدواوين، إذ شطرت التركية العربية، وكادت اللغة التركية الاعجمية أن تتغلب على العربية، وهاله الأمر، فتحمل عبء تصحيح ما يقع عليه، وكان آنئذ موضع تندر من جمهرة الموظفين والعاملين ولكنه لم يبال بشيء من ذلك.

ومن هذه التصحيحات والتصويبات خرج بكتابه (تصحيحات في لغة الكتابة).

وهذا بطبيعة الحال يأتي من منطلق ملاحظته الدقيقة، وسعة أفقه ، وحرصه الشديد على لغة القرآن الكريم حتى لا تضيع بين الركام.

وعلى منهج الجد والصبر أخذ الأنصاري نفسه، وجاءت مجلته المنهل نتاج رصيد وافر من العلم، ورصيد وافر من خدمة دينه وأهله ووطنه ولغته العربية.

وتوالت عطاءات الأنصاري وتوالت رحلاته واكتشافاته ومؤلفاته التي تربو عن العشرين مؤلفا من مخطوط ومطبوع.. كل هذا، نتاج علم غزير، وصبر متواصل وجلد عظيم.

ولسنا بسبيل تعداد عطاءاته ومآثره، في هذه الصفحات، ولكنّا نكتفي بإضاءات يسيرة من أساتذة أكارم عاصروه، وخبروا فيه الشخصية التي تمثل الأنموذج الفريد في ميادين عطائها.

ألا رحم الله والدي عبد القدوس الأنصاري وأحسن إليه وأسكنه جنة المأوى نزلا من عنده سبحانه.

«نبيه الأنصاري»



نبيه الأنصاري

عبد القدوس الأنصاري
١٣٢٤ - ١٤٠٣ هـ

الموضوعية في الاستيعاب والطرح والعطاء


عبدالقدوس الأنصاري

** الريادة قيمة والأنصاري يظل قيمة ناضرة

** المنهل قمة في الالتزام والموضوعية

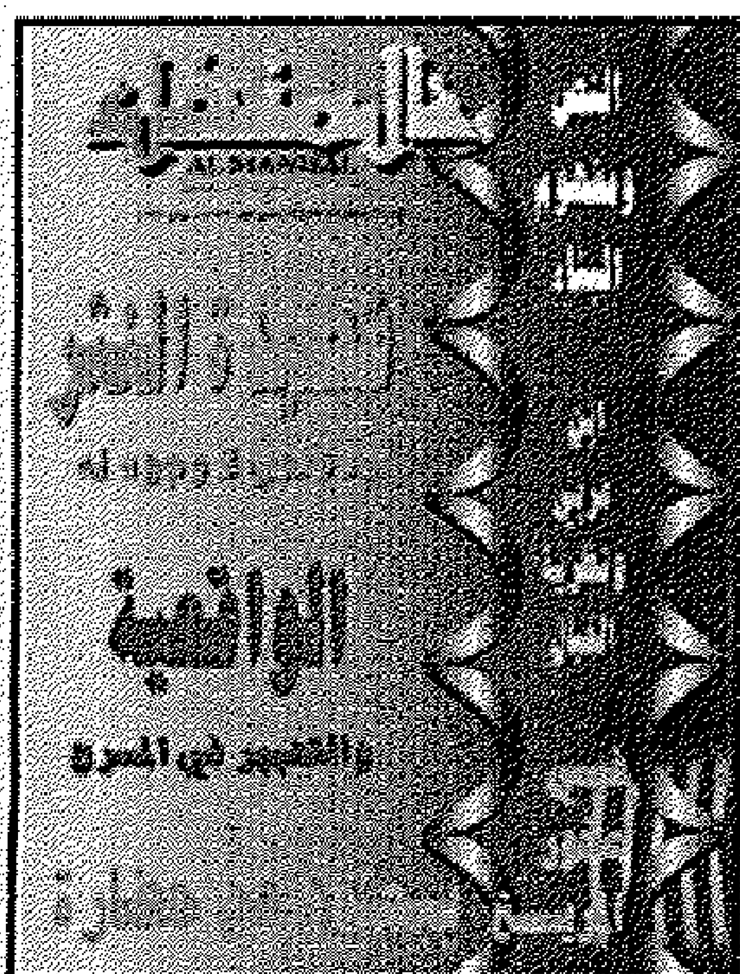
** الأنصاري، بحث ونقب وكتب والناس في جهل لمّا تتفتح مداركهم بعد



العدد الأول من المنهل ١٣٥٥

** هادىء الطبع، موضوعي المحاورة، لا يسيء لأحد

** الريادة في الأدب والتاريخ والآثار



عدد جمادى الأولى ١٤١٨ هـ

** من حق الرواد علينا أن يظلوا دائماً في دائرة الضوء

الأنصاري .. المواهب المتعددة

«الأستاذ الاخ عبد القدوس الانصاري علم من اعلام هذه البلاد، لم يقف علمه عند موهبة واحدة ولم يكن يقف عند سبيل واحد من سبل العلم والتحقيق فهو صحافي مبدع صاحب الموسوعة الشهيرة (مجلة المنهل) التي عاشت فوق خمسين عاماً خدمت جزيرة العرب وتحدثت عن معالمها واعلامها وكان لها الفضل الكبير والعلم الغزير والعطاء الوافر.

وهو عالم في اللغة، مُلمّ بسبلها، عارف بأحوالها، له فيها اليد الطولى والمكانة المثلى، وهو مؤرخ عارف بالتاريخ وله فيه التآليف والبحوث الأصيلة والمكانة المعروفة، وهو ناقد له في النقد المكانة العليا والسبيل الامثل، وبالجملة فهو علم من اعلام هذه البلاد، ورمز من رموزها التى تعتد بها وتتشمخ، وشاعر مبدع وكاتب أصيل، أخذ من كل فن بالقدر الرفيع، والمكانة السامية فله المكان الأعلى والقدر الاسمى، واذا ذكر المبدعون من حملة الاقلام وذوى القدر الاسمى جاء عبد القدوس الانصاري مبدعاً له مكانته وسمو قدره، واذا ذكر النوابغ والمبرزون فهو في الطليعة والمثل الأعلى رحمه الله وغفر له واسكنه فسيح جناته، وبالجملة فأديبنا وشاعرنا ومؤرخنا له المكانة المثلى والقدر الرفيع والمكان البديع عفا الله عنه واسكنه فسيح جناته».

(الأستاذ/ عبد الله بن خميس)

**** مجلة المنهل موسوعة شهيرة خدمت جزيرة العرب**

**** الأنصاري له المكانة المثلى والقدر الرفيع**



عبدالله بن خميس

الأنصاري .. الأثري المؤرخ

ان الحديث عن الشيخ عبد القدوس الانصاري حديث ذو شجون، في اعتقادي انه يعد رائد الآثار في المملكة العربية السعودية فهو أول من ألف كتاباً عن الآثار سنة ١٣٥٤هـ. وهو كتاب يتحدث عن آثار المدينة المنورة، ويحكي في هذا الكتاب عن اسباب اتجاهه إلى الآثار إذ رأى (فيلبي) وهو يحاول التعرف على آثار المملكة أو آثار الجزيرة العربية فقال نحن أولى بآثارنا من هذا الانجليزي.

والانصاري ذو أحلام عريضة، عندما نقرأ ما يكتبه في المنهل نشعر انه يحاول ان نتصور ما تكون عليه المملكة العربية السعودية بعد خمسين عاما أو مئة عام.

فتصور كيف تكون الجامعات منتشرة وكيف ستكون المدارس منتشرة وكيف سينهض التعليم في هذه البلاد وكيف يكون فيها الاطباء والمهندسون، وقد تحققت احلامه ولله الحمد.. والانصاري يحرض الباحثين والكتاب على ان يحرروا ويكتبوا ثقافة اصيلة دائمة ولذلك فقد كانت المنهل مصدراً علمياً لهؤلاء الباحثين ونبعاً ينهلون منه.

وقد خصص الانصاري مكاناً او باباً في المنهل أسماه منهل الناشئين وفي هذا المكان كان يكتب الشباب من أرباب القلم.

الانصاري كان يعقد الندوات ويدعو لها الباحثين، وكان يفكر في كيفية تصدير الأدب السعودي، وهي فكرة قديمة ورائدة، لم يفكر فيها أحد قبله ولذلك طرح سؤالا كيف نستطيع أن نصدر الأدب السعودي؟ ورغم ان الأدب السعودي آنئذ كان يحبو إلا أن الانصاري كان يفكر كيف يمكن لهذا الصغير الذي يحبو ان يطير ويحلق في السماء.

الانصاري ايضاً اهتم بالادب المترجم، فنشر كثيرا من الآداب العالمية، في القصة وفي الثقافة بشكل عام.

والى جانب ذلك فقد اهتم بالبحوث، فقد نشر عدداً من الملاحق الادبية في المنهل يقدمها مجاناً للمشتركين وقبل ذلك فان الانصاري هو رائد الرواية السعودية، ولذلك فهو يعتبر بحق الرائد الاول في كتابة الرواية، والدليل على ذلك قصته أو روايته التوأمان، وهي عبارة عن فكرة يحاول فيها ان يقارن بين العلم والجهل، وكيف ان العلم مصدر التقدم في المجتمعات الراقية.

والانصاري قبل ذلك وبعده مؤرخ، وقد عني بالتاريخ عناية فائقة وحاول ان يستفيد قدر الامكان من الآثار ولذلك فهو مؤرخ المدينة، وله سفر كبير عن جدة فتاريخ جُدة يقترن بالأنصاري والانصاري يقترن بتاريخ جدة وكل من يبحث في تاريخ جدة يلزمه الرجوع الى كتابه القيم (تاريخ مدينة جدة) الذي يزيد عن ١٥٠٠ صفحة.

لكل ذلك والانصاري في كفاحه الطويل يعتبر مرجعاً هاماً في كل جوانب الثقافة في المملكة العربية السعودية وقد أفنى حياته خادماً لهذه الدولة، وخادماً للآداب وخادماً للفكر وخادماً للكلمة الحرة النظيفة التى تعبر عن وجدان حي أصيل».

(أ.د. عبد الرحمن الأنصاري)

ملف خاص في ذكراه الخامسة عشرة

** عبد القدوس الأنصاري رائد الآثار في المملكة العربية السعودية


د. عبدالرحمن الانصاري

الأنصاري .. قمة في الريادة

** إذا تحدثنا عن الريادة في بلادنا فإن الأنصاري بلا ريب قمة

** مما يؤسف له أننا نتناسى روادنا بمجرد مغادرتهم الحياة الدنيا

إذا تحدثنا عن الرواد في بلادنا فإن الأستاذ عبد القدوس الأنصاري رحمه الله .. هو بلا ريب قمة، فلقد جاهد بفكره وقلمه، وماله، يوم لم يكن هناك من يعرف للحرف معنى.. ولا للمعنى أي قيمة!!

كتب البحوث .. ونشر الفكر .. والف التوأمان .. والناس في جهل لمّا تتفتح مداركهم العقلية بعد! وعندما وجد الحاجة تدعو لاضاءة مشعل فكري يهدي للتي هي أقوم سارع وأصدر «المنهل» الذي استطاع من خلاله أن يثري الساحة الأدبية بعطاء أدبي تمثل فيه نتاج معظم رواد الأدب والفكر وعمالقة الشعر في بلادنا.. وكما أن «الريادة» قيمة.. فإن «المنهل» كان ولايزال «قمة» في الالتزام والموضوعية والفكر الوضاء. وإن مما يؤسف له أننا نتناسى سريعاً روادنا بمجرد مغادرتهم الحياة الدنيا الى رحمة الله.

ولعل ما يؤسف له أكثر .. أننا لم نوف الرواد حقهم من التقدير .. ولا التكريم الذي يستحقونه لقاء بعض ما قاموا به من حفر في الصخر وسهر بالليل لاضاءة طريق الرشاد لأمتهم وتابعيهم من الأدباء والكتاب.

إن من حق الرواد علينا أن ننشر نتاجهم، وأن نقيم الندوات لاستعراض عطائهم .. ووضع البحوث والدراسات التي تبرز قيمة فكرهم ومقدار نبوغهم المبكر في عصر كان الجهل فيه سائداً.

تحية احترام للرواد .. وتحية تقدير للمنهل.. ودعاء صادقاً إلى الله العلي القدير بأن يرحم أستاذنا العلامة الشيخ عبد القدوس الأنصاري ويجزيه بما هو أهله، فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عمل».



عبدالله عمر خياط

(الأستاذ/ عبد الله عمر خياط)

الأنصاري .. الموسوعي

ملف خاص في ذكراه الخامسة عشرة

«أستاذنا الكبير الشيخ عبد القدوس الأنصاري كان واحداً من جيل العمالقة الرواد الذين عاصرتهم والذين لا أزال احفظ لهم في ذاكرتي كل الود والتقدير.

وأرى في استاذنا الكبير مثلا كبيراً وقدوة ممتازة لاجيال الشباب من الباحثين. لقد كان يرحمه الله ذا ثقافة موسوعية وإلمام دقيق لكل موضوع يتعرض له، ودأب على البحث والتحري والتقصي وكان يرحمه الله على خلق عظيم من التواضع واحترام الرأي الآخر، وحرص على الاستفادة ممن هو أصغر منه مقاماً وسناً. ونظرا الى ما خلفه الرجل الكبير من انتاج ضخم سواء في اللغة أو التاريخ وبخاصة مجلته الرائدة المنهل التى اسسها منذ اكثر من ستين عاماً تعطي شبابنا مثلا كريماً في العمل المبارك الذي يخلف كل هذا الانتاج الكبير مما يدل على دأب شديد وتركيز غير عادي وكيف ان هذا الجيل من الرواد قد وهب حياته للمعرفة والدراسة والبحث والانتاج.

يرحمه الله رحمة واسعة، ونسأله تعالى لنا العون والتوفيق حتى تقتدي بهم في علمهم وبحثهم، وفضلهم وخلقهم وانتاجهم والفائدة التي خلفوها للأمة.

(الأستاذ/محمد صلاح الدين)

** الأنصاري كان واحداً من جيل العمالقة

** المنهل تُعَدُّ مثلاً كريماً في العمل المبارك



محمد صلاح الدين

رجال في الذاكرة

الأستاذ عبد القدوس بن القاسم بن محمد الأنصاري يرحمه الله علامة كبير، وأديب مبدع، وإعلامي متميز، وبحاثة في علم الآثار.

لقد استطاع الأنصاري - يرحمه الله - وضع بصمة واضحة المعالم على الحركة الأدبية والفكرية، ويشهد له الكثير من رجالات الادب والفكر في بلادنا العزيزة.. وإذا تجاوزنا مرحلة الوظائف الادارية والفنية التى شغلها في مشوار حياته، فإنّا نجد أديبنا الكبير العلامة عبد القدوس الأنصاري، قد وقف حياته العلمية والفكرية والتاريخية من أجل خدمة أمته في كل ميادين العلم والمعرفة وقرن القول بالعمل، والعمل الدؤوب المثمر وكانت هذه ميزة من ميزاته الكثيرة فضلا عن كونه عالماً وباحثا واديبا ومفكراً. فهو لا يقبل القسمة على اثنين لانه المعادلة الصعبة السهلة في كل العلوم والثقافة التي تخصص فيها بالاضافة الى دماثة اخلاقه وسمو ادبه الرفيع فكان لا يعادي أحداً بل كان متسامحاً مع كل من كان يسيء إليه فترك وراءه السيرة العطرة.

شارك في مؤتمر الأدباء السعوديين الأول المنعقد في ١٣٩٤ للهجرة والذى دعت إليه جامعة الملك عبد العزيز بجدة وانتخب فيه واحداً من رواد الادب السعودي، قدم في مؤتمر الادباء السعوديين بحثا ضافيا عن الملك عبد العزيز يرحمه الله في مرآة الشعر، وهو البحث الذي اقترحته الجامعة على الأدباء، وحاز في ذلك المؤتمر الميدالية الذهبية، من جامعة الملك عبد العزيز في الريادة الأدبية في هذه البلاد مع براعتها الرسمية.

أنشأ مجلة المنهل عام ١٣٥٥هـ - ١٩٣٧م. ولم تتوقف منذ صدورها الا في بضع سنوات الحرب العالمية الثانية تحت وطأة فقدان الورق. ولازالت تصدر حتى الآن ويرأس تحريرها الاستاذ نبيه عبد القدوس الانصاري.

الأستاذ عبد القدوس الأنصاري - يرحمه الله - أسهم كثيراً في القاء المحاضرات في رابطة العالم الاسلامي وفي الاندية الأدبية في كل من مكة المكرمة والطائف وجازان كما قام بالقاء محاضرات في جامعة الرياض سابقاً جامعة الملك سعود حالياً والملك عبد العزيز بجدة، ورشح رسميا لالقاء مثلها في جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية.

انشأ أول ناد أدبي للشباب العربي السعودي المتعلم بالمدينة المنورة، اسهم في الندوتين العالمتين، بجامعة الرياض سابقا/ جامعة الملك سعود حاليا، الاولى لدراسة مصادر تاريخ الجزيرة العربية، والثانية لدراسة تاريخ الجزيرة العربية قبل الاسلام. نشر بحوثا وقصائد ومقالات عديدة متنوعة في الصحافة المحلية والخارجية، لقد ابحر العلامة الكبير الأديب العملاق الاستاذ عبد القدوس الانصاري يرحمه الله في بحور تراثنا المعرفي والثقافي والادبي والتاريخي، وكشف لنا من خلال طوافه السياحي الاستقرائي المتعمق في جذور دائرة هذه المعارف الواسعة في شموليتها التخصصية كنزاً من كنوز المعرفة، فأثرى معرفتنا بحضارة امتنا في واقعها الماضي والحاضر والمستقبل ولقد كان بارعاً فيما صوره من حقائق ووقائع تاريخية عن تراث أمجادنا من أعلام الفكر العربي والاسلامي وبما حققه من مخطوطات ودراسات متعمقة في التاريخ والادب والفكر حيث كان من نتائجها حصيلة من المؤلفات والكتب والدراسات التى خلقها للمكتبة العربية واستفاد منها المثقفون والباحثون في اطروحاتهم العلمية والبحثية

وغيرها فكانت بالنسبة لهم من المراجع العلمية الهامة.

أما عن مؤلفاته فان الأنصاري قد ألف عدة كتب منها:

١ ـ رواية التوأمان وقد ألفها عام ١٣٤٩هـ. وهي أول رواية مطولة ظهرت في المملكة.

٢ ـ آثار المدينة المنورة الذي طبع ثلاث مرات اولها في دمشق وفي القاهرة المرتين الاخريين.

٣ ـ تاريخ مدينة جدة.

٤ ـ تاريخ العين العزيزية بجده، ولمحات عن مصادر المياه في المملكة العربية السعودية، ١٣٨٩ ـ ١٩٦٩م.

٥ ـ بناة العلم في الحجاز الحديث.

٦ ـ بين التاريخ والآثار.

٧ ـ ديوان الانصاريات.

٨ ـ التحقيقات المعدة لحتمية ضم جيم جدة، واسهم فيه معه الاستاذان ابو تراب الظاهري وعبد الفتاح ابو مدين.

٩ ـ مع ابن جبير في رحلته.

قام بعدة رحلات اثرية في الداخل والخارج ونشر ثمار تلك الرحلات في مجلة المنهل في اجزاء خاصة، له عدة مؤلفات لم تطبع بعد وهى معدة للطبع، وربما كان ابنه الوحيد الاستاذ نبيه بن عبد القدوس الانصاري قد طبع منها كتاباً أو اكثر من كتاب فلم يصل إلينا حتى الآن أي كتاب منها، والكتب المعدة للطبع هي:

«مختارات المنهل ـ اعلام المنهل ـ النخيل والتمور في بلاد العرب ـ مستقبل أبحر ـ الجزء الثاني من كتاب تاريخ المدينة المنورة ـ العلم والادب في جزيرة العرب».

«د. غازي زين عوض الله»

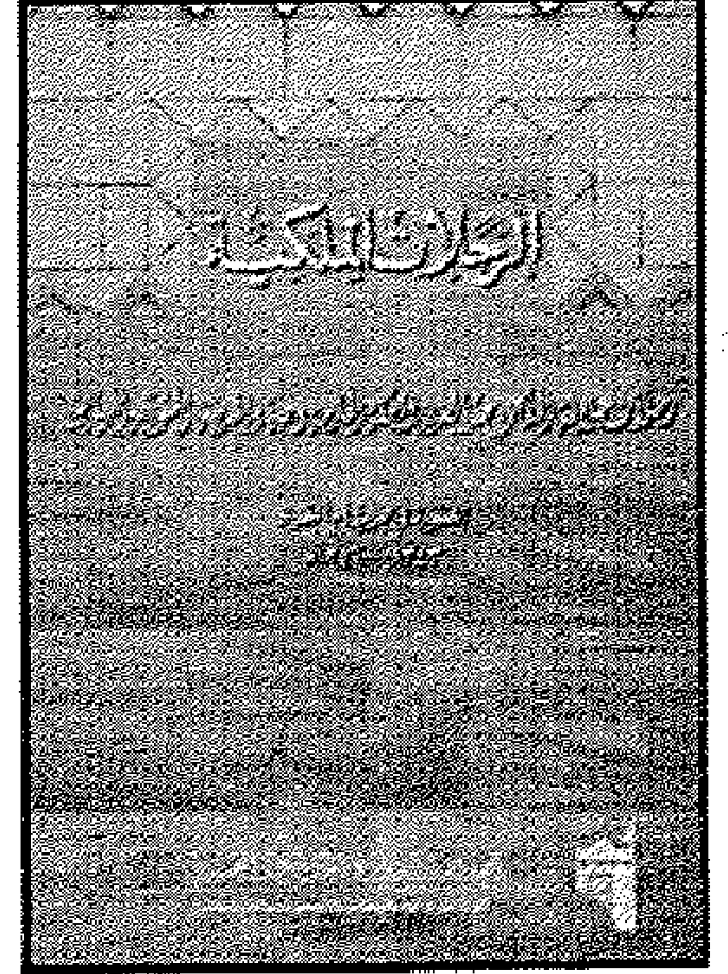
**** الأنصاري المعادلة الصعبة السهلة في كل العلوم والمعارف**

**** الأنصاري وقف حياته العلمية والفكرية والتاريخية من أجل خدمة أمته**



د. غازي زين عوض الله

كتب واصدارات



** الرحلات الملكية (رحلات جلالة الملك عبد العزيز الى مكة المكرمة وجدة والمدينة المنورة والرياض) - المنشورة في جريدة ام القرى (١٣٤٣هـ/ ١٣٤٦هـ) - اصدار دارة الملك عبد العزيز .. وطبع الكتاب على نفقة صاحب السمو الملكي الامير سلمان بن عبد العزيز آل سعود.

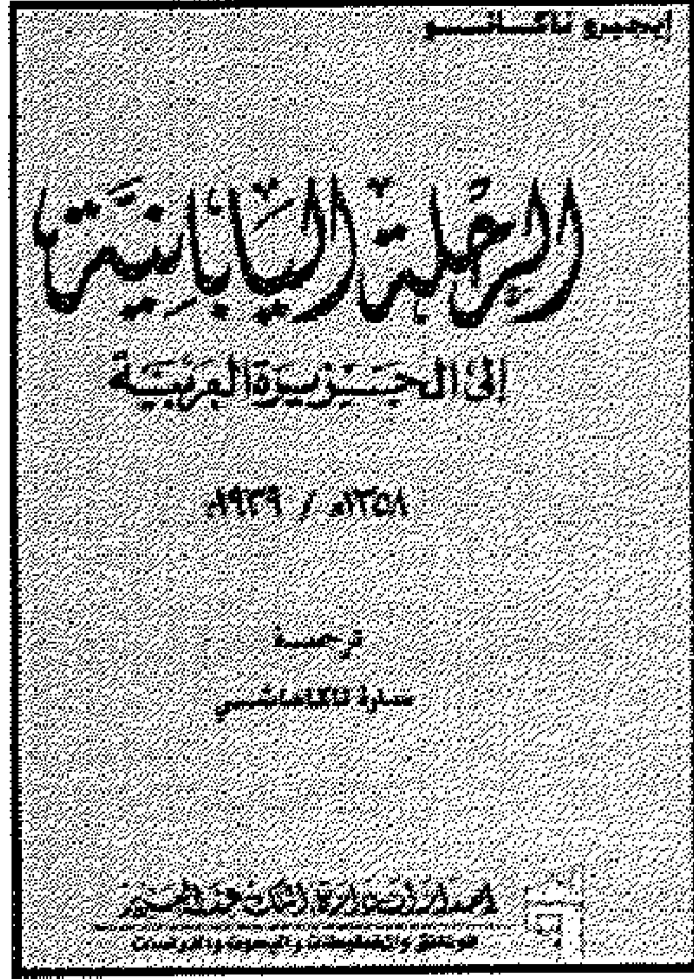
صفحات تاريخ المملكة العربية السعودية لا تزال بحاجة الى المزيد من البحث والدراسة، لأنها تمثل محور تاريخ ناصع غَيَّر معالم هذه الجزيرة، ونقلها نقلة حضارية ذكية قوامها الاسلام والشريعة الاسلامية في كل توجهاتها.

ومن هذه الصفحات المهمة ما يتعلق بالتطور التاريخي العظيم الذي شهدته ارض الجزيرة العربية في عهد جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود - يرحمه الله - الذي ارسى دعائم الدولة السعودية واعاد توحيد كيانها السياسي والجغرافي.

ورحلات الملك عبد العزيز الى مكة المكرمة والمدينة المنورة كانت محط انظار العلماء والمثقفين والكتاب آنذاك .. فاجتهدوا في تسجيلها وتدوين مراحلها .. وما كانوا يلاقونه من وعورة في الطريق، مع قلة الامكانات المتاحة آنذاك.

ولقد سجلوا بدقة وأمانة بطولات الملك عبد العزيز، ورجاحة عقله، واتساع فكره، وحسن ادارته.. وهذه الرحلات نشرت في جريدة ام القرى.

ونشر هذه الرحلات في هذا الكتاب يعطي الدارسين والمثقفين والباحثين عن التاريخ الفرصة السانحة للاطلاع على حقائق ظلت حبيسة في صفحات جريدة ام القرى.



** الرحلة اليابانية إلى الجزيرة العربية (١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م) - تأليف ايجيرو ناكانو، ترجمة سارة تاكاهاشي - اصدار دارة الملك عبد العزيز، والكتاب مطبوع على نفقة صاحب السمو الملكي الامير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض.

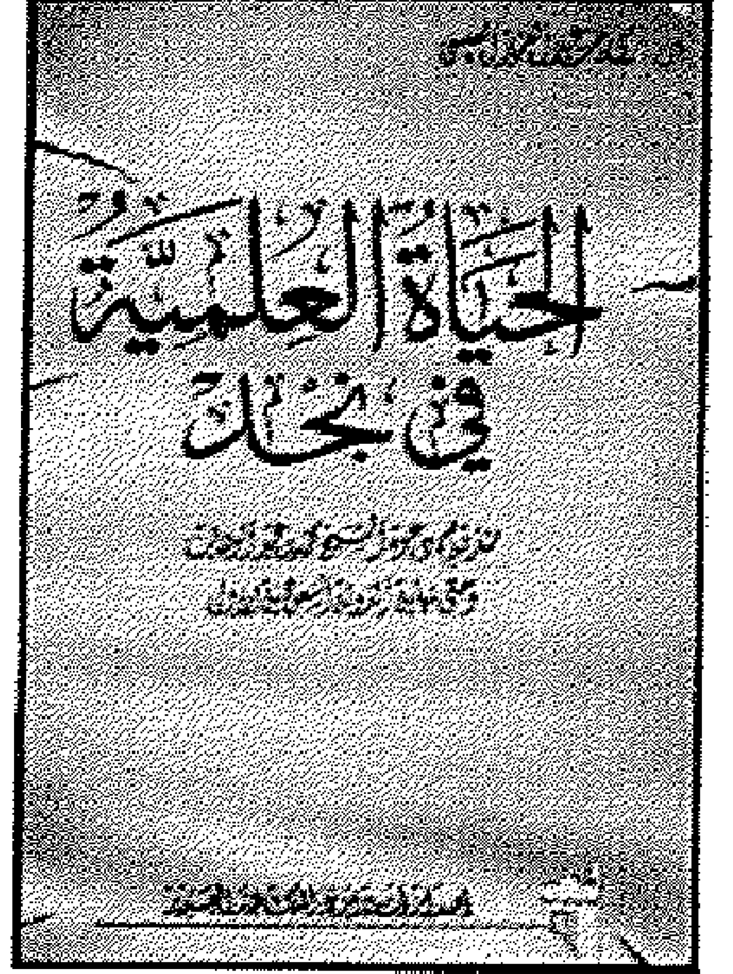
كتب الرحلات - إلى حد كبير - تُعدّ وثائق تاريخية واجتماعية وسياسية إذا صدق التوجه في الكتابة بعيدا عن الأغراض والهوى.

وعن الجزيرة العربية كتب كثير من الرحالة الأوروبيين، وبقيت كتابات الرحالة من دول آسيا قليلة ونادرة بالمقارنة بالرحلات الاوروبية.. ويبقى البحث عن دراسات الرحالة من الآسيويين الى الجزيرة العربية ضرورة ملحة لاظهار الرأي الآخر وهو امر غاية في الأهمية من الجانب التوثيقي والتاريخي.

وتأتي اهمية هذه الرحلة اليابانية من كونها تتناول فترة تاريخية مهمة، وتسجل وقائع زيارة البعثة اليابانية الرسمية الى المملكة العربية السعودية ومقابلة جلالة الملك عبد العزيز - يرحمه الله - في عام ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م.

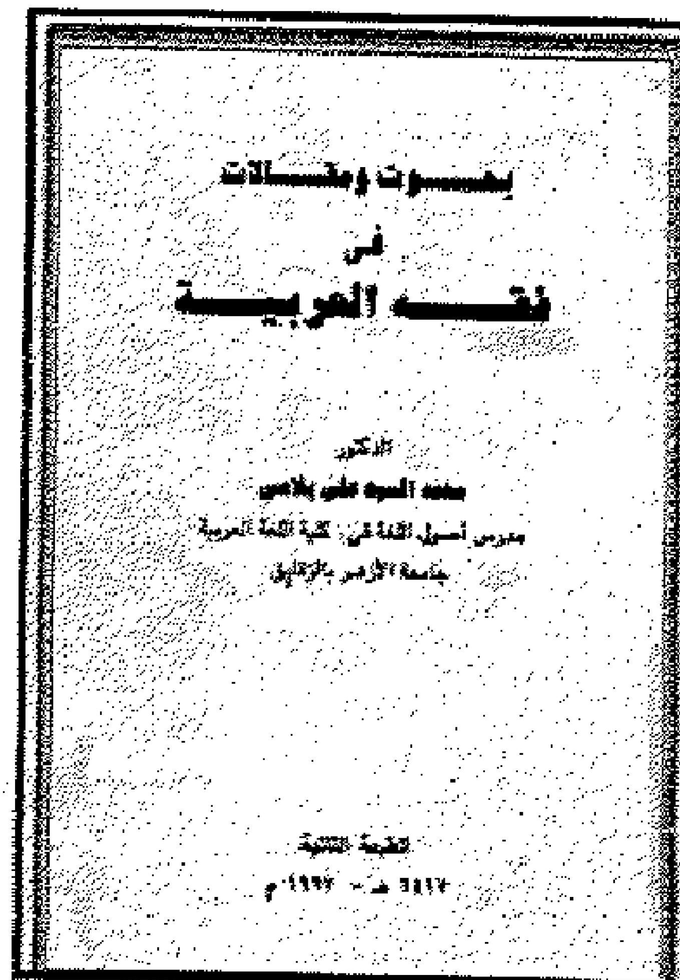
وبرغم ان هذه الرحلة سياسية بحتة الا أن مؤلفها كان صاحب تجربة في البلاد العربية، ومطلعا على الثقافة العربية مما جعله يدون يوميات هذه الرحلة باسلوب أدبي جذاب ورائع.. والاهمية الاخرى لهذه الرحلة تكمن في كونها تقدم وجهة نظر أخرى تختلف عن وجهات النظر السائدة - خصوصا الأوروبية - عن المنطقة - مما يسهم في اثراء المصادر التاريخية من حيث تنوعها وتعددها.

هذا الكتاب جاء في حوالي مئة وخمسين صفحة محلّى بمجموعة من الصور الفوتوغرافية التقطها الكاتب بنفسه .. وهي تضيف للكتاب قيمة توثيقية تاريخية إضافية.



** (الحياة العلمية في نجد، منذ قيام دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحتى نهاية الدولة السعودية الأولى) تأليف الدكتورة مي بنت عبد العزيز العيسى - اصدار دارة الملك عبد العزيز، طبع على نفقة صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز آل سعود.

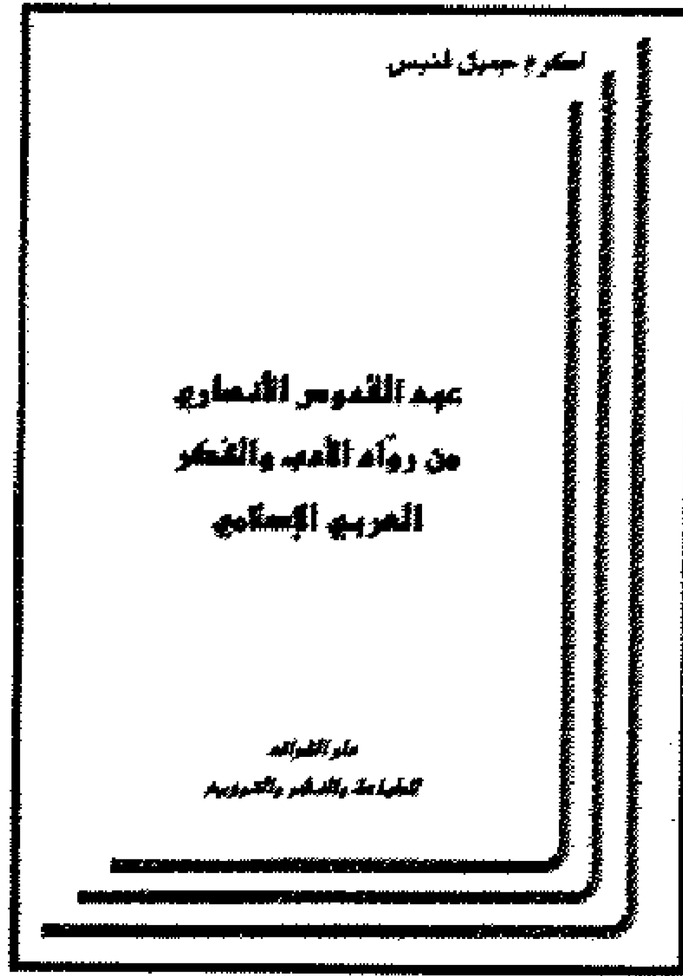
دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب أحدثت تحولا كبيراً في أوضاع نجد السياسية والاقتصادية والعلمية، فقد تمكنت الدولة السعودية الأولى التى قامت على أساس تلك الدعوة من لمِّ شتات البلدان والقبائل النجدية المتفرقة في كيان سياسي موحد مع مطلع القرن الثالث عشر الهجري.. وكانت الحياة العلمية في نجد قد شهدت نمواً تدريجياً ايجابياً بدأ تتابعه منذ القرن العاشر حتى منتصف القرن الثاني عشر الهجري.. وهذا الكتاب يرصد حركة الحياة العلمية في نجد في تلك الحقبة من الزمن.



** بحوث ومقالات في فقه العربية - تأليف الدكتور محمد السيد علي بلاسي - مدرس اصول اللغة في كلية اللغة العربية - جامعة الأزهر بالزقازيق.. الطبعة الثانية ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

وهذا الكتاب يقدم نموذجاً لفهم اللغة العربية ووضعها في المكانة اللائقة بها بين اللغات العالمية.. حيث يوضح بأسلوب سهل مشوق ميزات اللغة العربية وخصائصها، كما يعالج بعض قضاياها الشائكة مبرزاً اشهر أعلامها الأفذاذ الذين كشفوا عن أسرارها.

والكتاب مجموعة من الأبحاث والدراسات والمقالات اللغوية التي نشرت للمؤلف على مدى عشر سنوات في المجلات العربية المشهورة.



** (عبد القدوس الانصارى من رواد الأدب والفكر العربي والإسلامي) تأليف الأستاذ اكرم جميل قنبس، صادر عن دار الفرائد للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة الأولى ١٩٩٦م.

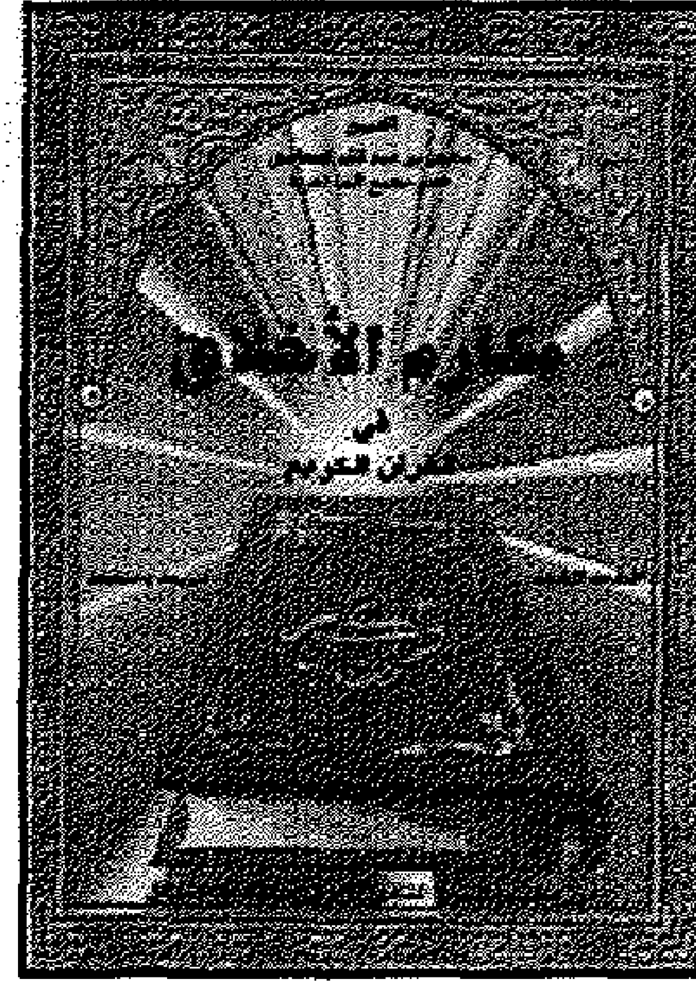
يقول مؤلف الكتاب في تعريفه الأستاذ الرائد عبد القدوس الانصارى (علم بارز من اعلام فكرنا العربي المعاصر، وظف حياته من اجل خدمة أبناء أمته في ميادين العلم والمعرفة وقرن القول بالعلم والعمل الدؤوب المثمر، تدفعه إلى ذلك همّة المؤمن، وعزيمة الشاعر، وآمال الطموح المغامر، كان واسع الاطلاع والثقافة، دقيقا في منهجه العلمي، حريصاً على الأمانة العلمية في البحث.

كان من رجالات التنوير العربي ويكفيه فخراً أنه صاحب أول مجلة تصدر في المملكة العربية السعودية حيث أسسها في عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م.. ولا تزال مستمرة بفضل الله تعالى في صدورها.

وهو أديب وشاعر وأثري وعالم مفكر..

جاء الكتاب فى بابين اساسيين وعدد من الفصول، تناول فيها حياة الاستاذ عبد القدوس الانصاري وبيئته العلمية والفكرية والاجتماعية، كما تناول شعره وأدبه، ومؤلفاته، ومجلته المنهل.

** (مكارم الأخلاق في القرآن الكريم) تأليف الأستاذ الفريق يحي بن عبد الله المعلمي/ عضو مجمع اللغة العربية .. من مطبوعات النادي الأدبي بمنطقة حائل، في طبعته الرابعة ١٤١٧هـ.



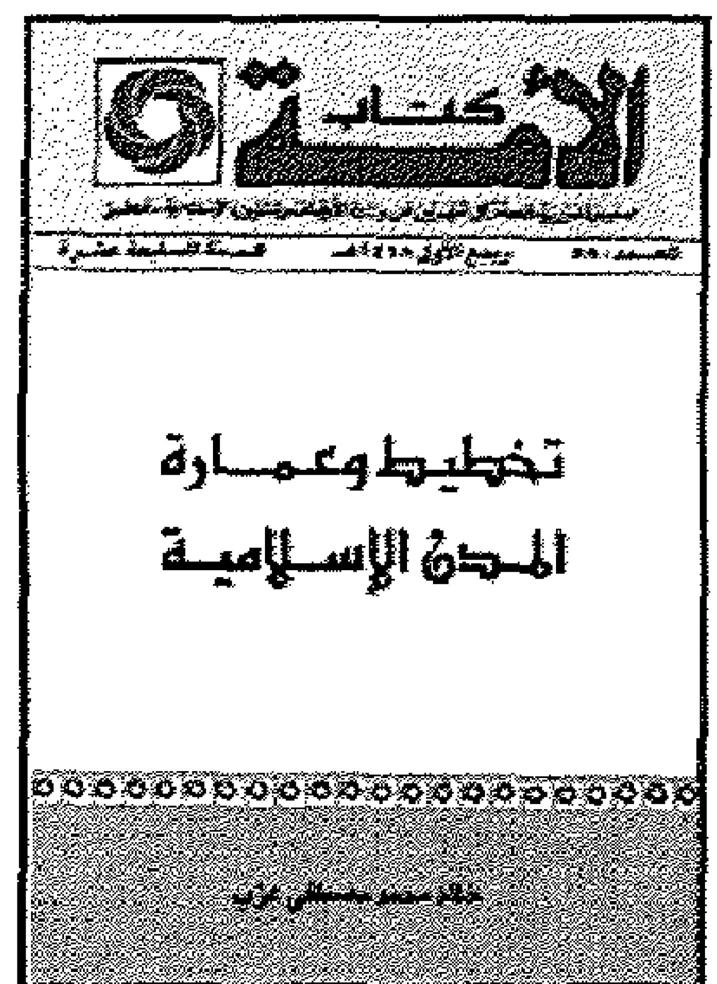
«الدين حسن خلق»

والدين الاسلامي قائم على حسن الخلق وطيب المعاملة، وحسن السجية، والسماحة في كل شيء.

وهذا الكتاب القيم في طبعته الرابعة يرصد قدراً وافراً من مكارم الأخلاق في القرآن الكريم ويسوق لها ادلتها وبراهينها ووجوب التمسك بمكارم الأخلاق لانها الحصن الحصين لصاحبها، بل هي التي ترفعه درجات عليَّة في حياته ومماته.

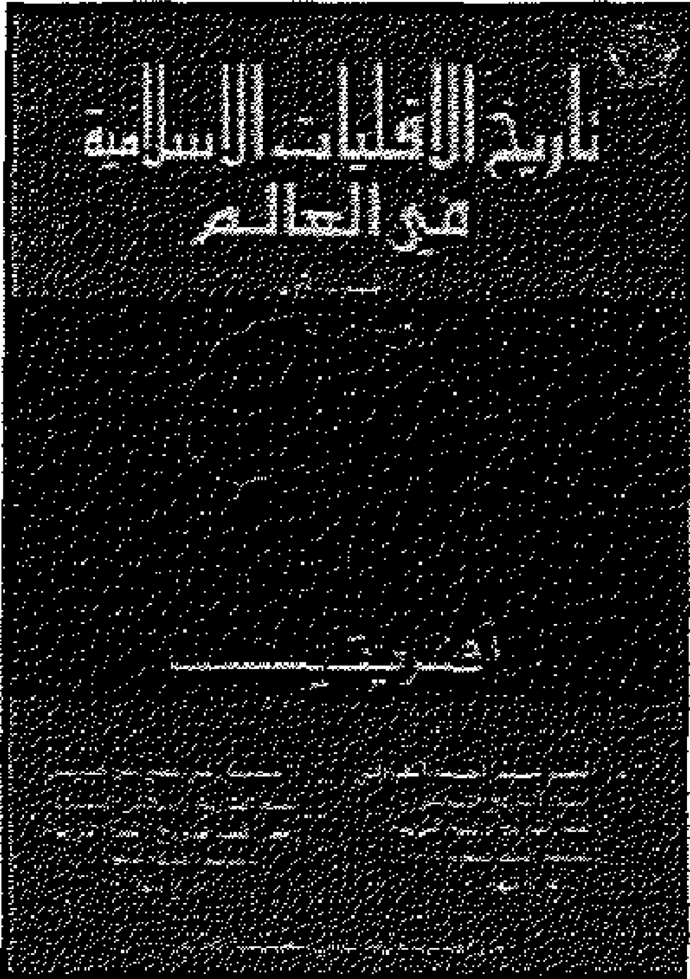
والأستاذ الكبير يحي المعلمي له سبقه في هذه الدراسات، وهذه مساهمة كريمة منه في التأكيد على التزام المكارم في الأخلاق والسلوك.

** تخطيط وعمارة المدن الاسلامية، تأليف الأستاذ خالد محمد مصطفى عزب .. صادر عن (كتاب الأمة) لشهر ربيع الأول ١٤١٨هـ.. العمارة الاسلامية نمط من انماط العطاء الحضاري المدروس، وفق منهجية واضحة المعالم تحدد طبيعة المعمار بناء على طبيعة الافادة منه مع مراعاة ضوابط الشرع الحنيف في المعمار، هذا فضلا عن الجانب الفني في المعمار الذي يعكس رؤية هذه الأمة التي اختارها الله سبحانه وتعالى لاعمار الارض.



وهذا الكتاب يمكن ان يعتبر محاولة على الطريق الثقافي الطويل لفتح بعض النوافذ وتوجيه الانظار صوب قضية العمارة الاسلامية، خصائصها العمرانية ووظيفتها الاجتماعية، واهدافها التربوية، ودورها في البناء الخلقي، والتماسك الاجتماعي، ومنح الراحة والاطمئنان، وتحقيق الأنس النفسي، واحتضان قيم الخير والفضيلة، وممارسة الضبط الاجتماعي بما تؤصله من تقاليد واعراف خيرة.

** تاريخ الأقليات الاسلامية في العالم ـ الجزء الأول/ أفريقيا.

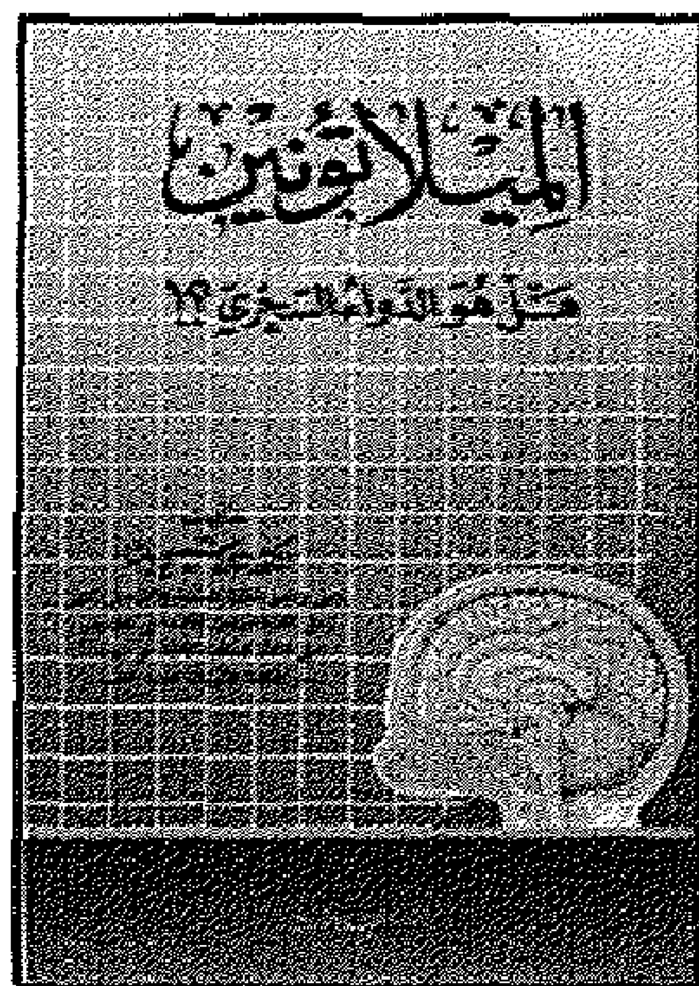


الكتاب من تأليف الدكتور سيد احمد العراقي والدكتور غيثان علي جريس.. الكتاب في طبعته الاولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م ومن منشورات نادي أبها الأدبي.

الهجرات العربية والإسلامية الى أفريقيا أدت دوراً هاماً وفعالا في تشكيل تاريخ تلك المنطقة اجتماعيا وسياسيا واقتصادياً ودينياً والامارات والدول التي انشأها المسلمون في تلك البلدان ساهمت اسهاماً ايجابياً في نقل الحضارة والفكر الاسلامي والعربي الى داخل افريقيا.

وموضوع هذا الكتاب هو علاج تاريخي لانتشار الإسلام بين الشعوب الافريقية المختلفة .. وما آل إليه أمرها بعد انتشار البعثات التنصيرية وازدياد قبضة المستعمر على مقدرات تلك البلدان، مما كان له دوره السالب في انحسار الحركة الاسلامية في كثير من تلك البلدان ، وعلى هذا فان هذا الكتاب يتناول بالدراسة والبحث ملامح من تاريخ انتشار الاسلام في افريقيا.. الاقليات المسلمة في افريقيا (يوغنده ـ كينيا ـ تنزانيا ـ جنوب افريقيا ـ بورندي ـ موزمبيق ـ سيراليون).

** (الميلاتونين ـ هل هو الدواء السحري)؟ ـ تأليف الدكتور حسان شمسي باشا، أخصائي امراض القلب، صادر عن دار المنارة للنشر والتوزيع مكة المكرمة.



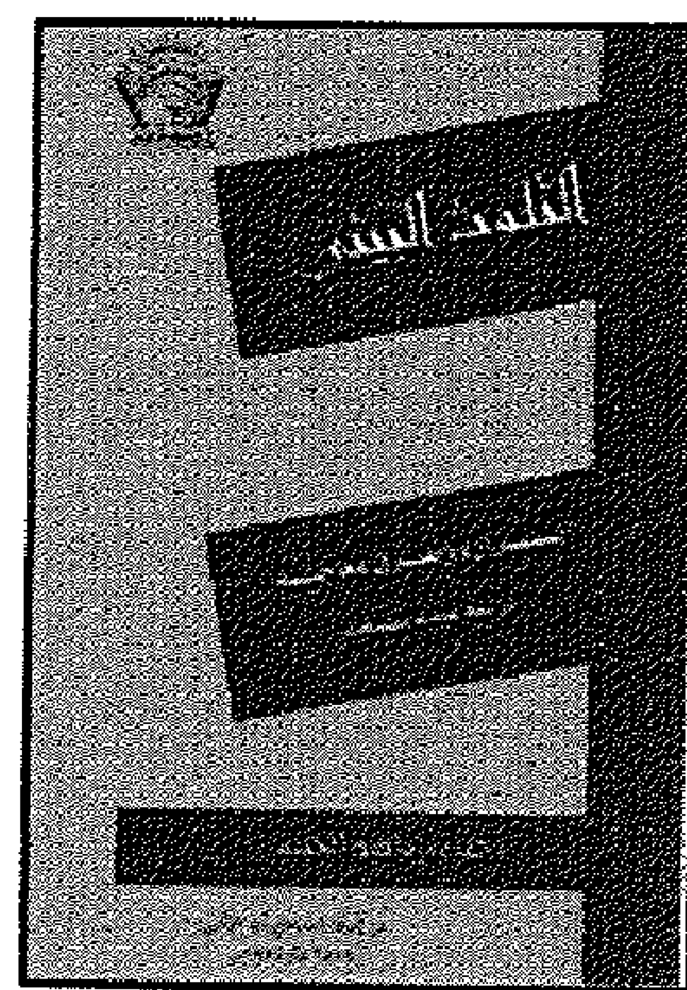
يعد هذا الكتاب أول كتاب باللغة العربية

يستعرض الابحاث العلمية الحديثة التي نشرت في المجلات الامريكية والاوروبية، التي اجريت على (الميلاتونين).

ما هو الميلاتونين؟

هل يفيد الميلاتونين في علاج الارق والاعراض التي تصحب السفر الطويل بالطائرة؟ هل يقاوم الميلاتونين الجراثيم والفيروسات، ويزيد من مناعة الجسم؟ هل للميلاتونين دور في علاج السرطان، وتأخير الشيخوخة؟.

هذا الكتاب يجيب عن كل هذه الأسئلة وغيرها.



** التلوث البيئي .. اضراره وطرق معالجته/ دراسة علمية تطبيقية) - تأليف أحمد بن ابراهيم الحيميد من اصدار نادي ابها الأدبي ١٤١٨هـ.

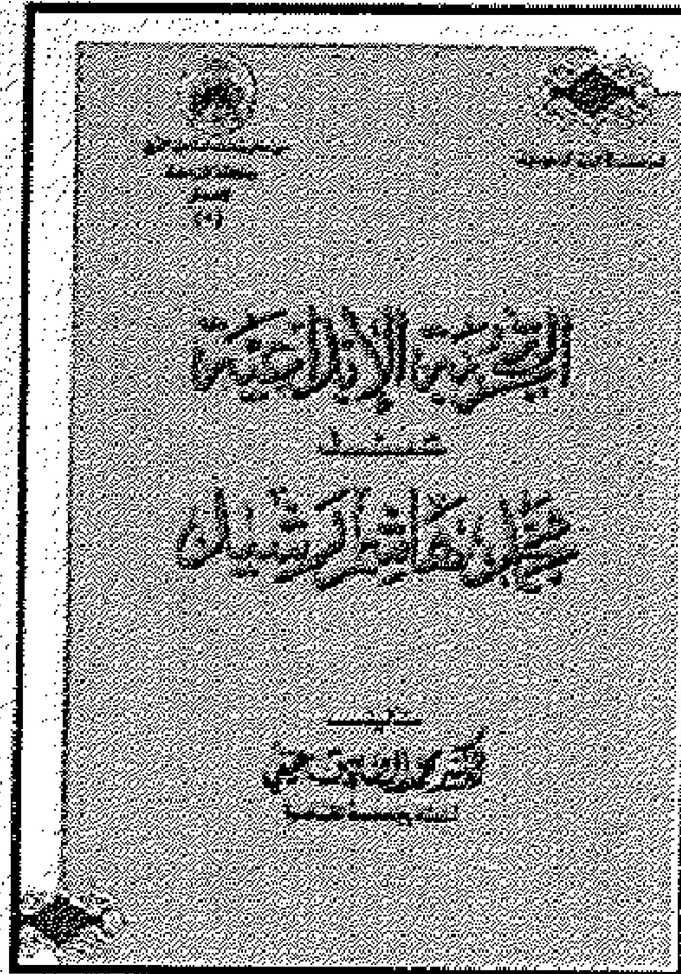
هذا الكتاب يتعلق بجانب حيوي وهام من حياة الإنسان، حيث اصبح الانسان في الحياة المعاصرة يدفع ضريبة ما يسمى بالحضارة المعاصرة والتمدن الحديث بما يخلفانه أو ينفثانه من مواد وعناصر تعكر الاجواء وتسمم الهواء والماء والثمار.. والتلوث البيئي أصبح مشكلة قائمة وخطيرة ينبغي تضافر الجهود من أجل مكافحتها والحد من شرورها ومخاطرها.

هذا الكتاب شرح انواع التلوث البيئي وخطورته على الانسان والحيوان والبيئة المحيطة..

وخرج هذا البحث بمجموعة من التوصيات منها: (ضرورة التوعية البيئية، الترشيد في استهلاك ثروات البيئة، المحافظة على الحياة الفطرية وإنمائها، القضاء على ملوثات الحياة البشرية مثل الاشعاعات النووية والحروب) والمجاعة .. ثم تقنين نظام حماية البيئة.

** (التجربة الابداعية عند محمد هاشم رشيد) - تأليف الدكتور محمد الصادق عفيفي، من مطبوعات النادي الأدبي بمنطقة الباحة.

التجربة الابداعية عن الشاعر الكبير محمد هاشم رشيد تشكل وجوداً شعرياً فريداً في نوعه، لان هذا الوجود الشعري يضم الى جانب المعاناة والمعالجة كثيرا من السمات الابداعية الفنية التى حفل بها شعره.



هذا الكتاب جاء في ثمانية فصول تناولت: مفهوم التجربة الابداعية، ثم تحدثت عن التجربة الجمالية، الاجتماعية، القومية، الوجدانية، الوطنية، ثم التجربة الانسانية.



** (العلاقات التاريخية المستمرة بين مصر ودول الخليج من العصور الفرعونية حتى العصر الحديث).

هذا الكتاب من تأليف الدكتور أمين ساعاتي.. الكتاب يبحث في قضية التواصل والتلاقي القائم بين مصر ودول الخليج العربي، في محاولة للارتقاء بهذه العلاقة بين هذه الدول الشقيقة إلى مستوى الوحدة، كما هي الآن بين الدول الاوروبية.. ويقول في ذلك «.. واذا كان مجلس التعاون الخليجي خطوة ناجحة على طريق الوحدة العربية، فان العلاقات التاريخية والتقارب المعهود بين المجتمع المصري والمجتمع الخليجي يجب ان يكون الخطوة الطبيعية التالية التي يجب ان تعقب الوحدة الخليجية».

جاء الكتاب في تقسيمه الموضوعي في ثلاثة ابواب، مقسمة الى مجموعة من الفصول.. ومن اهم عناوينها:

«الاصول العربية الاولى بين الجزيرة العربية ومصر قبل الاسلام، والاتصالات الاولي بينهما، والحضارة بين الصراع واللقاء.. وطبيعة العلاقات الاسلامية التي تربط بين هذه الشعوب.. ثم طبيعة العلاقات الاجتماعية والسياسية المتينة القائمة بين مصر ودول

حاجتنا إلى الترجمة



بقلم:
د. طاهر تونسي
– جدة –

تتفاعل الحضارات مع بعضها البعض وتتأثر الشعوب بالثقافات المتقدمة حولها. وقد كانت الحضارة الإسلامية سباقة لمعرفة أهمية الاطلاع على ثقافات وافكار الشعوب الأخرى، فقامت حركة للترجمة ايام الخلفاء العباسيين بدأت مع الرشيد والمأمون، فنبغ كثير من المترجمين الذين ترجموا لنا المنطق والفلسفة والعلوم التجريبية، كالطب والهندسة والجبر وغير ذلك. ونتج عن هذه الترجمات حركة علمية وأدبية كبيرة كان من أهم نتائجها أن نبغ كثير من علماء الإسلام. فلم يكتفوا بما قرأوه واطلعوا عليه، بل أضافوا إليه الكثير.. سواء في مجال الطب أو الهندسة أو الفلك والنجوم.

وليس حديثي اليوم عن ضرورة وأهمية ترجمة العلوم والتكنولوجيا، فذلك أمر مفروغ منه ولكنني أضيف إلى ذلك أهمية ترجمة الآداب العالمية وكتب التاريخ والاجتماع وغيرها. وقد قام الغرب بمشروع شبيه بذلك فترجم كثيرا من تراثنا العربي الاسلامي إلى لغاته الأوروبية المختلفة. بل لقد بالغ أدباء اسبانيا ومستشرقوها في الترجمة فلم يبق كتاب ولا ديوان من التراث الأندلسي إلا وترجموه إلى الإسبانية.

ومع بداية القرن العشرين بدأت حركة الترجمة في العالم العربي لأمهات كتب الآداب والفنون فبدأت بنقل روائع الأدب الانجليزي مثل مسرحيات شكسبير وقصص شارلزديكنز وروائع الأدب الفرنسي مثل مسرحيات كورني وقصص موياسان وبلزاك.

وبعد أن قامت الثورة البلشفية تحول الأدباء العرب نحو الدولة الروسية الجديدة فدرسوا آدابها القديمة فوجدوا كنوزا في الأدب الروسي الذي انتعش أيام القياصرة. فترجموا لنا روائع تولستوي ودستويفسكي وتورجنيف وتشيكوف واستمرت حركة الترجمه بزخم قوي حتى منتصف الستينيات من هذا القرن ومنذ ذلك الحين وحركة الترجمة تشهد تراجعا مستمرا ملحوظا.

وقد بقى الكثير من التراث الأدبي العالمي لم يترجم بعد، فلم يترجم لنا أدب الأديب الألماني هردر ولم تترجم لنا روائع الأديب الألماني لسنج. ومن أهم روائع الشعر التي لم تترجم: الديوان الكامل للشاعر الانجليزي الذي عمى قبل وفاته وهو جون ميلتون الذي اشتهر في تاريخ انجلترا بتأييده الطاغية الانجليزي أوليفر كرومويل. كما لا يفوتني في هذا المقام أن أشير إلى مرجع هام من المراجع التاريخية التي يرجع إليها الباحث عندما يقرأ تاريخ الملك الفرنسي لويس الرابع عشر ألا وهو مذكرات الدوق سان سيمون، وقد رأيت هذه المذكرات في المتحف البريطاني وقد ترجمت إلى الانجليزية في خمسة وعشرين مجلدا وقد اطلعت على الصفحات التي يصف فيها المؤلف الدوق سان سيمون الأديب الفرنسي فولتير وهي مذكرات عظيمة باهرة وكم أتمنى لو أراها مترجمة كاملة إلى العربية.

ولعل الزمان يجود بأمثال أولئك المترجمين النوابغ من أمثال محمد السباعي في ترجمته لتوماس كارليل وطه حسين في ترجمته لفولتير والمازني في ترجمته لجالزورثي وسامي الدروبي في ترجمته لروائع دستويفسكي وعبد الوهاب عزام في ترجمته لروائع إقبال.

ولا يفوتني أيضا أن أدعو إلى اعادة طباعة كثير من المترجمات الأدبية التي لم يطلع عليها ابناء الجيل الحاضر حتى تعم الفائدة.

وهي دعوة لجامعاتنا الحبيبة كي تنشئ كل جامعة مركزا للترجمة ولا يضير جامعة من الجامعات أن بدأ المركز محدود الامكانيات فإن التشجيع المعنوي لا شك سيوصل هذه المراكز في يوم من الأيام إلي ما نبتغيه. وهي دعوة للمجالس العلمية في الجامعات بان تطلب من كل عضو هيئة تدريس عند التقدم للترقية ان يترجم مقالا في تخصصه ترجمة دقيقة متميزة حتى تكون هذه المقالات المترجمة نواة لمجموعة علمية نافعة كما ستساهم هذه الفكرة في تقوية ملكة الترجمة عند هؤلاء الأساتذة الكرام.






اليوم الوطني

بمناسبة ذكرى اليوم الوطني للمملكة العربية السعودية

تتقدم

أرامكو السعودية

بأسمى آيات التهاني وأجمل الأماني إلى

خادم الحرمين الشريفين **الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود**

وصاحب السمو الملكي الأمير **عبد الله بن عبد العزيز آل سعود**

ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني

وصاحب السمو الملكي الأمير **سلطان بن عبد العزيز آل سعود**

النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام

والى حكومة المملكة العربية السعودية وإلى الشعب السعودي الكريم

